المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد
عمادة الدراسات العليا
كلية التربية للبنات بأبها
قسم اللغة العربية



آيات الهدى في القرآن الكريم
(دراسة بلاغية تحليلية)

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية
تخصص (بلاغة ونقد)

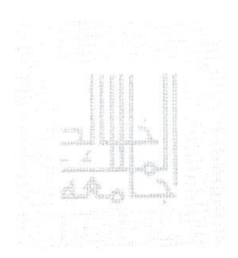
إعداد الطالبة
فوزيه يحي سعيد النجيمي عسيري
المعيدة بكلية التربية لإعداد المعلمات بخميس مشيط

إشراف
الأستاذ الدكتور: عبدالله عبدالغني سرحان
أستاذ البلاغة والنقد في كلية العلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة الملك خالد

١٤٣٢هـ/٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد
عمادة الدراسات العليا
كلية التربية الأقسام الأدبية بأبها
قسم:اللغة العربية
ماجستير



(عنوان الرسالة)

آيات الهدى في القران الكريم:دراسة بلاغيه تحليليه

أسم الطالبة:فوزيه بنت يحي سعيد النجيمي

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٤٣٢/٦/٢٢هـ وتمت إجازتها

(أعضاء لجنة الحكم)

الاسم:أ د/عبدالله عبدالغني سرحان — مشرفاً ومقرراً: التوقيع....

الاسم:أ/د يحي محمد عطيف — عضواً داخلياً: التوقيع....

الاسم:أد/سعد الدين كامل عبدالعزيز — عضوا خارجياً: التوقيع....

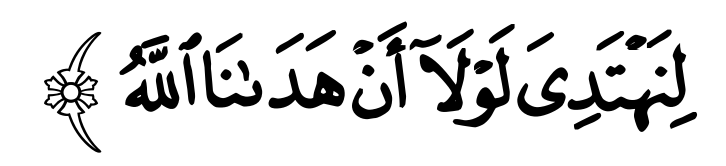
١٤٣٢هـ/٢٠١١م

حليمة عسيري



قال تعالى :

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا



الأعراف : ٤٣

شكر وتقدير

قال تعالى : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (النمل : ١٩).

وبعد..

فإني أقدم جزيل الشكر وكامل الامتنان إلى جامعة الملك خالد، وإلى كلية اللغة العربية ممثلة في عميدها، ورئيس القسم فيها . كما أتقدم بالشكر لكل من درست على يديه.

ومن باب نسبة الفضل إلى أهله، واعطاء كل ذي حق حقه ومع يقيني إنني لن أستطيع أو أوفيه حقه، ويبقى الاعتراف به طوقًا في عنقي، فلأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/ عبدالله عبدالغني سرحان الشكر لقاء ما قام به من حسن توجيه وإرشاد .

كما لا يفوتني شكر المشرف السابق الدكتور/ عبدالمنعم الأشقر .

كما أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير الصادق إلى الأستاذين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة (الأستاذ الدكتور سعد الدين كامل، والأستاذ الدكتور يحيى عطيف) على قبولهما مناقشة هذا البحث، فلهما جميعًا عميق التقدير.

والشكر موصول لوالديَّ على ما قدماه لي ، وأدعو الله أن يديم عليهما نعمة الصحة والعافية.

كما أقدم شكرًا موصولاً بكل آيات التقدير والثناء لكل فرد في عائلتي، وأخص بذلك زوجي أبا حنين الذي لم يتوان عن مساعدتي ، فقد كان خير معين وأعتذر له عن تقصيري لانشغالي بالبحث، والعذر كل العذر لابني علي، وبناتي حنين وسحر وسارة في انشغالي عنهم أثناء سنوات الدراسة، وأرجو أن أعوضكم عن ذلك مستقبلاً إن شاء الله.

ورجائي من كل ناظر يطلع على عيب أن يدلني عليه، ويرشدني إلى صوابه فالدين النصيحة، وإلى الله أضرع أن يكتب لي في هذا البحث وبعده النجاح والتوفيق والقبول، وأن يحقق به النفع المرجو إن ربي لسميع الدعاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة،،

ملخص الرسالة

الجامعة : جامعة الملك خالد.

الكلية المانحة:كلية التربية للبنات بأبها

القسم العلمي : لغة عربية.

التخصص/المسار : بلاغة.

الدرجة العلمية : ماجستير.

عنوان الرسالة : آيات الهدى في القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية.

اسم الباحثة: فوزيه يحيى سعيد النجمي عسيري .

الرقم الجامعي : ١٠١٧٦٤٨٣٤٤

اسم المشرف : الأستاذ الدكتور عبدالله عبدالغني سرحان

تاريخ المناقشة : ١٤٣٢/٦/٢٢هـ.

الملخص : هذا البحث بعنوان : (آيات الهدى في القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية).

وقد آثرت أن تكون دراستي قرآنية؛ لكون القرآن الكريم أبلغ كلام بلا منازع ، وفي معايشته فوائد عظيمة.

أقمت هذا البحث على مقدمة وتمهيد ، وأربعة فصول، وخاتمة على النحو التالي:

فالمقدمة تشتمل على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

ويلي المقدمة تمهيد ذكرت فيه عدد آيات الهدى على حسب ورودها في المصحف الشريف.

يعقبه الفصل الأول وذكرت فيه : الخصائص البلاغية للمفردات في آيات الهدى. وبحثت فيه المفردة القرآنية من حيث مادتها وصيغتها .

ثم يليه الفصل الثاني : وتحدثت فيه عن الخصائص البلاغية للتراكيب في آيات الهدى. ودرست فيه الجملة الخبرية، والحذف، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، والقصر والإنشاء، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب.

والفصل الثالث : كان للخصائص البلاغية للصور البيانية في آيات الهدى وتحدثت فيه عن الشتبيه، والمجاز المرسل بنوعيه، والكناية والتعريض.

والفصل الرابع : تحدثت فيه عن الخصائص البلاغية للصور البديعية المعنوية واللفظية من (طباق ، ومقابلة، وتناسب، وتقسيم، وتجاهل العارف، وجناس وفواصل).

وتنتهي رحلتي مع هذا البحث بخاتمة أرصد فيها أهم النتائج.

الباحثة/فوزية يحيى سعيد عسيري

English Abstract

University: King Khalid University.
College Donor: College of Education for Girls, Abha
Department: Arabic Language.
Specialization / track: eloquence.
Degree: Master.
Subject: guidance in the verses of Koran study rhetorical analysis.
The name of the researcher: Fawzia Yahya Saeed AL Nojami Asiri.
University ID: 1017648344
Name of Supervisor): Prof. Dr. Abdul Ghani Abdullah Sarhan
Discussion date: 22/06/1432 AH.

Abstract: This research is titled: (Huda verses in the Koran rhetorical analytical study).
Has chosen to be my verses; the fact that the reported words of the Koran undisputed, and live with great benefits.
I stayed on the front of this research and pave, and four chapters and a conclusion as follows:
The introduction includes the importance of the subject, and the reason for his choice, and objectives of the research, and previous studies, and research methodology and plan.
Following the introduction boot stating the number of verses on the guidance as given in the Koran.
Followed by the first chapter and it is stated: rhetorical characteristics of the vocabulary in the verses of guidance. And examined the individual in terms of the Quranic and article form.
Followed by Chapter Two: I talked about the characteristics of rhetorical structures in the verses of guidance. And studied the sentence news reporting, deletions, and the definition and the indefinite, and the presentation and delay, and to speak out unlike the appropriate surface, and the palace construction, separation, and connectivity, brevity and redundancy.
Chapter III: The rhetoric of the characteristics of images and diagrams in the verses of guidance and talked about Alchtbih, the sender of both types and metaphor, and metaphor and exposure.
Chapter IV: talked about the properties of images Alibdieip rhetoric of moral and verbal (antithesis, and interview, and suit, and the division, and ignoring the knower, and the species and breaks).
The trip ends with a conclusion of this research I monitor the most important results.

Researcher / Fawzia Yahya Saeed AL Nojami Asiri

الفهارس العامة

(١) فهرس الآيات القرآنية الكريمة

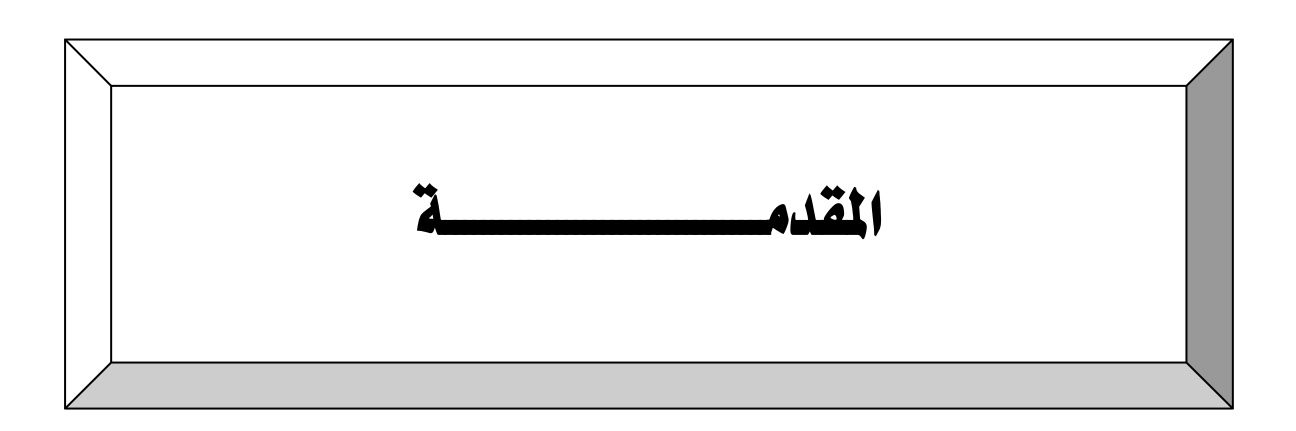
اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
التوبة	١٨	١٨١-٣١٧
	١٩	١٨٦
	٣٢	٣١٠
	٣٣	١٧٩-٣٠٩
	٣٧	٢٩٧-٤٤٣-٤٥٠
	١٠٩	٤٢٢-٤٦١-٤٧٨
	١١٥	٥٠٢
يونس	٩	٤٩٨
	٢١	٢٢٤
	٢٥	١٦٠-٢٤٧
	٣٥	٨٥-٢١٤-٤١١
	٤٣	٧٦-٢٠٠-٤٢٨-٤٩٩
	٤٤	٢٤٨
	٤٥	١٥٥-٢١١-٢٤١٨-٣٨٤
	٥٥	٢٣٥
	٥٧	٢٣٥-٤٠١
	١٠٨	٢٨٣
هود	٩٠	٢٢٥
يوسف	٥٢	١٢٨-١٨٦
الرعد	٧	٢٩٦
	٣١	١٦٨-٣٠٠
	٣٣	١٥٨-٢٤٨-٢٦١-٤٥١
إبراهيم	٤	٢٣٠-٢٩٣-٣٣١-٤٠٢-٤٥٢-٤٨٠
	١٢	٢٨٠-٤٨٠
النحل	٩	١٦٣-٣٩٥

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
	٥٣	٧٩
	٥٥	٤٧٦
لقمان	٣	٩٧
	١٠	١٥٣
	٢٠	٢٥٢-١١٦
السجدة	١٣	١٦٣
	٢٣	٤٠٣-٢٧١
	٢٤	٢٠٩
	٢٦	٥٠٠-٢٧٦-٦٤
الأحزاب	٤	٣٣٧-٣٠٠-١٩٤
سبأ	٦	٣٠٧-١٠٨
	٢٤	٤٧٣-٤١٠-٣٥٧-٢٦٥
	٣٢	٤٥٥-٢٠١
	٥٠	٤٦١-٣٦٨-١١٠
فاطر	٨	٢٧٢-١٥٨
	٤٢	٤٧٨-٣٥١
يس	٢١	٣٦٣٩-٣٣٦-٢٢٧-٢١٥
	٢٢	٣٦٩-٢٢٧
الصافات	٢٢	٤٠٩-٣٣٢-٢٦٦
	٢٣	٤٠٩-٣٣٢-٢٦٦-٧٣
	١١٨	١٥١
الزمر	٣	٤٣٣-٣٤٣-٢٥٣-١١٤
	١٨	٤٦٦-٣١٠
	٢٣	٣٦٥-٣٥٢-٣٤٣-٢٠٤

ن

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
البلد	١٠	٦٧
الضحى	٧	١٦٤

(٣) الفهرس التفصيلي لمحتويات الرسالة



المقدمـــــــــــــــة

المقدمـــــــــــة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنـــا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا.

وبعد.. فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي إمام الأنبيـــاء محمـــد ﷺ ، وإن مـــن أشرف ما يقدمه الباحثون في بحوثهم، وأسمى ما يسطره المؤلفون في مؤلفاتهم، ما كان متعلقًا بكتاب الله ، ودراسة معانيه، واستجلاء قيمه وآدابه الرفيعة، واستظهار ملامح بلاغته، ومظاهر إعجـــازه، وقد قال أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـــ) : «إن أحق العلوم بالتعلم، وأولاها بـــالتحفظ بعـــد المعرفة بالله جل ثناؤه علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة، وصحة النبوة، التي رفعـــت أعـــلام الحق، وأقامت منار الدين، والإنسان إذا أغفل البلاغة، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجـــاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما فيه من الإيجـــاز البـــديع، والاختصار اللطيف ...»[(١)].

ومن هذا المنطلق كنت أجد نفسي في تلاوة كتاب الله،كلما أتيحت لي فرصـــة لـــذلك، في البيت، وفي المسجد، وفي العمل، أرتل وأحفظ، وأتوقف عند بعض الآيات التي يلبتس عليَّ فهمها، فأسارع إلى الكشف عن ذلك في كتب التفسير، ومضت حقبة الدراسة في البكالوريوس، والســـنة التمهيدية بالدراسات العليا، تخصص بلاغة.

---

(١) كتاب (الصناعتين)، لأبي هلال العسكري (ص ٩) الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـــ – ١٩٨١م، دار الكتب العلمية، بيروت.

وكان عليَّ أن أختار موضوعًا بلاغيًّا أعده للحصول على الماجستير ، فوقع اختياري علـــى موضوع (آيات الهدى في القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية).

وأعني بآيات الهدى كل آية جاءت فيها كلمة أو أكثر من مادة (هــ د ى).

وهذا التحديد لمعنى آيات الهدى اصطلاح اصطلحته في بحثي هذا؛ لتحديد الآيات القرآنية التي يتناولها البحث، ويحاول استظهار بلاغتها، وملامح الإعجاز القرآني من خلالها ، ولا مشاحة في الاصطلاح ، كما قال أهل العلم .

وينبغي أن أنبه إلى أن في القرآن الكريم آياتٍ تضمنت كلمات تلتبس بمـــادة (هــــ- د – ى)، لكنها عند التدبر ليست منها، ككلمة (هادوا) التي ترد في القرآن بمعنى تـــابوا مـــن ذنـــوبهم ورجعوا إلى طاعته، كقوله تعـــالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة : ٦٢)، ومنه قوله تعالى : ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأٓخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾(الأعراف:١٦٥)، وتأتي هذه المادة في مواضع أخـــرى بمعنى (دان باليهودية)، ومنـــه قولـــه تعـــالى : ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ (البقرة:١١١) . وقوله : ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ (الأنعام: ١٤٦).

فمثل هذه الآيات وغيرها مما ورد في القرآن الكريم لا تدخل في آيات الهدى التي هي مناط اهتمام هذا البحث ، وإن اشتركت معها في الهاء والدال، وذلك لأنها من أصل آخر ، وهو (هــ و د) بينما ما نحن فيه من مادة (هــ د ى) ، والفرق واضح بين الأصلين.

كما يخرج عن مادة (هـــ – د – ى) ما ورد في القرآن الكريم بمعنى ما يهدى إلى الحرم من النعم، ويخرج أيضًا الهَدِية وهي المختصة بما يهديه بعضنا لبعض.

وهذه المادة الخام ليست من مادة (هـــ –د – ى) بمعنى الدلالة والإرشاد، وإنما هـــي مـــن الأصل الآخر، وهو الهدِية أي ما أهديت من لَطَفٍ إلى ذي مودة؛ لأن مناط البحث هـــو الأصـــل المعجمي المكون من (الهاء والدال والحرف المعتل) ، ومدلولها اللغوي (الإرشاد).

وقد جاءت مادة (هـــ د ى) في القرآن الكريم محل الدراسة على صور مختلفـــة، وهيئـــات متعددة، فمرة تكون اسمًا، ومرة تكون فعلاً ، والفعل يكون مرة ماضيًا، ومرة مضارعًا، ومرة أمرًا، والاسم يكون مرة مفردًا، ومرة جمعًا، ومرة نكرة، ومرة معرفة، ومرة مضافًا، ومرة غير مضـــاف، وهذا وذاك يأتي على الحقيقة أحيانًا، والمجاز أحيانًا أخرى.

وقد لاحظت في أثناء جمع آيات الهدى أن هذه المادة تجيء في أكثـــر مواقعهـــا في القـــرآن الكريم منفردة لا تقترن بمادة أخرى مما تقاربها في المعنى، إلا في مواضع قليلة جاءت مقترنة بمـــادة (ر حـــ م) و(فـــ ض ل)، وبألفاظ (بشرى) و(بينة) و(بصائر)، وغير ذلك.

أهم أسباب اختيار الموضوع:

١- عدم وجود دراسة بلاغية مستقلة عن الإعجاز البلاغي في آيات الهدى، ولهذا أرجو أن تكون دراستي لهذا الموضوع إضافة جديدة إلى مكتبة الدراسات البلاغية.

٢- الرغبة في ربط الدرس البلاغي بالقرآن الكريم، للتعرف على ما تشتمل عليه آياته من خصائص بلاغية، وأسلوب أعجز الفصحاء أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

وقد علمنا أساتذتنا أن في وصل قواعد البلاغة بالنصوص البليغة – و لا سيما النص القرآني– « إمدادا لها بالماء الذي يبقي لها النماء، ويزيل عنها الجفاف الذي لحق بها في العصور المتأخرة. فبهذه الصلة تحيا الدراسة البلاغية وتزدهر، فتحقق أهدافها في تربية الأذواق، وتنمية المواهب، لمعرفة روائع الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وتذوق الجمال البلاغي في النصوص الأدبية، ولتقف الأصالة شامخة في وجه التغريب الفكري والفني والأدبي التي تحاول أن تشوه ذوق لغة القرآن وجمالها»[(١)].

الهدف من الدراسة :

١- الكشف عن بلاغة القرآن الكريم، في آيات الهدى، واستظهار خصائصها البلاغية في المفردات، والتراكيب، والصور البيانية، والبديعية.

٢- استجلاء المعاني المختلفة لمادة (هـ د ى) في القرآن الكريم، وتوضيح أثر السياقات المتعددة على اختلاف هذه المعاني، وأن ذلك لا يتأتى للمادة بمعزل عن تلك السياقات.

---

(١) ينظر: (الإعجاز البلاغي في قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم) د. يحيى محمد عطيف (ص٨)، ط(نادي أبها الأدبي)، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣- إيضاح الفروق الدقيقة في دقة استعمال المادة اللغوية في سياق، واستعمالها في سياق آخـــر، ولمعنى آخر غير الأول، وكل ما ورد في الآية من صيغ وتراكيب.

الدراسات السابقـة :

بحثت كثيرًا عن دراسة بلاغية تتناول آيات الهدى في القرآن الكريم، فلم أجد ذلك. ولكن هذا الموضوع تنوول بطرق أخرى لدى القدماء، فتناول الراغب الأصـــفهاني (ت : ٥٠٣هــــــ)، وتبعه ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١هــ) أوجه هداية الإنسان، وهو تناول دلالي، يُعْنَى بمعاني الهداية المختلفة، ويستشهد لكل معنى بشاهد أو أكثر من القرآن الكريم، ونجد هذه المعاني للهدايـــة عنـــد اللاحقين بالأصفهاني، وابن قيم الجوزية، كالسمين الحلبي في (عمدة الحفـــاظ في تفســـير أشـــرف الألفاظ)، وغيرهم من أصحاب المعاجم والقواميس، وكذلك كتاب (آيات الهداية والاســـتقامة في كتاب الله تعالى) لفضيلة الشيخ عطيه محمد سالم.

ومجمل ما جاء في هذه المعاجم والكتب أن هداية الله للإنسان تأتي على أربعة أوجه:

الوجه الأول : الهداية العامة، ومن ذلك قوله تعـــالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (طه : ٤٩-٥٠).

الوجه الثاني : هداية الأنبياء من خلال ما أنزل عليهم من كتب سماوية، ومن ذلـــك قولـــه تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا ﴾(السجدة : ٢٤).

الوجه الثالث : التوفيق الذي يختص به من اهتدى، ومن ذلك قوله تعـــالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾(البقرة: ٢١٣).

الوجه الرابع : الهداية في الآخرة إلى الجنة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾(الأعراف : ٤٣).

وفي موضع آخر نرى الدعاة من أهل العلم ينوهون باقتران الهدى بالرحمة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(الجاثية: ٢٠).

ونحو قوله : ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾(لقمان: ١-٣).

وقولـــه تعـــالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (النمل : ٧٦-٧٧) .

فهذه الآيات وغيرها مما سأتناوله في هذا البحث قد اقترن لفظ الهدى فيها بالرحمة، ولهـــذا أعقب ابن قيم الجوزية على اقتران الهدى بالرحمة في القرآن الكريم «بأن من اتصف بالهدى والرحمة فاز بالسعادة والفلاح»[١].

وعلى هذا النحو الدعوي التوجيهي جاءت دراسة أهل العلم لآيات الهدى لتنضم إلى تناول اللغويين لمعاني الكلمة في آيات التنـــزيل، وكلا النهجين مفيد في الدراسة البلاغية لآيات الهـــدى، لكنه غيرها.

ولعل تفسير المفسرين لهذه الآيات – على اختلاف اتجاهاتهم – أقـــرب إلى منـــهج هـــذا البحث، وأمس رحمًا به . هذا كل ما أستطيع أن أقوله عن الدراسات التي سبقتني إلى تناول آيـــات الهدى.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ٥٣٧/٢، لابن قيم الجوزية.

أما أن تكون هناك رسالة، أو كتاب، أو مقالة في حولية متخصصة تتناول الجانب البلاغـــي في آيات الهدى، فهذا – على حد علمي – ليس موجودًا.

وسوف أتَّبع في هذا البحث المنهج التطبيقي المتمثل في الآتي :

١-دراسة آيات الهدى في كل مبحث حسب ترتيب المصحف الشريف مبتدئة بتحديـــد مفهـــوم الخاصية البلاغية، وبيان قيمتها الفنية وشروطها إن وجدت، ثم أورد لها الشواهد المختلفة مـــن آيات الهدى، ثم أقوم بدراسة هذه الآيات في كتب اللغة والتفسير والبلاغة مع تحليل الآيـــات تحليلاً بلاغيًّا شموليًّا يكشف عن مواضعها وأسرارها ما أمكنني إلى ذلك سبيلاً.

٢-النظر إلى هذه المادة باختلاف صياغاتها من خلال سياقاتها المختلفة الواردة فيها مبينـــة أســـرار ذلك كله.

٣-عدم الوقوف أمام مادة (هدى) فحسب؛ لأن هذا البحث يدرس ما ورد في آيات الهدى مـــن خصاص بلاغية، ومن ثم فهو يتناول كل الخصائص البلاغية الواردة مع هذه المادة من ألفـــاظ وصيغ، وتراكيب.

خطة الرسالة :

ومن ثم فقد انتظمت هذه الدراسة في مقدمة ، وتمهيد، وأربعة فصول يتضمن كـــل منـــها مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهارس الآيات، وموضوعات البحث.

المقدمة:

ذكرت فيها أهمية الموضوع، ووجه الحاجة إلى دراسته وأسباب اختياره ، والهـــدف مـــن دراسته، والإشارة إلى ما عسى أن يكون هناك من دراسات سابقة حوله، وطبيعة هذه الدراســـات والمنهج الذي سرت عليه.

التمهيد:

وفيه ألقيت الضوء على عدد آيات الهدى، متبعة نسق المصحف الشريف ابتداءً من سورة الفاتحة.

الفصل الأول : الخصائص البلاغية للمفردات في آيات الهدى، وقد وزعته على مبحثين:

المبحث الأول : الخصائص البلاغية في المفردة القرآنية من حيث مادهما.

المبحث الثاني : الخصائص البلاغية في المفردة القرآنية من حيث صيغتها.

الفصل الثاني : الخصائص البلاغية للتراكيب في آيات الهدى .

وجاء في تسعة مباحث :

المبحث الأول : الجملة الخبرية مؤكدة وغير مؤكدة.

المبحث الثاني : الحذف في آيات الهدى.

المبحث الثالث : التعريف والتنكير في آيات الهدى.

المبحث الرابع: التقديم والتأخير في آيات الهدى.

المبحث الخامس : خروج الكلام على مقتضى الظاهر في آيات الهدى.

المبحث السادس : الإنشاء في آيات الهدى.

المبحث السابع : القصر في آيات الهدى.

المبحث الثامن : الوصل والفصل في آيات الهدى.

المبحث التاسع: الإيجاز والإطناب في آيات الهدى.

الفصل الثالث : الخصائص البلاغية للصور البيانية في آيات الهدى.

وقد وزعته على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التشبيه في آيات الهدى.

المبحث الثاني : المجاز في آيات الهدى.

المبحث الثالث : الكناية والتعريض في آيات الهدى.

الفصل الرابع : الخصائص البلاغية للصور البديعية في آيات الهدى .

وقد وزعته على مبحثين :

المبحث الأول : (الصور البديعية المعنوية في آيات الهدى).

ويشمل :

أ- الطباق.

ب – المقابلة.

جـــ – التناسب (تشابه الأطراف).

د – التقسيم .

هـــ – تجاهل العارف.

المبحث الثاني : (الصور البديعية اللفظية في آيات الهدى).

ويشمل:

أ- الجناس .

ب – الفواصل.

الخاتمة :

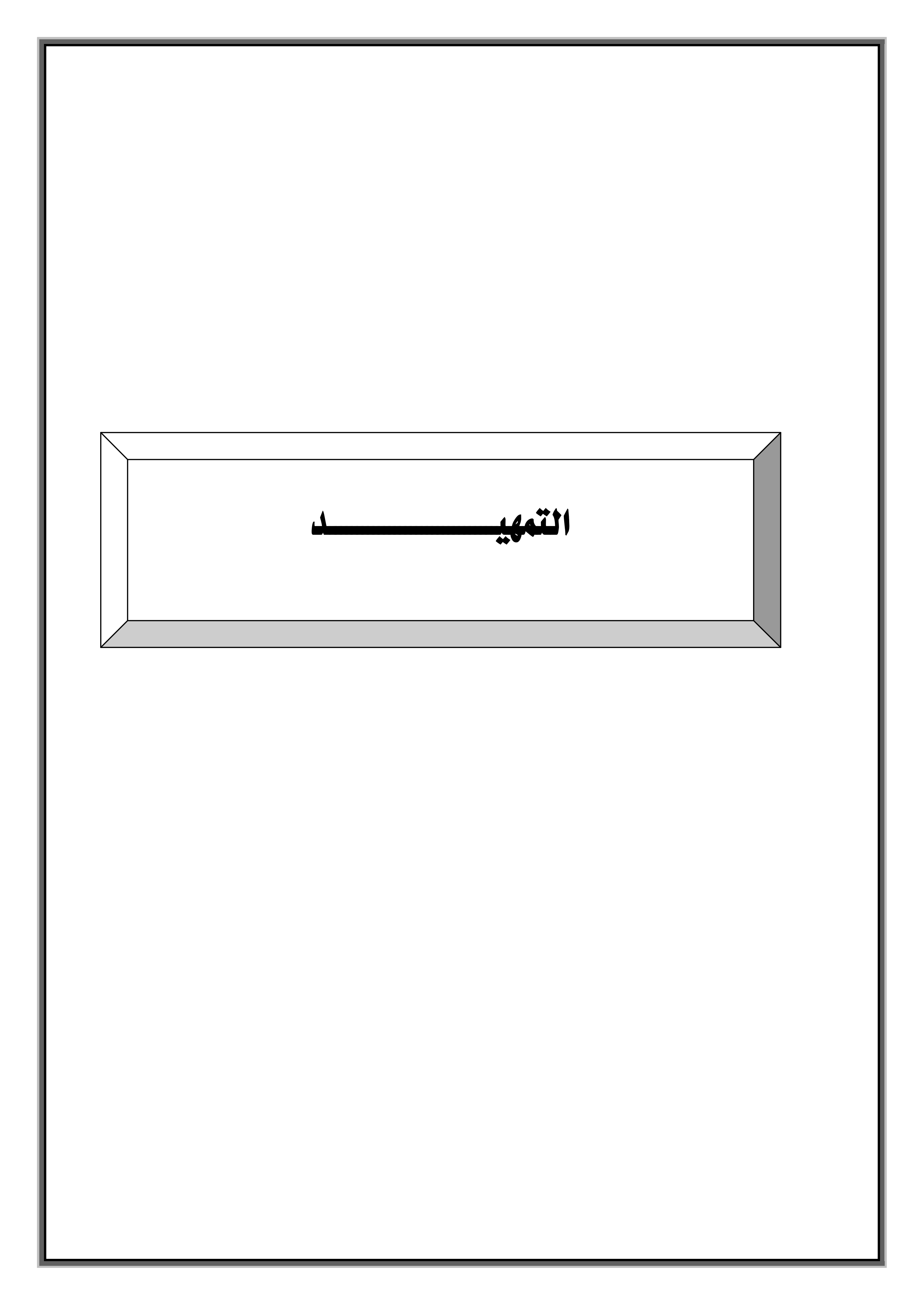
وفيها أوردت أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة، وهي وجهات نظر يمكن أن تفتح آفاقاً رحبة لأفكار ورؤى جديدة.

ولا بد من الاعتراف بأن رحلة البحث في آيات الهدى لم تكن بالسهلة واليسيرة، وقـــد اقتضـــت الوقت الطويل والصبر والتحمل الجميلين؛ ذلك لأن الموضوع متعلق بكلام الله.

وفي آخر المطاف أسجد شكرًا لله عز وجل المتفضل عليَّ والذي أعانني على إنجازي هـــذا البحث، فإن بدرت مني زلة أو عثرة فإني أطمع من الباري عز وجل غفرانها، وأعلن تـــوبتي عنـــها وتراجعي عن كل ما يقدح في كتابه الشريف الخالد، وحسبي في ذلك إخلاص النية وسلامة القصد؛ لأني طالبة علم وعملي جهد بشر مجبول على النقص.

وآخِر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.،،

فوزيه يحيى سعيد النجيمي



التمهيـــــــــــــــــــــــد

التمهيد:

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

فإن القرآن الكريم معجزة بلاغية خالدة تحدى الله عز وجل به الإنسان بل والجان في كل زمان ومكان، وإن أي عصر مهما تقدم في الدراسة الأدبية، فإنه لا يحيط بإعجاز القرآن الكريم، ولعله من توفيق الله عز وجل لي أن جعل القرآن الكريم بداية رحلتي العلمية في الماجستير، ولا شك أن البحث في بلاغة القرآن من أهم العلوم وأجلها، والاهتمام بدراسة بلاغة القرآن لها أثر كبير في إيمان المسلم بعلو فصاحته، وإعجازه.

وسأورد هنا آيات الهدى محل الدراسة؛ لتكون أمام القارئ الكريم قبل معالجة هذه الآيات بلاغيًّا.

وباستقصاء آيات الهدى في الذكر الحكيم اتضح أن مجمل الآيات (٢٥٨) آية موزعة على (٦٢) سورة من سور القران الكريم، ويجب أن أنبه إلى أن مادة (هـــ د ى) قد ترد في بعض الآيات أكثر من مرة، وبأكثر من صيغة، ومع هذا فإني أعد الآية التي بهذا الوصف آية واحدة من آيات الهدى، فسواء ذُكرت المادة في الآية مرة واحدة أو أكثر فهي آية من آيات الهدى، دون النظر إلى الهيئات والصيغ التي ترد عليها هذه المادة.

أما إذا تمسكنا بالنظرة المعجمية لها، والتي تعول على عدد هذه الهيئات والصيغ فيمكنني أن أقول: إن مجمل هذه الآيات هو (٣٠١) آية، وفيما يأتي بيانٌ بعدد ورود آيات الهدى في كل سورة من سور الذكر الحكيم بناء على هذا الحصر.

سورة الفاتحة : ورد في هذه السورة آية واحدة في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾

سورة البقرة : ورد في هذه السورة (٢٤) آية من آيات الهدى تكررت مادة (هـــ د ى) باختلاف صيغها (٣١) مرة، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾

٢- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾

٣- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ۝١٦ ﴾

٤- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٦ ﴾.

٥- ﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٣٨ ﴾.

٦- ﴿ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝٥٣ ﴾.

٧- ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

٨- ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

٩- ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

١٠- ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

١١- ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾.

١٢- ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾.

١٣- ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ

لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾.

١٤- ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾.

١٥- ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.

١٦- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

١٧- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾.

١٨- ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾.

١٩- ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ

يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾.

٢٠- ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾.

٢١- ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾.

٢٢- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾.

٢٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾.

٢٤-﴿ ۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾.

سورة آل عمران : ورد في هذه السورة (٨) آيات من آيات الهدى ذكرت هذه المادة باختلاف الصيغ ١٠ مرات، وذلك في قوله تعالى :

١- ﴿ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾.

٢- ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾.

٣- ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾.

٤- ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ ﴾.

٥- ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

٦- ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) ﴾.

٧- ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١) ﴾.

٨- ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) ﴾.

سورة النساء : ورد في هذه السورة (٩) آيات من آيات الهدى ذكرت هذه المادة باختلاف صيغها (٩) مرات، وذلك في قوله تعالى :

١- ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) ﴾.

٢- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) ﴾.

٣- ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٦٨) ﴾.

٤- ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨) ﴾.

٥- ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) ﴾.

٦- ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) ﴾.

٧- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧) ﴾.

٨- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) ﴾.

٩- ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (١٧٥) ﴾.

سورة المائدة : وردت في هذه السورة (٨) آيات من آيات الهدى تكررت هذه المـــادة بـــاختلاف صيغها (١٠) مرات، وذلك في قوله تعالى :

١- ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾.

٢- ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤ ﴾.

٣- ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٦ ﴾.

٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ ﴾.

٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾.

٦- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤ ﴾.

٧- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾.

٨- ﴿ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٠٨ ﴾.

سورة الأنعام : ورد في هذه السورة (٢٠) آية من آيات الهدى تكررت مـادة الهـدى بـاختلاف صيغها (٢٦) مرة، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٥ ﴾.

٢- ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾.

٣- ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧١ ﴾.

٤- ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ ﴾.

٥- ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ ﴾.

٦- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

٧- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

٨- ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾.

٩- ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

١٠- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

١١- ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾.

١٢- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

١٣- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾.

١٤- ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾.

١٥- ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠) ﴾

١٦- ﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٤٤) ﴾.

١٧- ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) ﴾.

١٨- ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) ﴾.

١٩- ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧) ﴾.

٢٠- ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) ﴾.

سورة الأعراف : ورد في هذه السورة (١٥) آية من آيات الهدى تكررت مادة الهـدى بـاختلاف صيغها (١٩) مرة، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

٣- ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

٤- ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

٥- ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾.

٦- ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾.

٧- ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾.

٨- ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾.

٩- ﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

١٠- ﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾.

١١- ﴿ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾.

١٢- ﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾.

١٣- ﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾.

١٤- ﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾.

١٥- ﴿ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾.

سورة التوبة : ورد في هذه السورة (٨) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهـدى بـاختلاف صيغها (٨) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾.

٢- ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

٣- ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

٤- ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

٥- ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

٦- ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

٧- ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

٨- ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

سورة يونس : ورد في هذه السورة (٧) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (١٢) مرة، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾.

٢- ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

٣- ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

٤- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٥- ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

٦- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

٧- ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

سورة يوسف : ورد في هذه السورة آيتان من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها مرتين، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

٢- ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾.

سورة الرعد : ورد في هذه السورة (٤) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٤) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٣- ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾.

٤- ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

سورة إبراهيم : ورد في هذه السورة (٣) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٤) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

٣- ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾.

سورة النحل : ورد في هذه السورة (١٢) آية من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (١٣) مرة، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

٣- ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

٤- ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

٥- ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

٦- ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

٧- ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

٨- ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

٩- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

١٠- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

١١- ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾.

١٢- ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾.

سورة الإسراء : ورد في هذه السورة (٦) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٨) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾.

٢- ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾.

٣- ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾.

٤- ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾.

٥- ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾.

٦- ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾.

سورة الكهف : ورد في هذه السورة (٥) آيات من آيات الهدى تكررت مـادة الهـدى بـاختلاف صيغها (٧) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾.

٣- ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

٤- ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾.

٥- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾.

سورة مريم : ورد في هذه السورة (٣) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٤) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾.

٢- ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾.

٣- ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾.

سورة طه : ورد في هذه السورة (٩) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (١٠) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾.

٢- ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾.

٣- ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾.

٤- ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾.

٥- ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾.

٦- ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

٧- ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

٨- ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

٩- ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

سورة الأنبياء : ورد في هذه السورة آيتان من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها مرتين، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

سورة الحج : ورد في هذه السورة (٧) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٨) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾.

٣- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾.

٤- ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٥- ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

٦- ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.

٧- ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾.

سورة المؤمنون : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

سورة النور : ورد في هذه السورة (٣) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٣) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٢- ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾.

٣- ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾.

سورة الفرقان : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾.

سورة الشعراء : ورد في هذه السورة آيتان من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها مرتين، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾.

٢- ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ ﴾.

سورة النمل : ورد في هذه السورة (٧) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (١٠) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٣- ﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

٤- ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

٥- ﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

٦- ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

٧- ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

سورة القصص : ورد في هذه السورة (٨) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (١١) مرة، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

٣- ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

٤- ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

٥- ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

٦- ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٖ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

٧- ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

٨- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٨٥﴾ ﴾.

سورة العنكبوت : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

سورة الروم : ورد في هذه السورة آيتان من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها مرتين، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٖۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

سورة لقمان : ورد في هذه السورة (٣) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٣) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ هُدٗى وَرَحْمَةٗ لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾.

٢- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

٣- ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠)﴾.

سورة السجدة : ورد في هذه السورة (٥) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٥) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣)﴾.

٢- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)﴾.

٣- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣)﴾.

٤- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)﴾.

٥- ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦)﴾.

سورة الأحزاب : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤)﴾

سورة سبأ : ورد في هذه السورة (٤) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٤) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾.

٢- ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٣- ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

٤- ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.

سورة فاطر : ورد في هذه السورة آيتان من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها مرتين، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾.

سورة يس : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

سورة الصافات : ورد في هذه السورة (٣) آيات من آيات الهدى، تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٣) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾.

٣- ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

سورة ص : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ﴾.

سورة الزمر : ورد في هذه السورة (٧) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٩) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ ﴾.

٢- ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾.

٣- ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾.

٤- ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾.

٥- ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾.

٦- ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.

٧- ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

سورة غافر : ورد في هذه السورة (٦) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٦) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾.

٢- ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾.

٣- ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

٤- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾.

٥- ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

٦- ﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ ﴾.

سورة فصلت : ورد في هذه السورة آيتان من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٣) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾.

سورة الشورى : ورد في هذه السورة آيتان من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٣) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾.

٢- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورًا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾.

سورة الزخرف : ورد في هذه السورة (٦) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٦) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠﴾.

٢- ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾.

٣- ﴿۞قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾.

٤- ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٧﴾.

٥- ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٠﴾.

٦- ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ٤٩﴾.

سورة الجاثية : ورد في هذه السورة (٣) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٣) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾.

٢- ﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

٣- ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

سورة الأحقاف : ورد في هذه السورة (٣) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٣) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾.

٣- ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾.

سورة محمد : ورد في هذه السورة (٤) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٥) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾.

٣- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾.

٤- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾.

سورة الفتح : ورد في هذه السورة (٣) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٣) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ ﴾.

٣- ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

سورة الحجرات : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

سورة النجم : ورد في هذه السورة آيتان من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها مرتين، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾.

٢- ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾.

سورة الحديد : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى تكررت مادة الهدى مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

سورة الصف : ورد في هذه السورة (٣) آيات من آيات الهدى تكررت مادة الهدى باختلاف صيغها (٣) مرات، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾.

٢- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

٣- ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

سورة الجمعة : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾.

سورة المنافقون : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾.

سورة التغابن : ورد في هذه السورة آيتان من آيات الهدى وتكررت مادة الهدى مرتين، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾.

٢- ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾.

سورة الملك : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

سورة القلم : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

سورة الجن : ورد في هذه السورة آيتان من آيات الهدى، وتكررت مادة هدى مرتين، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾.

٢- ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾.

سورة المدثر : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى وذلك في قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾.

سورة الإنسان : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾

سورة النازعات : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

سورة الأعلى : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾.

سورة البلد : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾.

سورة الليل : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾.

سورة الضحى : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾.

سورة العلق : ورد في هذه السورة آية واحدة من آيات الهدى، وذلك في قوله تعالى:

﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾

وبعد هذا الحصر الدقيق اتضح الآتي :

١. وردت آيات الهدى في (٦٢) سورة وهي (الفاتحة،البقرة،آل عمران،النساء،المائدة ، الأنعام، الأعراف،التوبة،يونس،يوسف،الرعد،ابراهيم،النحل،الإسراء،الكهف،مريم، طه،الأنبياء،الحج،المؤمنون،النور،الفرقان،الشعراء،النمل،القصص،العنكبوت، الروم، لقمان،السجدة،الأحزاب،سبأ،فاطر،يس،الصافات،ص،الزمر،غافر،فصلت،الشورى، الزخرف،الجاثية،الأحقاف،محمد،الفتح،الحجرات،النجم،الحديد،الصف،الجمعة،المنافقون، التغابن،الملك،القلم،الجن،المدثر،الإنسان،النازعات،الأعلى،البلد،الليل،الضحى،العلق).

٢. لم تحتو السور الآتية (الأنفال، هود، الحجر، الدخان، ق، الذاريات، الطور، القمر، الرحمن، الواقعة،المجادلة،الحشر،الممتحنة،الطلاق،التحريم،الحاقة،المعارج،نوح،المزمل،القيامة،المرسلات النبأ،عبس،الطور،الانفطار،المطففين،الانشقاق،البروج،الطارق،الغاشية،الفجر،الشمس

الشرح،التين،القدر،البينة،الزلزلة،العاديات،القارعة،التكاثر،العصـــر،الهمزة،الفيل،قريش،الماعون الكوثر،الكافرون،النصر،المسد،الإخلاص،الفلق،الناس) وعددها اثنتان وخمسون سورة على أي صيغة من مادة هدى، والسر في ذلك – والله أعلم – أن أغلب هذه السور التي لم تـــرد فيهـــا مادة هدى انقسمت ما بين مكية ومدنية، فالمكية (٤١) ســـورة، وهـــي تســـتهدف المقاصـــد الأساسية للعقيدة الإسلامية (الوحدانية،النبوة،البعث والجزاء).ومحور هذه السور يدور حـــول مصارع الطغاة والمكذبين لرسل الله في شتى الأزمان والعصور،وعرض الآيات الباهرة المنبثـــة في صفحة هذا الكون العجيب،وكأن هذه السور تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على ما يلقـــاه من أذى المشركين، وتثبيت قلبه أمام تلك الشدائد والأهوال.كما اشتملت أغلب هذه الســـور على الترغيب والترهيب،والتهديد والوعيد. أما بالنسبة للسور المدنية التي لم ترد فيهـــا مـــادة (هدى)؛ فلأنها عنيت بجانب التشريع، وبخاصة فيما يتعلق بالغزوات والجهاد، وعالجت النواحي الحربية التي ظهرت عقب الغزوات، وتضمنت كثيرًا من التشريعات الحربية.وأحكـــام الظهـــار والكفارة،وأحكام الطلاق وكيفية وقوعه،وآداب المجالس، وعدم مودة أعداء الله كما تحـــدثت عن المنافقين واليهود وفضح خططهم ومؤامراتهم.

٣. بلغت آيات الهدى (٢٥٨) آية،وتكررت مادة (هدى) في هـــذه الآيـــات (٣٠١) مـــرة باختلاف صيغها.

الفصل الأول

الخصائص البلاغية للمفردات في آيات الهُدَى

ويتضمن مبحثين:

١- الخصائص البلاغية في المفردة القرآنية من حيث مادتها في آيات الهدى.

٢- الخصائص البلاغية في المفردة القرآنية من حيث صيغتها في آيات الهدى.

الفصل الأول

المبحث الأول: الخصائص البلاغيـــة في المفردة القرآنية من حيث مادتها في آيات الهدى

المبحث الأول

الخصائص البلاغية في المفردة القرآنية من حيث مادتها في آيات الهدى

الألفاظ في القرآن الكريم ترد على أحسن حال، وأرقى مثال، ولما بين هذه الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها، يستخدم القرآن الكريم كل لفظة في موضِعها الأحق بها بدقة فائقة، "كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها، وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وفت به أختها، فكل لفظة وُضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا تجد في القرآن ترادفًا، بل فيه كل كلمة تحمل إليك معنى جديدًا، ولما بين الكلمات من فروق، ولما يبعثه بعضها في النفس من إيحاءات خاصة، دعا القرآن ألا يُستخدم لفظ مكان آخر، فقال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات: ١٤).فهو لا يرى التهاون في استعمال اللفظ، ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا تمويه، ولما كانت كلمة (راعنا) لها معنى في العبرية مذموم نهى المؤمنين عن مخاطبة الرسول بها فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(البقرة: ١٠٤)" [١].

وألفاظ القرآن الكريم كما يقول الراغب الأصفهاني : "هي لب كلام العرب، وزبدته، وواسطته، وكرائمه ...." [٢]والمفردة القرآنية " لها من حيث ذاتها أي بغض النظر عن موقعها من

---

(١) من بلاغة القرآن: ٥١- ٥٢، د/ أحمد بدوي.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ١٠ ، أبو القاسم، الحسن بن محمد الأصفهاني.

الآية أو الجملة خصائص جمالية تلتقي في عمومها مع السمات الجمالية للفظة في غير القرآن، ثم تتجاوزها إلى الإعجاز بما لها من خصائص في سياقها الذي ترد فيه"(١) .

وتمتاز المفردة القرآنية بثلاث مميزات رئيسية : "جمال وقعها في السمع، اتساقها الكامل مع المعنى، اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى"(٢) .

والقرآن الكريم له خصوصيات في استعمال الألفاظ تفرد بها، فقد اختص كثيرًا من الألفاظ باستعمالات معينة اقتصر عليها من ذلك:

أنه "استعمل (الرياح) حيث وردت في القرآن في الخير والرحمة، واستعمل (الريح) في الشر والعقوبات"(٣).

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾(الأعراف: ٥٧). في حين قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٧). وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾(الحاقة: ٦). ولم يستعمل الريح في الخير إلا في موطن واحد أعقبها بالشر في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ (يونس: ٢٢)، وهي خاتمة غير حميدة.

---

(١) الإعجاز البلاغي في قصة نوح عليه السلام: ٥٧، د. يحيى محمد عطيف.

(٢) التعبير الفني في القرآن الكريم: ١٥٨ ، د. بكري شيخ أمين.

(٣) البيان والتبيين: ٢٠/١ ، للجاحظ.

ومن ذلك "ما اختص به القرآن الكريم في استعمال العيون والأعين، فلم يستعمل العيون إلا لعيون الماء. وقد وردت كلمة (العيون) في القرآن الكريم في عشرة مواطن كلها بمعنى عيون الماء مثل قوله تعالى: ﴿ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [1] (الحجر: ٤٥)". وغير ذلك كثير.

وقبل أن أخوضَ غمار البحث والتحليل في المفردة القرآنية في " آيات الهدى في القرآن الكريم" مناط بحثي هذا، أود أن أذكر أني سأعود أولاً إلى المعاجم العربية لأبحث عن دلالة المفردة اللغوية مناط البحث، وهي مفردة (هدى) كما جاءت في المعاجم اللغوية المختلفة، ثم أعود بعد ذلك إلى التحليل البلاغي لها من خلال سياق الآيات الكريمة.

وسيكون منهجي بإذن الله هو تتبع آيات الهدى في كتاب الله عز وجل على نسق المصحف الشريف قدر المستطاع ابتداء من سورة الفاتحة، فأقول وبالله التوفيق.

مادة (هدى) في اللغة لها معنيان: الأول: الدلالة والإرشاد، والثاني: من الْهَدِيَّة.

يقول ابن فارس: " الهاء والدال والحرف المعتل، أصلان: أحدهما التقدم والإرشاد، والآخر بَعْثَةُ "لَطَفٍ".

فالأول: كقولهم : هديته الطريق هداية، أي تقدمته لأرشده، وكل متقدم لذلك هادٍ. قال الشاعر:

إذا كان هادي الفتى في البلاد *** صدر القناة أطاع الأمير

وهو "للأعشى" ويتشعب عن هذا، فيقال: الهُدى : خلاف الضلالة. تقول: هديتُه هدى. ويقال: أقبلت هوادي الخيل، أي أعناقها والهادية العصا؛ لأنها تتقدم مُمْسِكها، كأنه ترشده ...، والأصل

(١) التعبير القرآني: ١٥ ، للدكتور فاضل السامرائي.

الآخر الهدِية ما أهديت من لَطَفٍ إلى ذي مودة يقال: أهديت أهدي إهداء،... "[١]

ومن يتأمل الألفاظ المستمدة من مادة (هدى) في الذكر الحكيم يجد أن هذه المادة جاءت منسوبة لله تعالى، وللملائكة، وللرسول ﷺ، كما جاءت منفية عن الرسول ﷺ، كما جاءت منسوبة للقرآن الكريم، وللتوراة، والإنجيل. كما جاءت منسوبة للأصنام، ورؤساء الكفر وللشيطان. وفي كل هذه المواطن تنوعت دلالاهما، وتباينت معانيها، وسأحاول هنا بيان الخصائص البلاغية لهذه المادة في مختلف سياقاهما السابقة. وبالله التوفيق.

أولاً: الهداية المنسوبة لله تعالى:

هذا النوع من الهداية جاء في الذكر الحكيم على معنيين:

الأول: هداية الدلالة المطلقة:

وهي التي تكون لجميع الخلق المؤمن والكافر، فقد دل الله عز وجل المؤمن والكافر على الطريق المستقيم، وبيّنه لهم، وأرشدهم إليه.

الثاني: هداية التوفيق والمعونة:

وهذه خاصة بالمؤمن، فبعد أن دلّه الله عز وجل وآمن وصدق به، واعترف له بالفضل خصه تعالى بهداية التوفيق والمعونة.

النوع الأول: الهداية المنسوبة لله عز وجل، بمعنى الدلالة والإرشاد.

وقد ورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ (الفاتحة: ٦).

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٦/ ٤٢- ٤٣ ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا..

يقول السمين الحلبي في قوله تعالى : "اهدنا" "يراد به الدلالة : أي دلنا إليه، وأرشدنا إليه"(١) ، وقد تردد هذا المعنى في كتب التفسير يقول العلامة أبو السعود : "اهدنا" أي : "أرشدنا إلى الطريق المستقيم الموصلة إلى حضرة النعيم"(٢) .

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا أي : "دلنا دلالة، تصحبها من لدنك معونة غيبية"(٣) .

وقد فضل الذكر الحكيم التعبير بلفظة (اهدنا) دون غيرها من الألفاظ التي تقاربها في المعنى نحو : أرشدنا لسمات بلاغية منها:

- هذه المادة أبلغ وأوجز؛ لأنها تضم في ثناياها المعاني السابقة كلها، ولا منافاة بينها جميعها؛ لأن في قوله : (اهدنا) دعاء بالهدى والرشاد، وفيه طلب الثبات والزيادة.
- تتساوق مادة (اهدنا) مع سياقها أتم تساوق؛ لأن هذا الدعاء صادر من المؤمنين مع كونهم على الهداية، وهذا يعني سؤال التثبيت وطلب المزيد من الهداية، وفي هذا الدعاء أسمى ألوان الأدب، لأن هذا الدعاء قد تضرع به المؤمنون إلى خالقهم بعد أن اعترفوا له سبحانه وتعالى قبل ذلك بأنه هو المستحق لجميع المحامد. قال الإمام ابن كثير: "وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسؤله ثم يسأل حاجته، وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله : "اهدنا الصراط المستقيم"؛ لأنه أنجح للحاجة، وأنجع للإجابة، ولهذا أرشدنا الله إليه لأنه الأكمل"(٤) .

---

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ٤/ ٢٨٢ ، للشيخ أحمد يوسف المعروف بالحلبي.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١٤/١ ، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد، وانظر تفسير ابن عجيبه : ٩/١.

(٣) تفسير المنار: ٥٤/١ لمحمد رشيد رضا.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ١٣٦/١ لابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير.

- فإن قيل كيف يطلب المؤمنون الهدى، وهو حاصل لهم؟ فالجواب: "إن ذلك طلب للثبات عليه إلى الموت، أو الزيادة منه، فإن الارتقاء في المقامات لا نهاية له"[١].
- تؤمي هذه المادة دون سواها أن فيها رغبة من المربوب إلى الرب بالاستجابة؛ ولذا فهي أحق بالذكر من غيرها لهذا كله.

❖ ❖ ❖

وقد جاء على هذا المنوال من دلالة الهدى بمعنى الدلالة والإرشاد آيات كثيرة:

كقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ (البقرة: ١٦).

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ﴾ (البقرة: ٣٨)[٢].

هذا، وهداية الدلالة والإرشاد المنسوبة لله عز وجل – يندرج في طياتها دلالات أخرى متفرعة منها:

١- الهدى بمعنى البيان والبصيرة:

من ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (البقرة: ٥). فالهداية هنا بمعنى البيان والنور والبصيرة.

يقول ابن كثير: "المتصفون بما تقدم من الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، والإنفاق من الذي رزقهم، والإيمان بما أنزل الله إلى الرسول، وَمَنْ قبله من الرسل، والإيقان بالدار الآخرة، وهو

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ٢ لابن جزي.

(٢) ولعدم الإطالة على القارئ الكريم أشير إلى بقية مواطن ووردها بهذا المعنى مجملة: البقرة: (٧٠ – ١٥٠- ١٧٥ – ١٩٨)، آل عمران: (٢٠ – ١٠٣)، المائدة: (١٤٠)، الأنعام: (٥٦- ١٤٠- ١٦١)، الأعراف: (١٥٨- ١٥٩)، النساء: (٢٦ – ٥١)، يونس: (٣٥- ١٠٨)، إبراهيم: (١٢- ٢١)، النحل: (٩- ١٥- ٣٦)، الإسراء: (١٥)، طه: (١٢٣)، الأنبياء: (٧٣)، الحج: (٨)، النمل: (٤١)، القصص: (٣٧)، لقمان: (٢٠)، السجدة: (٣-٢٤)، الأحزاب: (٤)، يس: (٢١)، ص: (٢١)، فصلت: (١٧)، الزخرف: (١٠)، الفتح: (٢٠)، النجم: (٣٠)، الحديد: (٢٦)، الإنسان: (٣)، البلد: (٨)، الليل: (١٢).

يستلزم الاستعداد لها من العمل بالصالحات وترك المحرمات، فهو على نور وبيان وبصيرة من الله تعالى"(١) .

ويقول النيسابوري: "أولئك الموصوفون بهذه الصفات على هدى وبيان من ربهم، وأولئك هم الباقون في النعيم المقيم"(٢) .

ويقول البغوي قوله : ﴿على هُدًى﴾ أي : "رشد وبيان وبصيرة"(٣) .

لوحظ مما سبق أن المفسرين يرون أن معنى قوله : ﴿على هدى﴾ أي : على بيان ونور وبصيرة. وهنا أتساءل لماذا فضل الذكر الحكيم التعبير بهذه اللفظة دون غيرها من الألفاظ السابقة؟

أرى أن التعبير بهذه اللفظة هنا لسمات عديدة منها:

- أن لفظة ﴿هدى﴾ أوجز، وأوفى بالدلالة على المطلوب؛ لأنها تحمل في طياتها معنى الرشد والبيان، والبصيرة، ولفظ واحد أخصر من ثلاثة ألفاظ لا شك.
- انسجام لفظة ﴿هدى﴾ مع سياق الآية أتم انسجام، وذلك لأن المؤمنين المتصفين بما تقدم في الآيات السابقة من الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والإنفاق، وبالآخرة يوقنون لا يكونون إلا على هدى عظيم.
- تصور هذه اللفظة بدقة هيئة هؤلاء القوم المؤمنين، فهي تشعر بأنهم تمكنوا من الهدى تمكن من استعلى على الشيء، وصار في قرار راسخ منه.
- هذه اللفظة أوفق بنظم الآية الرائع، المتضمنة للعقيدة الصحيحة، والأعمال المستقيمة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ١/ ١٧١.
(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٤.
(٣) تفسير البغوي: ١/٦٣ .

– كما وصف الهدى بأنه من ربهم ؛ للتنويه بذلك الهدى وتشريفه مع الإشارة بأنهم بمحل العناية من الله، وكذلك إضافة الرب إليهم هي إضافة تعظيم الشأن.

❖ ❖ ❖

٢- **"هدانا" بمعنى أنقذنا ورزقنا الإسلام.**

من ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام: ٧١).

فقوله: (هدانا الله) بمعنى : أرشدنا وأنقذنا ورزقنا الإسلام.

يقول ابن عجيبة: "أنقذنا ورزقنا الإسلام، وهذا على الصحابة وأما النبي ﷺ، فلم يتقدم له الشرك لعصمته"[١] .

ويقول أبو السعود قوله: (بعد إذ هدانا الله) " أي إلى الإسلام، وأنقذنا من الشرك "[٢] .

وآثر الذكر الحكيم (هدانا) لما وراء هذا الإيثار من أسرار منها:

– أن لفظة (هَدَانا) أوجز وأبلغ، من أنقذنا من الشرك، ورزقنا الإسلام، وكما هو معلوم أن سبب نزول هذه الآية هو أن المشركين قالوا للمسلمين: اتبعوا سبيلنا، واتركوا دين محمد ﷺ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية . ففي هذا الفعل ردٌّ واضح على هؤلاء المشركين.

– تتفق لفظة (هدانا) مع سياق الآية أتم اتفاق، فقد وردت في سياق الحديث عن الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، واللوم على المشركين، ففي هذه الآية مثل جلي واضح لحالتي الشرك

---

(١) تفسير ابن عجيبة: ١٦١/٢ ، لابن عجيبة.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢/ ٣٨٣ ، لأبي السعود.

وضلاله، والتوحيد، وهدايته، قال الثعالبي: "وسياق هذا المثل كأنه قال: أيصلح أن يكون بعد الهدى نعبد الأصنام، فيكون ذلك منا ارتداد على العقب[(١)]".

- كما آثر الذكر الحكيم في هذه الآية (نرد) على (نرتد) "لتوجيه الإنكار إلى الارتداد برد الغير تصريحًا بمخالفة المضلين، وقطعًا لأطماعهم الفارغة، وإيذانًا بأن الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال ليحتاج إلى نفيه وإنكاره"[(٢)] .

❖ ❖ ❖

٣- **الهدى بمعنى التبين:**

ورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ (السجدة: ٢٦).

فقوله: (أو لم يهد لهم) بمعنى أو لم يتبين. يقول الطبري: "أو لم يبين لهم إهلاكنا القرون الخالية من قبلهم سنتنا فيمن سلك سبيلهم من الكفر بآياتنا، فيتعظوا وينزجروا"[(٣)].

ويقول ابن عاشور مبينًا سر اختيار الفعل هنا: "يهد من الهداية، وهي الدلالة والإشاد يقال: هداه إلى كذا، وضمن فعل (يهد) معنى (يُبين) ، فعدى باللام، فأفاد هداية واضحة بينة، واختير فعل الهداية في هذه الآية لإرادة الدلالة الجامعة للمشاهدة، ولسماع أخبار تلك الأمم تمهيدًا لقوله في آخرها: أفلا يسمعون"[(٤)] .

لكن لما آثرها الذكر الحكيم؟

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ١/٤٧٥، لأبي زيد بن عبد الرحمن الثعالبي.

(٢) تفسير أبي السعود: ٢/٣٨٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٠/٩٥، للطبري، وانظر فتح القدير : ٦/١٣ ، للشوكاني، وتفسير القرآن العظيم: ٦/٣٧٢، لابن كثير، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥/٣١٥ ، لأبي السعود، وروح المعاني: ٦/٢٢، للألوسي، وأنوار التتريل وأسرار التأويل: ٥/٣، للبيضاوي.

(٤) التحرير والتنوير: ٢١/ ٢٣٩.

- لأن لفظة (يهد) أوضح وأوجز، علاوة على أن سياق الآية في بيان قدرة الله عز وجل على الهداية، وتأكيد الحشر، وإثبات القدرة الإلهية بالمشاهدات المحسوسة، ومن ثم فإن لفظة (يهدي) المسبوقة بالاستفهام الانكاري أدل على ذلك، لما تشعر به من تخويف لكفار مكة وإرهابهم. كما ختم سبحانه الآية الكريمة بما يزيد في تبكيتهم وتقريعهم، فقال: (أفلا يسمعون).
- كما أن مجيء الفعل (يهد) "في صدر الآية مراعى فيه الفاصلة من حيث المعنى، فقد قال سبحانه: "أو لم يهد لهم" ، وهي موعظة سمعية؛ لكونهم لم ينظروا إلى القرون الهالكة، وإنما سمعوا بها، فناسب أن يأتي بعدها قوله: (أفلا يسمعون) "[1] .

وعلى غرار الآية السابقة ورد قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ (الأعراف: ١٠٠).

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ ﴾(طه: ١٢٨).

❖ ❖ ❖

٤- **الهدى بمعنى الإلهام:**

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ ﴾(طه: ٥٠). فقوله: (ثم هدى) بمعنى ألهم وبين وأرشد.

---

(١) الجدول في إعراب القرآن: ١٢٢/٢١ ، محمود عبد الرحيم صافي، وانظر إعراب القرآن وبيانه : ٧/ ٥٩١، محي الدين أحمد.

يقول الألوسي: " ثم هدى: أي : أرشد ودل سبحانه بذلك على وجوده ، فإن من نظر في هذه المحدثات وما تضمنته من دقائق الحكمة علم أن لها صانعًا واجب الوجود عظيم العطاء والجود"[١].

ويقول القرطبي: "أعطى كل شيء زوجه من جنسه، ثم هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه...، وقيل أعطى كل شيء ما ألهمه من علم أو صناعة"[٢] .

- ولا مانع من شمول الآية الكريمة لجميع ما ذكر أي أن الله أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه في الدنيا ثم هداهم إلى طريق الانتفاع به، ولا شك أنه أعطى كل صنف شكله وصورته المناسبة له، وأعطى كل ذكر وأنثى الشكل المناسب له من جنسه في المناكحة، والألفة، والاجتماع، وأعطى كل عضو شكله الملائم للمنفعة المنوطة به، فسبحانه جلا وعلا ما أعظم شأنه وأكمل قدرته.
- وآثر الذكر الحكيم الفعل (هدى) هنا دون غيره من الألفاظ التي تقاربه في المعنى نحو : أرشد، وألهم، وعرفه كيف يرتفق بما أعطي له لأسرار منها:

- أن لفظ (هدى) أوجز وأبلغ، لأنه يضم في ثناياه المعاني السابقة كلها قال الزمخشري: "ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه، وما أبينه لمن ألقى الذهن، ونظر بعين الإنصاف، وكان طالبًا للحق"[٣] .

(١) روح المعاني للألوسي : ١٢/ ١٧١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١١/ ٢٠٤.
(٣) الكشاف للزمخشري : ٤/ ١٤٦.

- تنسجم هذه اللفظة مع سياقها أتم انسجام، فموسى عليه السلام حين استدل على إثبات الصانع بأحوال المخلوقات في قوله: (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) قد أفحم فرعون، وقطع حجته بما ألهمه الله من علم وبيان، وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره، وشموله الموجودات بأسرها.
- ونظم الآية يؤكد ذلك حيث عبر بـــ (ثم) ، "وهي للترتيب بمعنييه الزمني والرتبي، أي: خلق الأشياء ثم هدى إلى ما خلقهم لأجله، وهداهم إلى الحق بعد أن خلَقهُم، وأفاض عليهم النعم على حد قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد: ٨-١٠).أي طريق الخير والشر، أي : فرقنا بينهما بالدلائل الواضحة"[١] .

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد: ٨-١٠).

فهديناه هنا بمعنى : ألهمناه، وعرفناه ودللناه عليه. يقول ابن عاشور: "الهداية هي الدلالة على الطريق المبلغة إلى المكان المقصود السير إليه، وقد استعيرت الهداية هنا للإلهام الذي جعله الله في الإنسان يدرك به الضار والنافع، وهو أصل التمدن الإنساني، وأصل العلوم والهداية بدين الإسلام إلى ما فيه الفوز...." [٢].

– ومن ثم فضل الذكر الحكيم التعبير بلفظة (وهديناه) على غيرها من الألفاظ التي تقاربها.

(١) التحرير والتنوير: ١٦/ ٢٣٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٥٥.

– لأن هذه اللفظة أبلغ وأوجز مما فسرت به، فهي تضم معاني كثيرة منها: ألم نعرفه طريق الخير وطريق الشر، وألهمناه طريق الخير والشر ودللناه عليه.

– كما أن هذه اللفظة تؤمي إلى بيان نعمة أخرى هي من أجل النعم وأعظمها وهي معرفة الإنسان طريق الخير من طريق الشر.

يقول ابن عاشور : "أي وهدينا هذا الإنسان، وأرشدناه إلى طريق الخير والشر عن طريق رسلنا الكرام، وعن طريق ما منحناه من عقل يميز به بين الحق والباطل، ومن ثم وهبناه الاختيار لأحدهما"[١] .

– نظم الآية الرائع يؤثر التعبير (هديناه) لأن فيه تذكيرًا للإنسان ببعض نعمه عليه في خاصة نفسه، وفي صميم تكوينه، وفي خصائص طبيعته واستعداداته تلك النعم التي لم يشكرها، ولم يقم بحقها عنده.

وبعد أن تعرضت لبعض الآيات التي جاءت الهداية فيها منسوبة لله عز وجل أؤكد على أن المعنى العام للهداية في هذه الآيات كان بمعنى الدلالة والإرشاد.

وتفرع عن هذا المعنى الرئيسي معانٍ أخرى أوضحتها، وقد آثر الذكر الحكيم التعبير بكل ما اشتق من مادة (هدى)، لأنه جاء أوفى بالمراد، وأدق وأخصر من غيره علاوة على نكات وأسرار أخرى ذكرتها في موضعها.

❖ ❖ ❖

---

(١) التحرير والتنوير: ٣٥٥/٣٠، وانظر التفسير الوسيط: ٤٥١١/١ ، لسيد طنطاوي.

النوع الثاني: هداية المعونة والتوفيق المنسوبة لله تعالى:

من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦).

فقوله: "يهدي به كثيرًا" أي : يعين، ويوفق إليه كثيرًا.

وهذا ما دار حوله كلام المفسرين يقول الخازن في قوله: " (يهدي به) يعني المؤمنين يصدقونه ويعلمون أنه حق"[١]

يقول القرطبي : أي "يوفق ويخذل" [٢].

وآثر لفظة (يهدي) هنا؛ لأنها أبلغ وأوجز، فهي تضم في ثناياها المعاني السابقة كلها، ولا منافاة بينها جميعًا، فيهدي الله أي يوفق ويرشد ويعين المؤمنين بضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.

– هذه اللفظة أشد انسجامًا مع سياقها فقد ذكر المفسرون أنه تعالى لما ضرب المثلين المتقدمين في السورة قال الكفار: ما هذه الأمثال؟ الله عز وجل أجل من أن يضرب هذا المثل فنزلت الآية، وقال ابن قتيبة: "إنما نزلت لأن الكفار أنكروا ضرب المثل في غير هذه السورة بالذباب والعنكبوت"[٣]

فناسبت لفظة (يهدي) سياق الآية لأن الغرض من ضرب المثل الهداية أو الضلال.

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل: ٢٢/١، لعلاء الدين محمد إبراهيم الخازن.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٤/١، للقرطبي.

(٣) المحرر الوجيز: ٤٥/١، لابن عطية.

– هذه اللفظة تشير إلى أن الحكمة من ضرب الأمثال في القرآن الكريم زيادة الهداية، أو أن تكون زيادة في الضلال، فلذلك عبر المولى عز وجل بـــ (يهدي) ؛ لأنها ضد (يضل)، ولا يضل بضرب الأمثال إلا الخارجون عن طاعة الله.

– مناسبة هذه اللفظة لنظم الآية الرائع حيث وصف المهديون بالكثرة، والقلة هي صفتهم في الحقيقة. قال تعالى:" ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾(سبأ: ١٣). ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾(ص: ٢٤). ؟ قلت أهل الهدى كثير في أنفسهم، وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال، ولأن القليل من المهتدين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة"[١].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(آل عمران: ١٠١).

فالهداية هنا بمعنى التوفيق.

يقول الطبري: أي : "وفق لطريق واضح، ومحجة مستقيمة غير معوجة فيستقيم به إلى رضى الله، وإلى النجاة من عذاب الله والفوز بجنته"[٢] .

وفضل الذكر الحكيم لفظة (هُدي) على غيرها من الألفاظ التي تقاربها في المعنى كما سبق لأسرار منها:

(١) الكشاف: ٧٣/١ ، للزمخشري، وانظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/ ٣٥ للنسفي.
(٢) تفسير الطبري: ٦١/٧ ، وانظر الكشاف: ٣٠٥/١ ، والقرطبي: ١٥٦/٤ .

- أن لفظة (هُدي) تضم في ثناياها المعاني السابقة كلها، و"البلاغة الإيجاز كما يقولون، والإيجاز في القرآن عنوان من عناوين الإعجاز التي لا تتناهى"[(١)].
- هذه اللفظة أشد تناسبًا مع نظم الآية الرائع حيث سبقت لفظة (هُدي) بقد التي تفيد معنى التحقق كأن الهدى حصل وتحقق.

قال الزمخشري: "ومن يتمسك بدينه، فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول: إذا جئت فلاناً فقد أفلحت، كأن الهدى قد حصل، فهو يخبر عنه حاصلاً، ومعنى التوقع في (قد) ظاهر، لأن المعتصم بالله متوقع للهدى..." [(٢)].

❖ ❖ ❖

وقد جاء على هذا المنوال من دلالة الهدى بمعنى المعونة والتوفيق آيات كثيرة كقوله تعالى:

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ١٤٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(البقرة: ١٤٣).

وقوله تعالى : ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(البقرة: ٢١٣).

---

(١) من الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية: ٩٧ ، للدكتور عبد الله عبد الغني سرحان.

(٢) الكشاف: ٢/ ٣٠٥.

وقوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(البقرة: ٢٧٢).[١]

❖ ❖ ❖

وكما وردت مادة (هدى) وما يشتق منها بمعنى المعونة والتوفيق مثبتة، وردت كذلك بهذا المعنى لكن عن طريق النفي بمعنى لا يوفق ولا يعين، وقد ورد هذا في جانب غير المؤمنين من الكافرين- والفاسقين- والظالمين، في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(البقرة: ٢٥٨).

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(البقرة: ٢٦٤).

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٦).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (المائدة: ٥١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(المائدة: ٦٧).

---

(١) وهناك آيات أخرى كثيرة وردت فيها الهداية بمعنى التوفيق والمعونة أحيل القارئ الكريم إلى مواطنها: آل عمران : (٨- ٨٦)، النساء: (٦٨- ١٧٥) ، المائدة: (١٦- ١٠٨)، الأنعام: (٧٧- ٨٠- ٨٢- ٨٤- ٨٨- ٩٠- ١١٧- ١٢٥- ١٦١)، الأعراف: (٣٠- ٤٣- ١٧٨)، التوبة: (١٨)، يونس: (٩- ٢٥)، الرعد: (٢٧- ٣١) ، إبراهيم: (٤)، النحل: (٣٦- ١٠٤- ١٢١)، الإسراء: (٩٧)، الكهف: (١٧- ٢٤)، الحج: (١٦- ٥٤)، النور: (٣٥- ٤٦)، الشعراء: (٦٢)، العنكبوت: (٦٩)، الروم: (٢٩)، السجدة: (١٣)، الصافات: (٩٩)، الشورى: (١٣)، الجاثية: (٢٣)، محمد: (١٧)، الحجرات: (٢٧)، التغابن: (١١)، المدثر: (٣١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ (المائدة: ١٠٨)*.

❖ ❖ ❖

ثانيًا: - الهداية المنسوبة للملائكة:-

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ (الصافات: ٢٢- ٢٣).

فالخطاب في قوله: (فاهدوهم) للملائكة، ومعنى فاهدوهم أي: دلوهم، وعرفوهم، وأرشدوهم يقول البقاعي: أي: "دلوهم دلالة لا يرتابون معها ليعرفوا مع ما هم فيه من الإكراه على سلوكها مآلهم، فيكون ذلك أعظم في نكدهم"[(١)].

ويقول ابن عاشور وآثر هنا الهداية، وهي لا تكون إلا في الخير تهكمًا بهم وسخرية من المشركين، "فذكر فاهدوهم هنا تهكم بالمشركين"[(٢)].

- **فالتعبير بالهداية أسلوب تهكمي؛ لأنها لا تكون إلا لطريق الجنة والنعيم، لا إلى صراط الجحيم، وفيها زيادة الحسرة عليهم.**

---

* وهناك آيات أخرى كثيرة تحمل في طياتها هذا المعنى أحيل القارئ الكريم إلى مواضعها خشية الإطالة: الأنعام: (١٤٤)، التوبة: (١٩- ٢٤- ٣٧- ٨٠- ١٠٩)، النحل: (٣٧- ١٠٧)، القصص: (٥٠)، الزمر: (٣)، غافر: (٢٨)، الأحقاف: (١٠)، الصف: (٥- ٧)، الجمعة: (٥)، المنافقون: (٦)

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/ ١١٣، للبقاعي، وانظر الكشاف: ٥/٤٦٠، والمحرر الوجيز: ٥/٤٠٨، والدر المنثور: ٨/٣٢٥، لعبد الرحمن السيوطي، وفتح القدير: ٦/١٩١، للشوكاني، وتفسير ابن عجيبة: ٥/٢٨، لابن عجيبة.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٣/ ١٠٢، لابن عاشور.

- علاوة على أن هذه اللفظة تتسق دون غيرها مع السياق أتم اتساق، فالسياق في ذكر مواقف يوم القيامة، وذكر أحوال هؤلاء الكفار في الآخرة حيث يساقون إلى نار جهنم.
- وهذا ما يتلاءم مع نظم الآية الرائع حيث "أشار إلى طول وقوفهم وسوء مقامهم بقوله: بأداة الانتهاء إلى صراط الجحيم" أي : طريق النار الشديدة التوقد الواضح الذي لا لبس عندهم بأنه يشترطهم، فيؤديهم إليها....." [(١)].

وهذه هي الآية الوحيدة التي نسبت فيها الهداية بمعنى الإرشاد والدلالة إلى الملائكة على وجه التهكم بالمشركين.

❖ ❖ ❖

(١) تفسير البقاعي : ١١٤/٧.

ثالثًا: الهداية المنسوبة للرسول ﷺ:

وورد من ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢).

فقوله: "وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم" الخطاب فيها للرسول ﷺ. والمعنى: وإنك لترشد وتدل، فالهداية هنا بمعنى الدلالة، وهي مثبتة للرسول ﷺ بتبليغه القرآن الكريم، وبيانه لمنهج الله تعالى، فقد دل كل الناس على الطريق المستقيم، وبينه لهم.

يقول البقاعي: في قوله تعالى: (وإنك لتهدي) "أي: تبين وترشد، وأكده لإنكارهم ذلك"[(١)] .

ويقول السعدي: "تبينه لهم وتوضحه، وتنيره وترغبهم فيه ..."[(٢)]

وآثر المولى عز وجل لفظة (تهدي) على غيرها مما يقاربها في المعنى، لأن لفظة (تهدي) أوجز وأخصر مما فسرت به؛ لأن معناها إنك أيها الرسول الكريم لتدل وترشد بإذن الله إلى صراط مستقيم وهو الإسلام، وهذا يدل على فضل هذه اللفظة التي لا يمكن لغيرها أن يغني غناءها.

– تلاؤم ما اختتمت به الآية مع ما بدئت به لينسجم البدء والختام. يقول القطان: "وهكذا تنتهي هذه السورة الكريمة بالحديث الذي بدأت به عن الوحي، والذي كان محورها الرئيسي"[(٣)].

وهكذا يتضح أن الهداية المنسوبة للرسول ﷺ جاءت بمعنى الدلالة والإرشاد والبيان دون غيرها.

❖ ❖ ❖

---

(١) نظم الدرر: ٧/ ٤٣٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ف تفسير كلام المنان: ٧٦٢/١، للسعدي.

(٣) تفسير القطان: ٢١٢/٣.

رابعًا: الهداية المنفية عن الرسول ﷺ:

وهي هداية التوفيق والمعونة من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يونس: ٤٢-٤٣).

الخطاب في قوله: (أفأنت تهدي العمي)للرسول عليه السلام.

والاستفهام في قوله : "أفأنت تهدي" للنفي والإنكار أي أنت لا تهدي العمي إلى طريق الإيمان. أي لا توفقهم إليه، وإنما التوفيق له سبحانه وتعالى.

- فالهداية المنفية هنا هداية التوفيق، وهي خاصة به سبحانه وتعالى.

يقول الطبري: "ومن هؤلاء المشركين، مشركي قومك من ينظر إليك يا محمد، ويرى أعلامك وحججك على نبوتك، ولكن الله قد سلبه التوفيق فلا يهتدي، ولا تقدر أن تهديه، كما لا تقدر أن تحدث للأعمى بصرًا يهتدي به"[١] .

وآثر الذكر الحكيم هنا لفظة (تهدي) المسلط عليها النفي؛ لأن لفظة (تهدي) أوفى بالدلالة على المطلوب؛ لأن معناها إنك أيها الرسول الكريم لا تقدر على هداية المشركين إذا كانوا فاقدي البصيرة، وإنما ذلك كله لله وحده، فالهداية المنفية عنه هنا ﷺ هي هداية التوفيق والمعونة.

- تتلاءم هذه اللفظة دون غيرها مع السياق؛ لأن السياق في تقرير نبوة محمد ﷺ وتسليته ﷺ على عدم إيمان قومه مع ظهور الأدلة، وقوة البراهين، وإعلام له بأن وظيفته البلاغ فحسب.

---

(١) تفسير الطبري: ١٥/ ٩٦.

- مجيء لفظة (تهدي) مسبوقة بالاستفهام الإنكاري فيها دلالة على أنه لا يقدر على إسماعهم، وهدايتهم إلا الله عز وجل: "بالقسر والإلجاء، كما لا يقدر على ردّ الأصم و"الأعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل، إلا هو وحده"[١].

❖ ❖ ❖

ومن الهداية المنفية عن الرسول ﷺ:

ما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(القصص: ٥٦).

فقوله : (لا تهدي) أي لا تقدر على هداية من أحببت.

يقول الزمخشري: (لا تهدي) بمعنى: "لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم، لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره، وهو الذي يعلم القابلين من الذين لا يقبلون"[٢] .

وقد أجمع جل المفسرين " على أنها نزلت في شأن أبي طالب عم النبي ﷺ"[٣].

ويقول السعدي: "يخبر – تعالى– أنك يا محمد وغيرك من باب أولى – لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية التوفيق، وخلق الإيمان في القلب،

(١) الكشاف: ٣/ ٢١.
(٢) تفسير الزمخشري: ١٥٩/٥.
(٣) تفسير القرطبي: ١٣/ ٢٩٩.

وإنما ذلك بيد الله سبحانه وتعالى، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله"(١).

وقد فضل الذكر الحكيم التعبير بقوله: (لا تهدي) دون غيره من الألفاظ التي تقاربه في المعنى نحو: لا تقدر – لا تخلق لنكات منها:

- أن قوله: (لا تهدي) أوجز وأخصر مما فسر به، فهو يحمل جميع المعاني السابقة الذي ذكرها المفسرون.
- تشير الهداية المنفية هنا إلى أن "خاصية الهداية خاصة بالربوبية، وخاصية الربوبية لا تكون لمخلوق، ولو كان أكمل الخلق(٢)".
- نظم الآية الكريمة يؤكد على أن "الهدى المنفي عن الرسول ﷺ في قوله: (إنك لا تهدي من أحببت) هو هدى التوفيق، لأن التوفيق بيد الله وحده، وأن الهدى المثبت له ﷺ في قوله: (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) (الشورى: ٥٢) هو هدى الدلالة على الحق والإرشاد إليه"(٣).

❖ ❖ ❖

وهذا المعنى من دلالة الهدي المنفي عنه ﷺ جاء في آيات متعددة منها:

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (البقرة: ٢٧٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١/٦٢٠، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي.

(٢) تفسير ابن عجيبة: ٤/ ٤٤٠، لابن عجيبة.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ٦/ ١٥٤، لمحمد الأمين بن محمد الشنقيطي.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (النمل: ٨١).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾(الروم: ٥٣).

وقوله تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِي ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزخرف: ٤٠).

❖ ❖ ❖

خامسًا: الهداية المنسوبة للقرآن الكريم:

ورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٥).

فقوله : (هدى للناس) أي: القرآن الكريم هدى للناس. ومعنى الهدى في هذه الآية : الإرشاد والبيان والدلالة.

يقول الطبري: "الإرشاد إلى سبيل الحق وقصد المنهج"[1].

ويقول العلامة ابن عاشور: "الإرشاد إلى المصالح العامة والخاصة التي لا تنافي العامة، كما أن المقصود بالهدى الثاني في الآية: ما في القرآن من الاستدلال على الهدى الخفي الذي ينكره كثير من

---

(١) تفسير الطبري: ٤٤٨/٣ ، وانظر الماوردي : ١٣٠/١.

الناس، مثل أدلة التوحيد، وصدق الرسول، وغير ذلك من الحجج القرآنية"[١].

– وقد فضل الذكر الحكيم التعبير بلفظة (هُدَى) دون غيرها من الألفاظ التي تقاربها في المعنى نحو (مرشدًا – ودالاً) لسمات بلاغية عديدة منها:

– لفظة (هُدَى) أوجز لأنها تضم في ثناياها المعنيين السابقين، فالقرآن الكريم مرشدًا للناس، ودالاً لهم على الطريق.

– حروف هذه المادة لمن يُجريها على لسانه بدقة وتأمل يجدها ألصق بالغرض، وأفخم وأعظم، فتأمل جرس الهاء المضمومة الخارجة من أقصى الحلق، وما فيها من فخامة وتعظيم ، ثم صوت الدال المنونة على ما في طبيعتها من الجهر والشدة والقلقلة؛ كل ذلك يصور أن القرآن نزل هاديًا للناس، ومبينًا لهم سبيل الهدى، موضحًا طريق الفوز والنجاة، فارقًا لهم بين الحق والباطل في كل شئون الحياة، وغيرها من الألفاظ لا يدل بجرسه على هذا المعنى.

❖ ❖ ❖

ومن الهداية المنسوبة للقرآن الكريم ورد أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(الإسراء: ٩).

ذكر المفسرون أن (يهدي) في الآية بمعنى يدعو، ويدل، ويرشد قاله السمرقندي، والثعالبي[٢].

فلماذا آثرها الذكر الحكيم دون غيرها من الألفاظ التي تقاربها في المعنى؟

(١) التحرير والتنوير: ٢/ ١٧٣ بتصرف يسير.

(٢) انظر بحر العلوم: ٢/ ٤٩٨، للسمرقندي، وانظر الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٦٩ للثعالبي.

أقول آثر الذكر الحكيم ذلك لأسرار منها:

- لفظة (يهدي) أدق وأوجز؛ لأنها تضم في ثناياها المعاني السابقة كلها. قال الشيخ الشنقيطي: "هذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق، وأعدلها، وأصوبها....... فمن ذلك توحيد الله جلا وعلا، فقد هدى القرآن فيه للطريق التي هي أقوم الطرق، وأعدلها، وهي توحيده جلا وعلا في ربوبيته، وفي عبادته، وفي أسمائه وصفاته..." [(١)].

- انسجام لفظة (يهدي) مع سياق الآية أتم انسجام، فسياق الآية في الغاية من إنزال القرآن الكريم، ومن ثم مدح الله تعالى القرآن الكريم بثلاث صفات: يهدي لأقوم الطرق؛ وأوضح السبل، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات.

- علاوة على أن الفعل (يهدي) يتواءم مع "الغرض الأهم من سورة الإسراء وهو تأييد النبي ﷺ بالآيات والمعجزات، وإيتاؤه الآيات التي أعظمها القرآن"[(٢)].

❖ ❖ ❖

وقد جاء على هذا المنوال من دلالة الهدى المنسوبة للقرآن الكريم آيات كثيرة:

كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٢).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٩٧).

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ١٧/٣ للشنقيطي، وانظر موسوعة الصحيح المسبور في التفسير بالمأثور: ٣/ ٢٢٤ للدكتور: حكمت بن بشير ياسين.

(٢) التحرير والتنوير: ١٥/ ٣٩.

وقوله تعالى: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ (المائدة: ١٦).

وقوله تعالى: ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾ (الأنعام : ١٥٧).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٣)*.

سادسًا: الهداية المنسوبة للتوراة والإنجيل:

وورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ (آل عمران: ٣-٤).

فقوله: "وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس" أي: بيانًا وإرشادًا لهم للحق ولم تخرج كتب التفسير عن هذا المعنى.

يقول العلامة السمرقندي : "وأنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى عليهما السلام، بيانًا لبني إسرائيل من الضلالة، وأنزل الفرقان على محمد ﷺ بعد التوراة والإنجيل"[1] .

---

* ولخشية الإطالة أحيل القارئ إلى مواطن بقية الآيات التي وردت فيها الهداية منسوبة للذكر الحكيم: التوبة : (٣٣)، يونس: (٥٧)، يوسف: (١١١)، النحل: (٦٤- ٨٩- ١٠٢)، الإسراء: (٥٥- ٩٤)، النمل: (٢- ٧٧- ٩٢)، لقمان: (٣) ، سبأ: (٦)، الزمر: (٢٣)، فصلت: (٤٤)، الجاثية: (٢٠)، الأحقاف: (١١- ٣٠) ، النجم: (٢٣)، الجن: (٢- ١٣).

(١) بحر العلوم: ١/ ٢٣٩، لأبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي.

ويقول الشيخ حقي قوله "هدى للناس" أي: "أنزلهما لهداية الناس، وفيه لف بدون النشر لعدم اللبس لأن كون التوراة هدى للناس في زمان موسى عليه السلام، وكون الإنجيل هدى لهم في زمان عيسى فاختصر لذلك" (٢).

وآثر الذكر الحكيم هذه المادة على غيرها؛ لأنها أوجز وأخصر مما فُسر به، فلو قال وأنزل التوراة والإنجيل من قبل إرشادًا، وبيانًا للناس فيما اختلفوا فيه لطال الكلام، فالقرآن الكريم يصطفي اللفظ الأدق في المعنى، والأكثر ثراء في الدلالة على المراد.

– مجيء هذه المادة على تلك الصيغة مُراعى فيه حال المخاطبين، "فإن قيل لم وصف القرآن في أول سورة البقرة بأنه (هدى للمتقين) (البقرة : ٢) ، ولم يصفه هنا بذلك، قيل إنما وصفه – هناك– بذالك ؛ لأن المتقين هم المتفعون به، فهو هدى لهم لا لغيرهم، وها هنا فالمناظرة كانت مع النصارى، وهم لا يهتدون بالقرآن، فلا جرم لم يقل هنا في القرآن إنه هدًى، بل قال إنه حق في نفسه– سواء قبلوه أو ردوه– وأما التوراة والإنجيل فهم يعتقدون صحتهما، ويدعون أنهم إنما يعولون في دينهم عليهما، فلا جرم ، وصفهما بكونهما هدى"(١).

ومما سبق يتبين أن الهداية المنسوبة للتوراة والإنجيل لم تخرج عن المعنى العام للهداية، وهو البيان والإرشاد والدلالة على الخير.

❖ ❖ ❖

كما ورد من الهداية المنسوبة للإنجيل فحسب:

قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾(المائدة: ٤٦).

---

(٢) تفسير الشيخ حقي: ٢/ ١٢٥.

(١) تفسير اللباب : ٣/ ٤٢٤ ، وانظر تفسير الخازن: ١/ ٣٣٥.

وقد طالعت كتب كثير من أهل التفسير، فوجدت أن الهداية في هذه الآية بمعنى: الإرشاد على أصل المعنى.

يقول ابن عطية: الهدى: "الإرشاد والدعاء إلى توحيد الله، وإحياء أحكامه"[٢].

– وقد وقعت هذه اللفظة في موقع سديد، فالإنجيل فيه "هدى من الجهالة، وضياء من عمى البصيرة، ومصدقًا لما بين يديه من التوراة، وهذا ليس بتكرار للأول، لأن في الأول الإخبار بأن عيسى مصدقًا لما بين يديه من التوراه.

وفي الثاني : الإخبار بأن الإنجيل مصدق للتوراة، فظهر الفرق بين اللفظتين، وأنه ليس بتكرار"[١].

ويجوز أن يكون كرر (هدى) كما قال ابن كثير: "كرر مادة (هدى) لزيادة المبالغة في التنويه بشأن الإنجيل، فهو مشتمل على ما يهدي الناس إلى الحق والخير، وهو في ذاته هدى لأنه مترل من عند الله"[٢].

– في لفظة (هدى) دون غيرها دليل على أن الإنجيل يتضمن البشارة بمحمد ﷺ، فيكون سبب لاهتداء الناس إلى نبوة محمد ﷺ، وأما كون الإنجيل موعظة فلما فيه من المواعظ البليغة، والزواجر والأمثال. وخص المتقين بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ.

– كما أن تنوين (هدًى ونور) للتفخيم بشأن الكتاب.

❖ ❖ ❖

(٢) تفسير ابن عطية: ٢/ ٢٩٨.

(١) تفسير الخازن: ٢/ ٢٩٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٢٦/٣.

وقد ورد هذا المعنى من دلالة الهدى المنسوبة للتوراة والإنجيل معًا، أو لأحدهما في آيات أخرى كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (المائدة: ٤٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنعام: ٩١)*.

❖ ❖ ❖

سابعًا: الهداية المنسوبة إلى الأصنام ورؤساء الكفر:

ورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (يونس: ٣٥).

(يهدي) الأولى منسوبة للشركاء بوجه عام صنم أو غيره.

* ولعدم الإطالة أحيل القارئ إلى مواضع آيات أخرى: الأنعام: (١٥٤)، الإسراء: (٢) ، المؤمنون: (٤٩)، القصص: (٣٧- ٤٣)، السجدة: (٢٣) ، غافر: (٥٣-٥٤).

يقول السمين الحلبي: "وهذا استفهام توبيخ لهم على ما اتخذوه من دون الله إلهًا يُعبد، وإنْ كان من أشرف الناس، وخيرهم كالمسيح وعُزَير وَالملائكة. يعني أن الله وحده هو الذي يهدي كل أحد، وغيره لا يَهْدي غيره إلا أنْ يهديه الله" (١).

وقد آثر الذكر الحكيم التعبير بهذا الفعل دون غيره لأسرار منها:

- أن لفظة (لا يَهِدِّي) أقدر بحروفها على تصوير هيئة الرؤساء، والمضلين الذين لا يرشدون أنفسهم إلى هدى إلا أن يرشدوا، والقرآن الكريم يتأنق في اختيار الألفاظ التي هي أقدر على تصوير المواقف المختلفة.
- تساوق لفظة (لا يهدي) مع سياقها أتم تساوق ؛ لأن السياق في حجاج المشركين لبيان الحق لهم، ودعوتهم إلى اتباعه. "وإنما نفي الاهتداء مع أن المفهوم مما سبق نفي الهداية كما ذكر لما أن نفيها مستتبع لنفيه غالبًا، فإن من يهتدي إلى الحق لا يخلو عن هداية غيره في الجملة، وأدناها كونه قدوة له بأن يراه فيسلك مسلكه"(١) .
- تؤمي هذه اللفظة إلى بيان قصور الأصنام وعجزها، وتنبيه على قدرة الله عز وجل.

ومن أسرار التعبير بهذه اللفظة (لا يَهِدِّي) ما توحيه "اللغة فيها من عملية تخفيف جَرْس لسلامة نطقها، واستقامة اللغة العربية، فنحن نعرف أن (يهدي) أصلها يهتدي... ويهتدي فيها هاء ساكنة، وتاء، ودال، وياء.. وفيها تقارب لمخارج الحروف، وهذا التقارب يجعل المعنى غائمًا، والنطق ثقيلاً، فتقوم اللغة بعملية إبدال وإدغام، وتخلص من التقاء الساكنين فتصل إلى مسامعنا

---

(١) عمدة الحفاظ: ٤/ ٢٨٤.

(١) تفسير الألوسي: ٧/ ٤٩٨.

كما أنزلها الله تعالى لسلامة النطق وجمال المعنى؛ لأن القرآن أدب اللغة بكلام السماء؛ لتكون خالدة اللفظ والمعنى، فإذا كنتم على طريق هداية، فالأصل في الهداية هو الله تعالى"[١] .

– كما أن لفظة (لا يهدي) أوفى بالدلالة على المطلوب، فقد عدى فعل (هدى) إلى الحق (بإلى) مرتين، وفي الثالثة عداه باللام؛ لأن الهداية عندما أسندت إلى الكفار وأصنامهم وجبت تعديتها (بإلى) التي تفيد البعد، وعندما أسندت لله تعالى وجب تعديتها (باللام) التي تفيد القرب، فكأنها مملوكة لله تعالى، وهو المتفرد بها على وجه الديمومة والكمال.

ثامنًا: الهداية المنسوبة للشيطان:

وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾(الحج: ٤).

فالضمير في قوله : (يهديه) عائد على الشيطان المذكور قبل ذلك وكما هو مفهوم من سياق الكلام.

ومعنى (يهديه): يدله، فالشيطان يضل من اتبعه عن طريق الحق والخير، ويهديه للشر؛ لأن معنى الهدى: الدلالة مطلقًا، فإن دلت على خير فهي هداية، وإن دلت على شر فهي أيضًا هداية.

يقول الطبري قوله (ويَهديه) أي: "ويسوق من اتبعه إلى عذاب جهنم الموقدة، وسياقه إياه إليه بدعائه إلى طاعته ومعصية الرحمن، فذلك هداية من تبعه إلى عذاب جهنم"[٢].

ويقول ابن عطية قوله : (ويهديه) أي : "يدله على طريق ذلك، وليست الهدى بمعنى الإرشاد على الإطلاق"[٣] .

---

(١) تفسير الشعراوي: ١/ ٣٩٤٠.

(٢) تفسير الطبري: ١٨/٥٦٦.

(٣) تفسير ابن عطية: ٤/٤٨١ ، وانظر ابن عجيبه : ٤/ ١٢٥ ، والوجيز: ١/٥٤٥.

وآثر المولى عز وجل التعبير بهذه اللفظة دون غيرها هنا:

- لما توحيه هذه اللفظة من التهكم بمن يتبع هذا الشيطان؛ إذْ سمى سبحانه قيادة الشيطان لأتباعه هداية.

- كما أن لفظة (يهديه) أوفى بالدلالة على المراد؛ لأن فيها استهزاء وسخرية حيث أنها إلى عذاب السعير، فاتباع الشيطان يؤدي إلى الضلال في الدنيا، وإلى عذاب النار في الآخرة.

- تنسجم هذه اللفظة مع سياقها أتم انسجام، حيث عبر سبحانه وتعالى بقوله: (كُتب) وهو أبلغ من قضي، فهو تمثيل لثبوت الأمر على ذلك الشخص المتبع للشيطان كأنه مكتوب عليه، كما أن التعبير بالطباق في قوله: (يضله ويهديه) زجر من الله تعالى لكل شيطان مريد، لأن مَنْ وافق الشيطان لا يهديه إلا إلى الضلال، وفي الآخرة يتبرأ من موافقته، ويلعن جملة مُتبعيه، فنعوذ بالله من الشيطان ونزغاته، ومن درك الشقاء.

❖ ❖ ❖

<u>ومما يتصل بالخصائص البلاغية للمفردات في آيات الهدى من غير مادة (هدى):</u>

<u>استعمال (الذي) في موضع، و(ما) في موضع آخر:</u>

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠).

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٤٥).

فالآية الأولى ورد فيها "الذي" وفي الثانية "ما" ، وهذا يعود إلى المراد "بالعلم فيها العلم الكامل، وهو معرفة الله وصفاته، وبأن الهدى هدى الله فناسب ذكر (الذي) ؛ بكونه أبلغ في التعريف من (ما). وعبر بـــ (ما) في الآية الثانية؛ لأن المراد بالعلم فيها العلم بأن قبلة الله هي الكعبة وهي علم خاص، فناسب ذكر (ما) معه" [١].

"وجعل علماء اللغة (ما) الموصولة بمعنى (الذي)، تعبير غير دقيق؛ لأنهما مختلفان من حيث المعنى، ومن حيث الأحكام، فأما افتراقهما من حيث الأحكام فليس هذا مجال بحثه، لكنه مفصل في كثير من كتب النحو"[٢].

أما أوجه اختلافهما في المعنى "فإن (ما) اسم مبهم في غاية الإبهام، حتى إنها تقع على كل شيء، وتقع على ما ليس بشيء، ألا ترى أنك تقول : إن الله عالم بما كان وما لم يكن، وما لم يكن معدوم، والمعدوم ليس بشيء، فلفرط إبهامها لم يجز الإخبار عنها حتى توصل بما يوضحها"[٣].

أيضًا يقول البقاعي: "أنه لما كان الكلام هنا في أمر الملة التي هي ظاهرة للعقل أسقط من وأتى بالذي بخلاف ما يأتي في القبلة فقال: أشارت كلمة (الذي) إلى معنى قريب من الظاهر المحسوس كأنه علم ظاهر، ففيه إنباء بأن أدنى ما جاءه من العلم مظهر لإبطال ما هم عليه في وجوه تلبيسهم وأهوائهم وجاءك من العلم بأنهم على ضلال وأنك على جميع الهدى"[٤] .

❖ ❖ ❖

---

(١) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن: ١٩- ٢٠ ، للأنصاري.

(٢) نتائج الفكر في النحو: ١٨٠- ١٨١، لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي، وانظر بدائع الفوائـــد: ١٣١- ١٣٢، لابن القيم.

(٣) نتائج الفكر في النحو : ١٨٠.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١/ ٢٣٥.

ومما يجري هذا المجرى أيضًا إيثار (الذي) في موضع و (ما) في موضع آخر:

وذلك في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣).

ومن يتأمل هنا الآية الكريمة يلاحظ أن قوله تعالى: (ما وصى به نوحًا) وقوله تعالى: (ما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى...) جيء بالموصول (ما)، وفي قوله: (والذي أوحينا إليك) جيء بالموصول (الذي) فما السر في ذلك؟

يظهر في بادئ الرأي أنه مجرد تفنن بتجنب تكرير الكلمة ثلاث مرات متواليات، و"لكن ليس الأمر كذلك فالاختلاف لغرض معنوي مقصود؛ لأن الذي وإخوته هي الأصل في الموصولات، فهي موضوعة في أصل الوضع للدلالة على من يعين بحالة معروفة هي مضمون الصلة، و (الذي) يدل على معروف عند المخاطبة بصلته"[١].

فيكون مجيء (ما وصى به نوحًا وما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى) بلفظ (ما) لمناسبة أنها شرائع بَعُد العهد بها، فلم تكن معهودة عند المخاطبين إلا إجمالاً فكانت "نكرات لا تتميز إلا بصفتها، وأما إيثار الموحى به النبي ﷺ باسم (الذي)؛ فلأنه شرع متداول فيهم معروف عندهم، فالتقدير: شرع لكم شيئًا وصى به نوحًا وشيئًا وصى به إبراهيم وموسى وعيسى، والشيء الموحى به إليك، ولعل هذا من نكت الإعجاز المغفول عنها"[٢].

❖ ❖ ❖

(١) تفسير أبي السعود: ٨/ ٢٥، وانظر روح المعاني: ٢٥/ ٣٢، والتحرير والتنوير: ٢٥/ ٥٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٥/ ٥٢.

ومن ذلك أيضًا إيثار (نرد) على (نرجع)

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام: ٧١).

آثر المولى عز وجل قوله (نرد على أعقابنا) على أن يقال (نرجع إلى الكفر بعد الإيمان) فما السر في هذا الإيثار؟

أقول : لأن معنى الرد على العقب الرجوع إلى وراء لعلة في المشي، كما أن التعبير بالرد على الأعقاب فيه زيادة في تقبيحه "بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الإشارة إلى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر"[١] .

- علاوة على ما توحيه هذه اللفظة من الهزيمة والخيبة والعجز عن السير المحمود.
- كذلك تنسجم هذه اللفظة مع سياقها أتم انسجام، فسياق الآية في الحديث عن الصورة المنفرة للشرك والمشركين وهي الارتداد إلى العقب وهذه أقبح حالة عند العرب.
- كما أن لفظة (نرد) أوفى بالدلالة على المطلوب ، "لأن هذا التحول المذموم ليس من شأنه أن يقع من عاقل؛ لأن العاقل إذا وصل إلى مرتبة عالية من العلم والكمال فإنه لا يختار الرجوع عنها، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير وأعلى، فإذا كانت فطرته وعقله يأبيان عليه هذه الردة والنكوص فكيف يرد وهو لا يرتد"[٢].

❖ ❖ ❖

(١) تفسير أبي السعود: ٢/ ٣٨٣.

(٢) تفسير المنار: ٧/ ٤٣٦ ، لمحمد رشيد رضا.

ومن ذلك أيضًا إيثار الوصف (بكذاب) في موضع و (بمرتاب) في موضع آخر:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر: ٢٨).

❖ ❖ ❖

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ (غافر: ٣٤).

فما السر في ذلك؟ لعل السر في ذلك أنه لما قال تعالى في الآية الأولى: "وإن يك كاذبًا فعليه كذبه" "ناسب مسرف كذاب"[١] . فسياق الآية في الحديث عن قصة الإيمان والطغيان ممثلة في دعوة موسى عليه السلام لفرعون الطاغية الجبار، فهو مسرف في عزمه على قتل موسى عليه السلام، كذاب في إدعائه الإلهية، والله لا يوفق من هذا شأنه وصفته. كما تدل هذه اللفظة على التعريض بفرعون وجنوده.

ولما قال تعالى في الآية الثانية: (فما زلتم في شك مما جاءكم به" "ناسب مسرف مرتاب"[٢] .

لأن سياق الآية كان في يوسف عليه السلام والمعجزات التي جاء بها، التي لم يزل قومه شاكين فيه، وفي رسالته كافرين بما جاء به من عند الله، فلذلك ختمت بقوله: مسرف مرتاب، فالله يضل كل مسرف في العصيان ، شاك في الدين بعد وضوح الحجج والبراهين.

---

(١) كشف المعاني: ٣٣٥ ، لابن جماعة.

(٢) المرجع نفسه: ٣٣٥.

ويقول البقاعي: "ولما كان السياق للشك في الرسالة والقول بالظن الذي يلزم منه اتهام القادر سبحانه بالعجز، أو مجانبة الحكمة قال: مرتاب أي يشك فيما لا يقبل الشك ويتهم غيره بما لاحظ للتهمة فيه ... "[١].

❖ ❖ ❖

وهكذا بعد التحليل البلاغي لمادة (هدى وما اشتق منها) في القرآن الكريم ظهر بجلاء لماذا فضل الذكر الحكيم هذه المادة على غيرها من المواد التي تقاربها في المعنى، وذلك لأمور منها:

- أنها المادة الوافية الشاملة، والأكثر تحملاً للمعاني المختلفة، بحسب ما يقتضيه السياق القرآني، وتمكنها في الدلالة على المراد.
- والنظم القرآني يتنـــزه عن إمكان تبديل كلماته من غير أن يتغير المعنى، وهو يُبين لمتدبره أنه لم يكتفِ بانتقاء المفردة الخاصة بالمعنى المحدد المطلوب، بل راعى أبعادها الصوتية والصرفية ثم توظيفها بعد ذلك في السياق . وهكذا تميز النظم القرآني بالدقة في اختيار ألفاظه التي لا يسد غيرها مسدها . يقول حنفي محمد شرف: "كل لفظ من ألفاظ القرآن، وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا تجد فيه ترادفًا بل كلمة تحمل إليك معنى جديدًا"[٢] .
- كما اتضح أيضًا من خلال ما سبق أن الهداية في القرآن الكريم تسند إلى الله تعالى وهي نوعان: هداية دلالة وإرشاد، وهداية توفيق ومعونة.
- كما بين سبحانه أن هداية التوفيق والمعونة خاصة بالمؤمنين، كما بين المطرودين من هداية التوفيق، وهم الكافرون، والفاسقون، والظالمون، والخائنون.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٦/ ١٥٣.

(٢) الإعجاز البياني بين النظرية والتطبيق : ٢٢٢، حنفي محمد شرف.

- كما وردت الهداية منسوبة للرسول ﷺ ، وهي نوعان: مثبتة له، وهي هداية الدلالة والإرشاد، ومنفية عنه، وهي هداية التوفيق.

- كما نسبت الهداية للملائكة على وجه التهكم بالكفار، كما أسندت الهداية إلى القرآن الكريم، وإلى التوراة والإنجيل، وكذلك نسبت للأصنام، والشياطين على سبيل التهكم.

- وأكثر أنواع الهداية ورودًا هي المنسوبة لله تعالى كما بينت بجلاء.

- وبناءً على هذا يخرج من آيات الهدى: الْهَدْي : بمعنى ما يهدي إلى الحرم من النعم كقوله تعالى: ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا﴾ (الفتح: ٢٥).

- والهَدِية: مُختصة باللطف الذي يُهدِي بعضنا لبعض،كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ (النمل: ٣٥).

- لأن مناط البحث هو الأصل المعجمي المكون من : الهاء والدال والحرف المعتل.

* ولست أدعي أني في ذلك بلغت ما لم يبلغه غيري، أو أنني لم أترك زيادة لمستزيد، والكمال لله وحده.

❖ ❖ ❖

الفصل الأول

المبحث الثاني: الخصائص البلاغية في المفردة القرآنية من حيث صيغتها في آيات الهدى

الفصل الأول:

المبحث الثاني: الخصائص البلاغية في المفردة القرآنية من حيث صيغتها في آيات الهدى:

علا القرآن الكريم على جميع أجناس الكلام البشري، وأعجز الجميع عن الوصول إلى سر روعته، وبهائه وإعجازه، فألفاظه بنظمها وبنائها، وصياغاتها ووزنها وطريقة استعمالها بلغت قمة الإعجاز البياني.

ومن يتأمل في النظم القرآني الكريم يجد أنه يستعمل الكلمة، ويراعي كيفية بنائها ووزنها، ويلائم بين كل هذا، وبين المعنى الذي تؤديه العبارة بدقة تامة، وروعة ما بعدها روعة.

فموضوع الصيغ في القرآن موضوع واسع متشعب الأطراف متعدد المناحي غير أني آثرت أن أبحث باختصار أمورًا أراها ذات أهمية فيما أحسب في آيات الهدى، وإن كان التعبير كله مهمًا، ولا شك أن كل صيغة فيه، وضعت في مكانها المناسب لها لا يغني غيرها غناءها.

وأعني بالصيغة هنا ورود الكلمة على حالة معينة من الصيغ التي نجدها في تصريف الكلمة.

والقرآن الكريم يستعمل أبنية الكلمة، وصيغها المختلفة في غاية الدقة، ونهاية الجمال، فقد يؤثر المصدر على اسم الفاعل تارة، وصيغة المبالغة على اسم الفاعل تارة أخرى، وجمع القلة على الكثرة، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، والتعبير بأفعل التفضيل عن اسم الفاعل، وغير ذلك .

وسأعرض في هذا المبحث أثر اختلاف صيغ بعض آيات الهدى متبعة في ذلك ترتيب المصحف الشريف في عرضه لهذه الآيات.

❖ ❖ ❖

فقد وُصف القرآن الكريم بالمصدر (هُدى)في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٢).

الأصل أن يقال: (هادٍ)؛ لكنه وُصف بالمصدر إشارة إلى أنه بلغ في الهداية غاية الغايات، فأصبح هو الهداية نفسها، وذلك دليل على ديمومته واستمراره على هذه الهداية.

يقول ابن عاشور وقد "حصل من وصف الكتاب بالمصدر من وفرة المعاني ما لا يحصل لو وصف باسم الفاعل، فقيل هاد للمتقين، فهذا ثناء على القرآن، وتنويه به، وتخلص للثناء على المؤمنين الذين انتفعوا بهديه فالقرآن لم يزل، ولن يزال هدى للمتقين، فإن جميع أنواع هدايته نفعت المتقين في سائر مراتب التقوى، وفي سائر أزمانه، وأزمانهم على حسب حرصهم، وَمَبَالِغ عِلْمِهِمْ واختلاف مطالبهم ....". (١)

ويقول الزمخشري أخبر عن القرآن بأنه هدى للمتقين "فقرر بذلك كونه يقينًا لا يحوم الشك حوله، وحقًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"(٢).

❖ ❖ ❖

ومن إيثار التعبير بالمصدر (هدى) ما جاء أيضًا في قوله تعالى :﴿ الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ (لقمان: ١-٣).

حيث عبر المولى عز وجل بالمصدر (هدى) عن اسم الفاعل (هاديًا)؛ لأن الوصف بالمصدر (هدى) أبلغ من الوصف باسم الفاعل، لأنه يجعل الموصوف عين الهداية، فالقرآن هدًى في نفسه هادٍ لغيره.

---

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٢٢٧.

(٢) الكشاف: ١/١٥٠ ، وانظر التفسير الكبير : ٢/٢٦٩.

وقد حصل من وصف آيات الكتاب بالمصدر (هدى) من وفرة المعاني ما لا يحصل لو وصف باسم الفاعل كما مر ذكره.

وفائدة زيادة وصف الكتاب بـــ (رحمة) بعد (هدى)، "أنه لما كان المقصد من هذه السورة قصة لقمان، نبه أن ذكر القصة رحمة لما تتضمنه من الآداب والحكمة، لأن في ذلك زيادة على الهدى، أنه تخلق بالحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، والخير الكثير رحمة من الله تعالى".(١)

❖ ❖ ❖

ومن إيثار التعبير القرآني بالمصدر (هدى) ما جاء أيضًا في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ (الجاثية: ١١).

الهدى في هذه الآية يعود على القرآن الكريم المذكور في أول السورة من قوله تعالى: ﴿حمٓ ① تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الجاثية: ١-٢).

أي: أن هذا القرآن المنزل إليك يا -محمد- في أعلى درجات الهداية وأكملها. ووصف القرآن بأنه (هدى) من الوصف بالمصدر للمبالغة، أي: هاد للناس، فمن آمن به فقد اهتدى، ومن كفر به، فله العذاب لأنه حرم نفسه من الهدى، فالمقصود بالهدى أنه "في غاية الكمال من الهداية كأنه نفسها".(٢)

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٠).

---

(١) التحرير والتنوير: ١٤١/٢١.

(٢) روح المعاني: ٢٥/ ٢٢٠.

فقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن (الكتاب) الذي أنزله على محمد ﷺ بأنه بصائر وهدى ورحمة، فالتعبير بالمصدر (هدى) للمبالغة، كما حصل من وصف القرآن بالمصدر من وفرة المعاني ما لا يحصل لو وصف باسم الفاعل (هاديًا) فالتعبير بالمصدر أبلغ كما مر التأكيد عليه، وقرن البصائر والرحمة مع الهدى هنا؛ لأن "هذا القرآن بما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلب كما جعل روحًا وحياة، وهو هدى من الضلالة، ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن".[١]

يقول ابن عاشور: "وإنما كان هدى؛ لأنه طريق نفع لمن اتبع إرشاده، فاتباعه كالاهتداء للطريق الموصلة إلى المقصود، وإنما كان رحمة لأن في اتباع هديه نجاح الناس أفرادًا وجماعات في الدنيا، لأنه نظام في مجتمعهم ومناط أمنهم، وفي الآخرة لأنه سبب نوالهم درجات النعيم الأبدي".[٢]

وجعل الهدى والرحمة لقوم يوقنون؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بحجج القرآن، وبهداياته، ولا يرحم به إلا من اتبعه، وأيقن به وبما فيه من شرائع".[٣]

كما وصفت أيضًا التوراة فحسب بالمصدر (هدى) دون اسم الفاعل (هاديًا) وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (المائدة: ٤٤).

---

(١) الكشاف: ٥/٤٨٦.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٥/٣٥٠.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٥/ ٣٥١ ، بتصرف.

حيث وصف المولى عز وجل التوراة بالمصدر (هُدًى) لتعظيم وتفخيم شأنها، ففيها الهداية والنور، والتبشير بمحمد ﷺ ووجوب اتباعه.

فالتعبير بالمصدر (هُدًى) أبلغ من الوصف باسم الفاعل (هاديًا)، حيث أراد الله تعالى أن يُبين شرف التوراة قبل أن تمتد إليها التحريف والتبديل، ويدل على شرفها بأن الله تعالى – هو الذي أنزلها على موسى عليه السلام.

والغرض من وصف التوراة بالمصدر (هدى) بيان الحكم الذي جاء اليهود يستفتون فيه النبي ﷺ، وهو وجوب رجم الزاني، وقد سبق بيان هذا الحكم في التوراة؛ لأنها مبينة صحة نبوة محمد ﷺ، فهذا تنبيه من الله تعالى لليهود المنكرين لوجوب الرجم، وترغيب لهم أن يكونوا كمتقدميهم من الأنبياء ومسلمي أحبارهم.

❖ ❖ ❖

كما وصف الإنجيل فحسب بالمصدر (هدى) بدلاً من اسم الفاعل (هاديًا) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٤٦).

فقد عبر المولى عز وجل بالمصدر (هدى) لأنه أبلغ، ويحمل الكثير من المعاني، فالإنجيل هدى من الضلال، ونور لبيان الأحكام من الحلال والحرام، ومصدق لما قبله من التوراة.

كما أن وصف الإنجيل بالمصدر (هدى) دليل على تفخيم شأنه، فالآية تتحدث عن بني إسرائيل، فأخبر الله تعالى أنه أعطى عيسى عليه السلام الإنجيل فيه هدى، كما تضمن البشارة بمحمد ﷺ ، فيكون سبب اهتداء الناس إلى نبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

ومن يتأمل كذلك يلحظ أن النظم الحكيم لم يصف الإنجيل مباشرة، أو يخبر عن الإنجيل مباشرة بأنه هدى بل قال (فيه هدى) كما مر قبل في التوراة، وفي هذا دلالة على أن الله سبحانه وتعالى لم يتعهد بحفظه بل أوكل أمر حفظه إلى أهله، لذا قال (فيه) وهذا يدل على أنه يتغير ويصيبه التحريف بخلاف القرآن الكريم فإن الله تعهد بحفظه على مدى العصور والأزمنة ووصل إلينا كما أنزله الله تعالى لم يتغير ولم يتبدل؛ لأنه خاتم الكتب السماوية، واشتمل على الشرائع كاملة.

❖ ❖ ❖

ومرة يصف التوراة والإنجيل معًا بالمصدر (هدى) بدلاً من اسم الفاعل (هاديًا). وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ (آل عمران: ٣-٤).

حيث دّل التعبير بالمصدر على المبالغة في الهداية كأن التوراة والإنجيل جُعلا نفس الهدى، كما قُدم قوله : (من قبل) على المصدر (هدى) للاهتمام به، ولكي لا يتوهم أن هدى التوراة والإنجيل مستمر بعد نزول القرآن الكريم، وفي التعبير بالمصدر كذلك سلاسة واضحة في التعبير؛ لأنه لو جاء باسم الفاعل لقال: "وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هاد للناس" فتذهب الفخامة وتتلاشى العذوبة والسلاسة لمن يتأمل ويتذوق الفرق بينهما.

كما أن الإتيان – بهدى– على صيغة المصدر فيه أيضًا مراعاة لحال المخاطبين، "فهم يعتقدون صحتهما، ويدعون أنهم إنما يعولون في دينهم عليهما، فلا جرم، وصفهما بكونهما هدى"[(١)] مراعاة لما يعتقدون، وبذلك يعلمون صدقية الذكر الحكيم المترل من عند رب العالمين.

❖ ❖ ❖

(١) تفسير اللباب: ٣/ ٤٢٤، وانظر تفسير الخازن: ١/٣٣٥.

وهنا ملمح دقيق لاح لي من إيثار التعبير بالمصدر الثلاثي (هدى) على المصدر الخماسي (اهتداء) الذي لم يرد في القرآن الكريم مطلقًا. وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾(محمد: ١٧).

حيث عدل الذكر الحكيم من التعبير بالمصدر الخماسي (اهتداء) إلى المصدر الثلاثي (هدى) وهذا دليل على أن القرآن الكريم يؤثر المصدر الثلاثي، لأنه أخف في اللفظ، وأكثر استعمالاً، ودقة وبراعة، ومبالغة في المعنى.

يقول الرازي في قوله : (زادهم هدى) معناه: "كانوا مهتدين، فزادهم على الاهتداء هدى حتى ارتقوا من درجة المهتدين إلى درجة الهادين، ويحتمل أن يقال: قوله: (زادهم هدى) إشارة إلى العلم (وآتاهم تقواهم) إشارة إلى الأخذ بالاحتياط فيما لم يعلموا".(١)

كذلك في التعبير بالمصدر (هدى) تفخيم لشأن المؤمنين المهتدين، واستهزاء بالمنافقين، فالمنافقون طبع الله على قلوبهم بالكفر، والمؤمنون زادهم الله هدى؛ لأن من منهج القرآن الكريم الموازنة والمقارنة بين الأضداد؛ وذلك لأن سياق الآية في بيان حال المنافقين والمهتدين عند سماع آيات التوحيد والعقيدة.

❖ ❖ ❖

وقد يستخدم القرآن الكريم صيغة اسم الفاعل من الثلاثي (هدى) دون غيرها، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾(النمل: ٨١).

(١) تفسير الرازي: ١٤/١٠٠ .

حيث عبر المولى عز وجل باسم الفاعل (هادي) للدلالة على أن الرسول ﷺ لا يستطيع صرف المشركين عن ضلالتهم، فعمد إلى تسليط النفي هنا على "الجملة الاسمية للدلالة على ثبات النفي، وأكد ذلك الثبات بالباء المزيدة لتأكيد النفي"[١] .

❖ ❖ ❖

ومرة أخرى يستخدم اسم الفاعل من الخماسي (اهتدى) وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٤٩).

يقول ابن عاشور عبر الذكر الحكيم باسم الفاعل (مهتدون) للإشارة إلى أنه منصرف للمستقبل "فمهتدون اسم فاعل مستعمل في معنى الوعد، وهو منصرف للمستقبل بالقرينة، كما دل قوله: (ينكثون)، وسموا تصديقهم إياه اهتداء؛ لأن موسى سمى ما دعاهم إليه هديًا كما في آية النازعات: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾(النازعات: ١٩) "[٢].

ويقول الزمخشري: "فإن قلت : كيف سموه بالساحر مع قولهم: (إننا لمهتدون)؟ قلت: قولهم: (إننا لمهتدون) وعد منوي إخلافه، وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط أن يدعو لهم، وينكشف عنهم العذاب ألا ترى إلى قوله تعالى: (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون)، فما كانت تسميتهم إياه بالساحر بمنافية لقولهم : (إننا لمهتدون)، وقيل: كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم على السحر" .[٣]

---

(١) التحرير والتنوير: ٣٧/٢٠.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٥/ ٢٨٨.

(٣) الكشاف: ٥/ ٤٤٨- ٤٤٩ ، وانظر فتح القدير : ٧٩٥/٤.

كما أفاد التعبير باسم الفاعل التعريض بقريش؛ لأنهم يقرون بالرسول عند الحاجة إلى دعائه في كشف العذاب عنهم، وهذا قدح لهم فيما يدعون من الثبات والشجاعة.

❖ ❖ ❖

كما آثر الذكر الحكيم التعبير بأفعل التفضيل (أهدى) على المصدر (هدى) في قوله تعالى: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾(الزخرف: ٢٤).

للإشارة إلى أن الرسول ﷺ جاء بأهدى وأرشد الأديان، لكن المشركين أبوا أن يقبلوا هذا الدين، واتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم في الكفر والضلال.

كما "أن التعبير بالتفضيل المقتضي أن ما عليه آباؤهم فيه هداية، لم يكن إلا لإلجائهم إلى الاعتراف بحقيقة نياتهم التي يضمرونها، كأنه يتترل معهم إلى أبعد الحدود، ويرخي العنان لهم، ليعترفوا".[1] أو أن صيغة التفضيل هنا كما يقول الشنقيطي: "لُمطلق الوصف، لأن آباءهم لاشيء عندهم من الهداية أصلاً"[2].

❖ ❖ ❖

كما آثر المولى عز وجل التعبير بأفعل التفضيل المسلوب المفاضلة (أهدى) على اسم الفاعل (مهتد) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(الملك : ٢٢).

لأن الآية واردة في الحديث عن المؤمن والكافر والمقارنة بينهما، فهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر كالأعمى الماشي على غير هدى وبصيرة لا يهتدي إلى الطريق. أما المؤمن فهو

---

(١) الجدول في الإعراب: ٢٥/ ٧٨، محمود عبد الرحيم صافي، وانظر إعراب القرآن وبيانه: ٧٨/٩، محي الدين أحمد مصطفى.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٧/ ١٠٠، للشنقيطي.

يسير على نهج واضح لا يزيغ. "وهذا الاستفهام لا تراد حقيقته، بل المراد منه أن كل سامع يجيب بأن الماشي سويًّا على صراط مستقيم أهدى".[١]

"والمفاضلة هنا ليست مقصودة؛ لأن الذي يمشي مكبًّا على وجهه لا شيء عنده من الهداية أو الرشد إطلاقًا حتى يفاضل مع غيره، وفيه لون من التهكم بهذا المكب على وجهه"[٢]. وهذا هو السر بالتعبير بأفعل التفضيل دون اسم الفاعل الذي لا يصح أن يوضح هنا، فكل صيغة في الذكر الحكيم لا يمكن أن يسد غيرها مسدها، فسبحان ربي العليم الحكيم.

❖ ❖ ❖

كما آثر الذكر الحكيم التعبير بالجملة الاسمية (وما أنا من المهتدين) على الجملة الفعلية (وما اهتديت). وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام: ٥٦).

حيث عدل الذكر الحكيم من التعبير بالجملة الفعلية الملائمة للفعلية التي قبلها في قوله: (قد ضللت) إلى الاسمية للدلالة على الديمومة والاستمرار في النفي، ففي التعبير بالاسمية دوام النفي واستمراره، وفيها أيضًا تعريض بالكفار. فقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم أن يعود إلى مخاطبة الكفار، ليخبرهم بأنه نُهي عن عبادة ما يدعونه، ويعبدونه من دون الله، ولو قدر له أن يفعل ذلك حاشا وكلا لاستمر ودام على ذلك.

ومن يتأمل أيضًا هذه الجملة الاسمية يلحظ أنه "أُتي بالخبر الجار والمجرور فقيل: (من المهتدين) ولم يقل: (وما أنا مهتد) ، لأن المقصود نفي الجملة التي خبرها من المهتدين، فإن التعريف في المهتدين تعريف الجنس، فإخبار المتكلم عن نفسه بأنه من المهتدين يفيد أنه واحد من الفئة التي تعرف عند

---

(١) تفسير البحر المحيط: ٣١٠/١٠ لأبي حيان محمد بن يوسف.

(٢) التحرير والتنوير: ٤٦/٢٩، وانظر التفسير الوسيط: ١/ ٤٢٧٦.

الناس بفئة المهتدين، فيفيد أنه مهتد بطريقة تشبه طريقة الاستدلال، فهو من قبيل الكناية التي هي إثبات الشيء بإثبات ملزومه، وهي أبلغ من التصريح"[١].

❖ ❖ ❖

كذلك آثر الذكر الحكيم التعبير بالجملة الاسمية في قوله: (هم المهتدون) على الجملة الفعلية. وذلك في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٧).

حيث عبر سبحانه وتعالى – عن المؤمنين الصابرين على البلاء بالجملة الاسمية في قوله: (هم المهتدون) التي تفيد الثبات، فهم مهتدون إلى طريق السعادة والكمال، ومهتدون بالاستعانة على الشدائد بالصبر والصلاة.

وهذا أبلغ من التعبير بالجملة الفعلية لو قال: (وأولئك يهتدون)؛ لأنها عندئذ تفيد التجدد والحدوث، وهذا المعنى لا يتلاءم مع مدحهم هنا، وكونهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة.

❖ ❖ ❖

كما آثر المولى عز وجل التعبير بالمضارع (يهدي) على المصدر (هدى) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦).

---

(١) التحرير والتنوير: ٧/ ٢٦٣.

حيث عبر المولى عز وجل بالفعلين (يضل ويهدي) على صيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار، والحكمة من ضرب الأمثال زيادة هداية المهتدي، وإضلال المنهمكين في الغواية، وذلك لأن الكفار أنكروا ضرب المثل في غير هذه السورة بالذباب والعنكبوت، فلو عبّر بالمصدر لانتفى التجدد والاستمرار؛ لأن المصدر لا يدل على زمن..

يقول العلامة أبو السعود: " ومجيء الفعلين (يضل ويهدي) على تلك الصيغة من الاستقبال إيذانًا بالتجدد والاستمرار، وقيل وُضع الفعلان موضع مصدرٍ، كأنه قيل: أراد إضلال كثير وهداية كثير، وقدم الإضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين قبله ليكون أول ما يقرع أسماعهم من الجواب أمرًا فظيعًا يسوؤهم ويفت أعضادهم"[(١)].

❖ ❖ ❖

ومن إيثار التعبير بالمضارع (يهدون) على الماضي (اهتدوا) ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٣).

حيث عبر المولى عز وجل بالفعل المضارع (يهدون) للدلالة على التجدد والاستمرار في الدعوة، وكان مقتضى الظاهر أن يعبر بالفعل الماضي (اهتدوا)، فترك التعبير بالماضي، وعبر بالمضارع لأن الآية تتحدث عن أفضال الله على إبراهيم وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام حيث جعلهم أئمة هداة يقتدي بهم في الخير، ويهدون الناس إلى دين الله تعالى قصدًا إلى استحضارهم في

---

(١) تفسير أبي السعود : ٩٤/١ بتصرف يسير، وانظر روح المعاني: ٢٤٠/١.

الذهن، وكأننا نشاهدهم رأي العين حين سماع هذه الآية، فيزداد التكريم والتعظيم لهم، وهذا من الأسرار الدقيقة للتعبير بالمضارع عن الماضي والله أعلم.

❖ ❖ ❖

كما آثر المولى عز وجل التعبير بالمضارع (يهدي) على اسم الفاعل (هاديًا) في قوله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (سبأ: ٦).

كان مقتضى الظاهر أن يعبر الذكر الحكيم باسم الفاعل (هاديًا) لكنه عدل إلى المضارع (يهدي) ، "لأن القرآن يجدد على مدى الزمان هداية من اتبعه إلى الطريق الواضح الواسع، وذلك لإشعار صيغة المضارع بتجدد الهداية وتكررها"[١] . فالآية تتحدث عن صحابة ﷺ ، ومن جاء بعدهم من العلماء الذين يعلمون أن القرآن الكريم هو الحق الذي لا يأتيه الباطل ويهدي إلى صراط الله، فلذلك عبر بالمضارع حتى يعظمهم ويرفع من شأنهم.

❖ ❖ ❖

كما يؤثر القرآن الكريم التعبير بالمضارع (يَهْدوننا) على الماضي (اهتدوا) وذلك في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ (التغابن: ٦).

وقد عبر المولى عز وجل بالمضارع (يَهْدوُننا) للدلالة على استمرار المشركين على الإنكار والتكذيب، والتعجيب أن بشرًا يهدوننا إلى الحق والرشد، ولو وقع التعبير بلفظ الماضي (اهتدوا) لظن السامع إن إنكار المشركين واستكبارهم قد انتهى.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤٧٣/٦.

فدل التعبير بالمضارع على استمرار إرسال الرسل إليهم بالحجج، والدلالات الواضحة المبينة، والمعجزات الباهرة، فكانوا يعجبون من أن يجعل الله رسالته في أناس من البشر، لا ميزة لهم على غيرهم، وقد حملهم هذا الاعتقاد على الكفر بالله وبكتبه ورسله، وأعرضوا عن دعوة الحق، وتولوا عن طريق الهدى، فأهلكهم الله جميعًا.

❖ ❖ ❖

كما آثر الذكر الحكيم التعبير بالماضي (فقد اهتدوا) على المضارع (يهدي) وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾(آل عمران: ٢٠).

حيث عبر بالماضي في قوله: (فقد اهتدوا) مبالغة في الإخبار بوقوع الهدى لهم. يقول أبو حيان: "أي إن دخلوا في الإسلام فقد حصلت لهم الهداية، وعبر بصيغة الماضي المصحوب بقد الدالة على التحقيق مبالغة في الإخبار بوقوع الهدى"[(١)].

ويقول البقاعي في قوله: (فقد اهتدوا) "إن في صيغة (افتعلوا) ما يليح إلى أن الأنفس مائلة إلى الضلال زائفة عن طريق الكمال، وإن تولوا عن الإسلام فهم معاندون، فلا يهمنك أمرهم..."[(٢)]

علاوة على أن المضارع لا يتناغى هنا مع هذا النغم العذب السلس المستمر من نظم الآية لمن يتدبر.

❖ ❖ ❖

كما آثر الذكر الحكيم التعبير بالفعل الماضي (اهتدى) على الفعل المضارع في قوله تعالى:

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (طه: ٨٢).

---

(١) تفسير البحر المحيط: ١٧٦/٣، لأبي حيان محمد بن يوسف، وانظر تفسير ابن عطية: ٣٩٣/١ ، والدر المصون في علم الكتاب المكنون: ١/ ٧٢٨ ، للسمين الحلبي.

(٢) تفسير البقاعي: ١٣/٣ بتصرف يسير.

حيث عبر بصيغة الماضي (ثم اهتدى) للدلالة على وجوب الاستمرار على الهدى والثبات عليه. وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (يهتدون) بصيغة المضارع، لكن جاء التعبير بالفعل الماضي لأن السياق السابق عن هذه الآية يتحدث عن نعم الله عز وجل على بني إسرائيل، فناسب التعبير بالماضي الذي يدل على تحقيق وقوعه حتى تتحقق التوبة والمغفرة.

يقول البقاعي: "ولما كانت رتبة الاستمرار على الاستقامة في غاية العلو، عبر عنها بأداة التراخي فقال: (ثم اهتدى) أي: استمر على العمل الصالح متحريًا به إيقاعه على حسب أمرنا، وعلى أقرب الوجوه المرضية لنا، له إلى ذلك غاية التوجه كما يدل عليه صيغة افتعل..." [(١)]

❖ ❖ ❖

- كما اختير في جانب الهدى فعل (اهتديت) الذي هو مطاوع (هدى) وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ (سبأ: ٥٠).

حيث عبر الذكر الحكيم بالفعل الخماسي (اهتديت) دون الثلاثي (هُديت) لأن الآية واردة في سياق الحديث عن الرسول ﷺ ودعوته المشركين إلى طريق الحق والهداية. لذا "اختير فعل الاهتداء لما فيه من الإيماء إلى أنه على هدى؛ لأنه أثبت أن وحيًا من الله واردًا إليه"[(٢)].

وهدايته ﷺ بسبب ما يوحى إليه من القرآن الكريم، وقد استفيد أن الضلال المفروض إن حصل، فسببه من قبل نفسه من إسناد فعل (ضَلَّ) إلى ضمير المتكلم.

❖ ❖ ❖

---

(١) نظم الدرر: ٥/٢٥٩.

(٢) الكشاف: ٥/١٣٢، وانظر روح المعاني: ٢٢/٢٣٠ ، والتحرير والتنوير: ٢٢/ ٢٤١.

ومن الصيغ التي آثرها القرآن الكريم من غيرها مادة – هدى – المذكورة في آيات الهدى سأذكر بعض الأسرار البلاغية لإيثار بعض منها:

من ذلك إيثار القرآن الكريم التعبير بالمصدر في موضع على اسم الفاعل في موضع آخر كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام: ٧٨).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾(الزخرف: ٢٦–٢٧).

وهذا التنوع بين الصيغ راجع لاختلاف السياقين، فسياق آية الأنعام يبرز أن إبراهيم عليه السلام كان في مقام الحيرة والبحث عن الحقيقة لا يعرف ربه على وجه التحقيق، فقد ظن أن الكوكب ربه ثم القمر ثم الشمس ثم أعلن البراءة من كل ذلك، فناسب أن يعبر باسم الفاعل (بريء)[1].

أما سياق آية الزخرف، فهو في مقام التبليغ، فقد أصبح نبيًّا مرسلًا من ربه، وأعلن حربه على الشرك، وأعلن البراءة مما يعبد قومه، لكن الذي خلقه وأنشأه من العدم، يرشده إلى الحق ويهديه إلى طريق السعادة. فناسب أن يعبر بالمصدر (براء)، لأنه أقوى في الدلالة على المعنى، وهو البراءة من الشرك وأهله.

---

(١) بريء على صيغة فعيل بمعنى فاعل. أي مُتَبرِّءٌ مما تشركون.

ولذا قال في الآية الأولى (بريء) بصيغة اسم الفاعل، وفي الثانية عبر بالمصدر (براء) "وذلك أن (براء) أقوى من (بريء)؛ فإنها براءة بصيغة المصدر الذي هو الحدث المجرد، فالبراءة في آية الزخرف أشد" [١].

ثم " ناسب هذه القوة في البراءة والشدة بتوكيد الكلمة بمجيء النون – أعني نون الوقاية في آية الزخرف زيادة في التوكيد فقال: "إنني براء" ولم يأت بها في آية الأنعام بل قال : (إني بريء) والنون في مثل هذا المقام تفيد التوكيد"[٢].

❖ ❖ ❖

وقد يؤثر القرآن الكريم صيغة اسم الفاعل في موضع على صيغة من صيغ المبالغة، كإيثار التعبير بـــ (شاكر) على (شكور) في قوله تعالى :﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان : ٣).

حيث ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه أرشد الإنسان إلى السبيل، وعرفه طريق الهدى والضلال، فحسن في هذا المقام المغايرة بين الصفتين في قوله تعالى :﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾"سأل الصاحب بن عباد القاضي عبد الجبار أحمد المعتزلي: لم جعل الله المبالغة في الكفر، ولم يجعلها في الشكر؟ فأجاب القاضي بأن نعم الله على عباده كثيرة، وكل شكر يأتي في مقابلتها قليل، وكل كفر يأتي في مقابلتها عظيم، فجاء الشكر بلفظ (فاعل) ، وجاء (كفور) بلفظ (فعول) على وجه المبالغة".[٣]

---

(١) التعبير القرآني: ٣٨، د/ فاضل السامرائي.

(٢) معاني النحو: ١/ ٣٨٨، للدكتور فاضل السامرائي.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٦٢٢، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي.

وأيضًا لأن الإنسان مهما شكر ربه فلن يقوم بحق شكره لكثرة نعم ربه وآلائه عليه، فكانت صيغة اسم الفاعل (شاكر) أبلغ من التعبير بصيغة المبالغة، لأن الشكر قليل من يتصف به، ولما كان الجحود والكفر عام في أكثر الناس جاء التعبير بصيغة المبالغة.

❖ ❖ ❖

كما آثر المولى عز وجل التعبير باسم الفاعل (مكبا) على أفعل التفضيل (أكب) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ (الملك: ٢٢).

لأنه أبلغ في تصوير حال المنكب الذي يعثر كل ساعة لوعورة طريقه واختلاف أجزائه وهو "مشتق من أكب إذا صار ذا كب، فالهمزة فيه أصلها لإفادة المصير في الشيء مثل همزة أقشع".[١]

ويقول الشوكاني: "المكب والمنكب الساقط على وجهه، يقال: كببته فأكبّ وانكب، وقيل: هو الذي يكب رأسه فلا ينظر يمينًا ولا شمالاً ولا أمامًا، فهو لا يأمن من العثور والانكباب على وجهه. وقيل: أريد بالمكب الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق، فلا يزال مشيه ينكسه على وجهه، قال قتادة: هو الكافر يكب على معاصي الله في الدنيا، فيحشره الله يوم القيامة على وجهه".[٢]

– كما أن في التعبير باسم الفاعل (مكبًا) صورة تهز النفوس، وترسم صورة حية متحركة، فتنفر العقول الواعية والأفئدة اليقظة من السير على هذا النهج.

كذلك عبر القرآن الكريم بالصفة المشبهة (ضَيّقِ) بدلًا من اسم الفاعل (ضائق) وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٥).

---

(١) التحرير والتنوير: ٤٦/٢٩.

(٢) فتح القدير: ٣٦٩/٥.

حيث عبر المولى عز وجل بالصفة المشبهة على وزن (فعيل) من ضاق يضيق مبالغة في وصَف الشيء كأنه نفس الضيق، لأن من كتب الله له الهداية يتسع صدره لنور الإسلام، ومن يكتب عليه الضلالة يجعل صدره ضيقًا شديد الضيق، والضيق ضد الواسع، كأنه من شدة الضيق كمن يصعد إلى مكان شديد الارتفاع فتنقطع أنفاسه، وهذا مثل ضربه الله لقلب الكافر في شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه.

فأفاد التعبير بالصفة المشبهة دلالة ثبوت الضيق على صدر الكافر كما جيء بالمضارع في قوله : (يجعل) "لإفادة التجدد في المستقبل، أي هذه سنة الله في كل من ينصرف عن الإيمان ويعرض عنه" . [١]

وعلاوة على هذا الإعجاز اللغوي في صيغة المبالغة (ضيق) "هناك إعجاز علمي لأن الله تعالى قد أخبر بهذه الحقيقة العلمية قبل اختراع الطائرات".[٢]

❖ ❖ ❖

كذلك تعدد القراءات حول لفظ بعينه يؤدي إلى تعدد الصياغة فقد جاء لفظ (كاذب كفار) في قراءة حفص. فإن أنس بن مالك، والجحدري، والحسن، والأعرج بن يعمر قد قرأوا الصيغتين بلفظ (كاذب كفار) ، بينما قرأهما زيد بن علي بلفظ (كذوب كفور) وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (الزمر: ٣).

---

(١) التحرير والتنوير: ٦١/٨.

(٢) تفسير القطان: ٦/٢ بتصرف.

ومعلوم أن (كاذب) اسم فاعل بخلاف (كفار) فإنه صيغة مبالغة، فلم تتحد الصيغتان في قراءة حفص، بينما اتحدتا في قراءة الآخرين، لأن صيغتي (فعّال، وفعول) من صيغ المبالغة.

والمراد بمن هو كاذب كفار الذين اتخذوا من دونه أولياء، أي المشركين، وقد وصفهم الله بالكذب، وبالغ في وصفهم بالكفر إشعارًا بأن كفر هؤلاء قد بلغ الغاية.

فالكَفار (بفتح الكاف) : "شديد الكفر، بليغه، والمراد: كفرهم بالله وبالرسول ﷺ وبالقرآن، وإعراضهم عن تلقيه، والتدبر فيه" [1] .

وقد حمل المفسرون الكاذب في الآية على الكذب، نظرًا لقراءتي (كاذب، كذوب) ؛ لأن الأصل في القراءات القرآنية، ولو اختلف لفظها أن تلتقي على معنى واحد، أو يدعم بعضها بعضًا.

"كما أنهم قد حملوا الكفر في الآية على كفر النعم، دون الكفر في الاعتقاد لقراءة زيد، كما ذكر فيه الاحتمالات أيضًا"[2]، فهذه المبالغة إشارة إلى المتوغل في الكفر القاسي فيه الذي يظن أنه مختوم على قلبه.

❖ ❖ ❖

وقد يؤثر القرآن الكريم استخدام (أفعل التفضيل) في موضع قد يتوهم من لا يدقق أنه يكفي فيه (اسم الفاعل) للدلالة على كمال اتصاف الموصوف بالصفة على أبلغ وجه.

ويتضح هذا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام: ١١٧).

---

(١) فتح القدير: ٦٣٨/٤، وانظر التحرير والتنوير: ٣٢٣/٢٣.

(٢) انظر الكشاف: ٥/ ٢٨٧.

حيث عبر عز وجل باسم التفضيل (أعلم) بدلًا من اسم الفاعل (عالم) والسر في ذلك كما قال أبو السعود: " للدلالة على أن الله لا يعزب عن علمه أحد من الضالين، ولا أحد من المهتدين، وأن غير الله قد يعلم بعض المهتدين، وبعض المضلين، ويفوته علم كثير من الفريقين وتخفى عليه دخيلة بعض الفريقين" . [(١)]، وفي التعبير (بأعلم) أيضًا العناية بإظهار هداية المهتدين فوق العناية بإظهار ضلال الضالين.

هذا، وقد راجعت آيات الهدى، فوجدت أن الذكر الحكيم قد ذكر أفعل التفضيل في سياق آيات الهدى في موضعين الأول في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(القصص:٥٦). وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القلم: ٧).

❖ ❖ ❖

كما آثر الذكر الحكيم التعبير بجمع القلة في موضع، وجمع الكثرة في آخر، فمن هذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: ١٢٠– ١٢١).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾(لقمان: ٢٠).

فقد عبر المولى عز وجل في آية النحل بجمع القلة (أَنْعُم) ؛ لأن سياق الآية في تعداد نعم الله على الإنسان وأنها لا تحصى.

---

(١) تفسير أبي السعود: ١٧٩/٣ ، وانظر فتح القدير : ٢٢٦/٢، والتحرير والتنوير: ٨/ ٢٩.

وعبر في آية لقمان بجمع الكثرة (نِعَمه) ، لأن سياق الآية في تعداد نعم الله وفضله على الناس فقال: (وأسبغ عليكم نعمه ظاهره وباطنه)، فذكر النعمة هنا بزنة جمع الكثرة (نِعَمه) فهنا امتنان من الله على عباده، يدعوهم إلى شكرها، وعدم الغفلة عنها فناسبه جمع الكثرة.

يقول السامرائي: "فجمع النعمة في آية النحل جمع قلة (أنعم)، وذلك أن نعم الله لا تحصى، فلا يطيق الإنسان شكرها جميعها، ولكن قد يشكر قسمًا منها، ولذلك لما ذكر إبراهيم وأثنى عليه قال: إنه شاكر لأنعمه، ولم يقل : لنعمه، لأن شكر النعم ليس في مقدور أحد، بل إن إحصائها ليس في مقدور أحد، فكيف بشكرها، قال تعالى :﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾(النحل: ١٨)"[(١)]

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا إيثار التعبير القرآني بالمضارع (يكتمون) بدلاً من الماضي (كتموا) في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾(البقرة: ١٥٩).

حيث عبر المولى عز وجل عن الكاتمين ما أنزل الله تعالى من الآيات البينات، والدلائل الواضحات التي تدل على صدق الرسول ﷺ بالفعل المضارع (يكتمون)، ومن المعلوم أن الفعل المضارع يدل على الزمن الحاضر والمستقبل. وهؤلاء الكاتمون هم اليهود ومن تابعهم من المنافقين.

فالفعل (يكتمون) يدل على أن اليهود في الوقت الحاضر كاتمون للبينات والهدى، ولو وقع التعبير بلفظ الماضي (كتموا) "لتوهم السامع أن الحديث عن قوم مضوا وليس عن قوم حاضرين"[(٢)]، "فيخرج حينئذ عن دائرة المذمومين يهود عصر التنزيل والعصور التالية له، وهذا غير

(١) التعبير القرآني: ٤٠- ٤١ .

(٢) التحرير والتنوير: ٢/ ٦٦.

مراد لأن صفات اليهود لا تتغير فالتعبير بالفعل المضارع يدل على تجدد الكتمان منهم فبقاؤهم عليه تجدد له". (١)

كما آثر التعبير بالمضارع أيضًا في قوله : "يلعنهم" لتدل على تجدد لعن الله تعالى لهم.

❖ ❖ ❖

وأحيانًا يؤثر القرآن الكريم التعبير بالفعل المزيد بحرف من حروف الزيادة في موضع، وبالفعل المزيد بالتضعيف في موضع آخر. كما في قوله تعالى :﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾(آل عمران: ٣-٤).

حيث يلاحظ أن القرآن الكريم عبر في الآية الأولى بـــ (نزّل)، وفي الثانية بـــ (أنزل) وذلك راجع إلى أن (نزّل) يختلف عن (أنزل) إذا اجتمعا، "فهما إذا اجتمعا افترقا يمكن أن يجتمِعا، فالتتريل يقتضي نزول المترل مفرقًا ومنجمًا على أزمنة متنوعة، والإنزال يكون بإنزال المترل كله جملة واحدة، لا تعريف فيها ولا تنجيم". (٢)

وأما إذا لم يجتمعا فيمكن التعبير بالتتريل ويراد به الإنزال، ويرد التعبير بالإنزال، ويقصد به التتريل، وفي هاتين الآيتين اجتمعا، فورد التعبير عن نزول القرآن الكريم على رسولنا الكريم ﷺ بالتتريل فقال (نزّل)، وعن نزول الكتب السابقة بالإنزال، فقال (أنزل).

والسر في ذلك عائد إلى قوله تعالى : (نزل عليك الكتاب) "مشيرًا إلى تفصيل المترّل، وتنجيمه بحسب الدعاوي، وأنه لم يترل دفعة واحدة، أما لفظ (أنزل)، فلا يعطي ذلك إعطاء (نزل)،

---

(١) نظرات لغوية: ٩٦، للدكتور صالح العايد.

(٢) نظرات لغوية: ١٣٤.

وإن كان محتملاً، وكذلك جرى "في أحوال الكتب، فإن التوراة إنما أوتيها موسى جملة واحدة في وقت واحد، وهو المراد بقوله تعالى:﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾(الأعراف: ١٤٥). أي المجموع، وأما الكتاب العزيز فتزل مقسطًا من لدن ابتداء الوحي..." [١]

وأما قوله تعالى: "وأنزل الفرقان" ، "فليس ناقضًا لهذه القاعدة، إذ علّل بعض العلماء التعبير عن ذلك بالإنزال بدل التتريل بأن المقصود هنا إنزاله إلى السماء الدنيا كما قال تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر"[٢] ، وقيل المراد بالفرقان في هذه الآية نصر الرسول ﷺ على أعدائه.

ويقول الدكتور صالح العايد :" إن هذا القول الأخير أرجحُ عندي؛ إذ يؤيده قوله تعالى بعده: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ "[٣].

وأنا أؤيد قول الغرناطي رحمه الله؛ لأن نَزَّل يشير إلى تفصيل المتزل، وأنه لم يتزل دفعة واحدة، وأما لفظ (أنزل) ، فيعني أن إنزاله كان دفعة واحدة في وقت واحد.

❖ ❖ ❖

ومن بلاغة المفردات من حيث الصيغ في آيات الهدى ما نلحظه أيضًا من فرق بين (وصَّى) و (أوصى) .

فالملاحظ أن الفعل الأول يطرد استعماله في الدين والأمور المعنوية، بخلاف الثاني فإنه يطرد ذكره في الأمور المادية.

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل: ٢٨٧/١ ، أحمد بن إبراهيم الغرناطي.

(٢) كشف المعاني: ١٢٤ ، ابن جماعة.

(٣) نظرات لغوية : ١٣٦.

ومن شواهد الفعل الأول، وهو وصَّى بالتشديد – في آيات الهدى قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣).

أما الفعل الثاني (أوصى) ، فلم يرد في القرآن الكريم إلا في موطنَ واحد اقترن فيه بأمر مادي، وذلك في قوله تعـــالى :﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾(مريم : ٣١).

فقد ذكر القرآن الكريم (وصَّى) في جانب الشرائع الأربعة السابقة على شريعة سيدنا محمد ﷺ ، وهي شريعة سيدنا نوح، وإبراهيم، وموسى، عيسى عليهم السلام، وإنما خصهم بالذكر؛ لأنهم أكابر الأنبياء ، وأصحاب الشرائع العظيمة، والأتباع الكثيرة، وهم أولو العزم من الرسل.

والملاحظ أن الفعل (وصَّى) لم يذكر في جانب شريعة سيدنا محمد ﷺ كما ذكر في جانب الشرائع الأربعة السابقة عليه، وإنما ذكر في جانبه الفعل (أوصينا)، "ولعل السر في ذلك أن الشرائع التي سبقته كانت شرائع مؤقتة، مقدرًا ورود شريعة بعدها، فكان العمل بها كأنه عمل يقوم به مؤتمن على شيء حتى يأتي صاحبه. هذا من جانب، ومن جانب آخر ليقع التناسب بين قوله: (أوصينا إليك) وبين قوله : في صدر السورة: (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم)".[1] وحتى يُبين الله النعمة العامة على رسله، وهي ما شرع لهم من العقيدة المتفق عليها من

(١) التحرير والتنوير: ٢٥/ ٥٣.

توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وبكتبه، وباليوم الآخر، فيوفق الله لدينه وعبادته من يطيعه، ويقبل منه عبادته.

❖ ❖ ❖

كما جاء التعبير عن المستقبل (يترع) بلفظ الماضي (نزع) في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ٤٣).

فقد عبر المولى عز وجل عن المستقبل بلفظ الماضي (نزعنا)، والحديث عن مآل المؤمنين يوم القيامة للتنبيه على تحقق وقوعه، فأخبر سبحانه أنه نزع ما كان في الدنيا في قلوب المؤمنين من غش وغل، لأن أهل الجنة تكون قلوبهم نقية من كل الأدران الدنيوية.

❖ ❖ ❖

كما عبر القرآن الكريم عن المستقبل بلفظ الماضي، حيث عبر بالماضي (فتح) دون (سنفتح) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (الفتح: ١-٢).

حيث جاء الإخبار بالفتح على لفظ الماضي، وإن لم يقع بعد، لأن المراد فتح مكة، والآية نزلت حين رجع عليه الصلاة والسلام من الحديبية قبل عام الفتح؛ وذلك على عادة ربّ العزة سبحانه وتعالى في أخباره؛ لأنها لما كانت محققة نزلت مترلة الكائنة الموجودة، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر.

يقول الزمشخري: "هو فتح مكة، وقد نزلت مرجع رسول الله ﷺ في مكة عام الحديبية، وهو وعد له بالفتح، وجيء به بلفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره؛ لأنها في تحققها ويقينها بمنزلة الكائنة الموجودة، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى".[١]

ويقول البقاعي: "إنما جيء في الأخبار بلفظ الماضي لتحققه وتيقنه، شُبه الزمن المستقبل بالزمن الماضي، فاستعملت له الصيغة الموضوعة للمضي"[٢].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٥).

فقد جاء بالفعل المضارع "يوقد" لإفادة تجدد إيقاده، أي لا يذوى ولا يطفأ".[٣]، فالآية واردة في سياق الحديث عن دلائل وحدانية الله، وأنها في غاية الظهور.

وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم (يوقد) أي: يوقده الموقد.

لكن على قراءة ابن كثير والسلمي ، وأبو عمرو بن علاء، وأبو جعفر (توقد) بصيغة المضي، فإن الغرض هو تحقق الوقوع، "وأن وقوده قد ثبت وتحقق".[٤] وقال النحاس: "وهاتان القراءاتان

---

(١) الكشاف: ٤/ ٢٦٢ – ٢٦٣.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/ ١٨٤ ، وانظر التحرير والتنوير: ١٤٤/٢٦.

(٣) والإيقاد: وضع الوقود، وهو ما يزاد في النار المشتعلة ليقوى لهبها، وأريد به هنا ما يمد به المصباح من الزيت. (التحرير والتنوير: ٢٣٩/١٨).

(٤) روح المعاني: ١٨/ ٤٢٦ .

متقاربتان لأنهما للمصباح".[١] وفي صيغة المضارع على قراءة الأكثرين إفادة تجدد إيقاده، وعلى قراءة ابن كثير ومن معه بصيغة المضي إفادة تحقق وقوده وثبوته. أي هذا المصباح يستمد نوره من زيت شجرة الزيتون وهي شجرة مباركة كثيرة المنافع.

❖ ❖ ❖

وهكذا بان من خلال ما سبق عرضه اختلاف الصيغ القرآنية في أداء المعنى المراد. وأن النظم القرآني يختار الصيغ على ما يقتضيه المعنى، ويتطلبه الحال وهي توضع في موضع حقيق بها لا يمكن أن يحل غيرها محلها. حيث وجدت الذكر الحكيم آثر المصدر على اسم الفاعل في مواضع، وصيغة المبالغة على اسم الفاعل. كما فضل التعبير باسم التفضيل على اسم الفاعل، كما آثر التعبير بالماضي على المضارع والعكس.

كما عبر بالمستقبل لتأكيد وقوع الهداية في المستقبل، وعبر عن الحدث المستقبل بلفظ الماضي، وفضل جمع القلة على الكثرة. ووضع هذا كله في موضعه بحسب ما يقتضيه المقام، فهو المثال الأعلى في اختيار صيغه ومفرداته، وفرق جلي بن كلام الخالق في كماله وجلاله، وكلام المخلوق في ضعفه ونقصانه.

❖ ❖ ❖

---

(١) فتح القدير: ٤/٥٠.

الفصل الثاني

الخصائص البلاغية للتراكيب في آيات الهدى

<u>**ويتضمن تسعة مباحث :**</u>

المبحث الأول :الجملة الخبرية مؤكدة وغير مؤكدة.

المبحث الثاني : الحذف.

المبحث الثالث :التعريف والتنكير.

المبحث الرابع : التقديم والتأخير.

المبحث الخامس : خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

أ) الالتفات ب) وضع المظهر موضع المضمر.

المبحث السادس : الإنشاء.

المبحث السابع : القصر.

المبحث الثامن : الفصل والوصل.

المبحث التاسع : الإيجاز والاطناب

الفصل الثاني

المبحث الأول : الجملة الخبرية مؤكدة ، وغير مؤكدة في آيات الهدى

الفصل الثاني

المبحث الأول : الجملة الخبرية مؤكدة وغير مؤكدة في آيات الهدى

يعرضُ القرآن الكريم لآيات الهدى وغيرها في نظم بديع بليغ ، وفي أسلوب بلاغي معجز: تتآزر فيه الجمل والأساليب الخبرية والإنشائية ؛ لتؤدي وظيفتها وأهدافها أبلغ أداء.

والخبر الذي هو مناط هذا المبحث أخْتُلِفَ في تعريفه، يقول السكاكي: الخبر «كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته»(١).

ويقول ابن وهب : «كل قول أفدت به مستحقه ما لم يكن عنده، كقولك: قام زيد، فقد أفدته العلم بقيامه ...»(٢).

وقد أوضح البلاغيون هذا بجلاء بما لا مزيد عليه(٣).

وتختلف صور الخبر عند البلاغيين من حيث التوكيد وعدمه باختلاف أحوال المخاطبين..

فحينًا يكون مجردًا من أدوات التوكيد إذا كان المخاطب جاهلًا خالي الذهن من مدلول الخبر، ويسمى ابتدائيًا ، وحينًا يأتي مؤكدًا بمؤكد وَاحد إذا كان المُخاطبُ شاكًّا في مدلول الخبر، ويسمى طلبيًّا ، ويكون حينًا مؤكدًا بمؤكد أو أكثر إذا كان المخاطب منكرًا ، ويسمى إنكاريًّا.

- وللخبر غرضان أصليان :

---

(١) مفتاح العلوم : ٧٨، لأبي يعقوب يوسف بن محمد السكاكي.

(٢) البرهان في وجوه البيان : ٩٣، لإسحاق بن إبراهيم بن وهب.

(٣) انظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح : ٣٣/١، والمطول : ٣٩ وما بعده ، والإيضاح في علوم البلاغة: ٢٩، وخصائص التراكيب : ٤٥.

الأول : إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة كقولك: «زيد عالم» ويسمى هذا الغرض فائدة الخبر.

الثاني : إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم كقولك لمن خالد عنده، ولا يعلم أنك لا تعلم ذلك: خالد عندك، ويسمى لازم فائدة الخبر.

– وقد يخرج الخبر إلى معان وأغراض أخرى تفهم من سياق الكلام ، وقرائن الأحوال منها: إظهار التحسر ، أو الفرح ، أو الضعف والخشوع ، أو التوبيخ(١).

وبما أن القرآن الكريم يهدف في المقام الأول إلى هداية الناس، وترسيخ عقائدهم ، فقد وردت في آيات الهدى الأساليب الخبرية بمختلف أغراضها وأضربها، وسوف أتناول هنا بعض هذه الآيات على سبيل التمثيل ، لا على سبيل الحصر والاستقصاء نظرًا لكثرة هذا الفن البلاغي المتنوع في آيات الهدى.

أولاً : أغراض الخبر الأصلية في آيات الهدى :

١ – فائدة الخبر ، وهو إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة.

ورد من ذلك قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(البقرة : ١٨٥).

(١) انظر شروح التلخيص : ٩٤/١ ، وبغية الإيضاح : ٤٢/١-٤٥، وخصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني : ٤٧.

في هذه الآية الكريمة أخبر الله المؤمنين بأن شهر رمضان هو الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وأنه فرض عليهم صيامه، ومن كان مريضًا أو على سفر فله أن يفطر ، وعليه الصوم في أيام أُخَر ، «فالمقصود من إلقاء الخبر على المؤمنين إبلاغهم خبرًا جديدًا، وحكمًا إسلاميًّا لم يكن معروفاً لهم من قبل ، وفائدة ليس لهم سابق علم بها ، وكل حكم من هذا النوع يسمى «فائدة الخبر» »(١).

٢- لازم فائدة الخبر ، وهو إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ (يوسف:٥٢).

في هذه الآية اختلف أهل العلم من هو القائل ، فقيل : إنه من كلام امرأة العزيز (زليخا)، وقيل : إنه من يوسف ﷺ ، والأرجح أنه من قول يوسف ﷺ ، لأنه هو الذي طرح السؤال، ورفض الخروج من السجن قبل أن تظهر براءته ، وأخبر أنه لم يخن سيده في أهله، لأن المرأة خانت زوجها فعلاً بمراودة يوسف ﷺ .

فيوسف ﷺ لا يقصد أن يبلغ العزيز حكمًا جديدًا، وإنما قصد إبلاغه أنه يعرف الحكم كما يعرفه المخاطب نفسه، وكل حكم من هذا القبيل يسمى (لازم الفائدة).

يقول ابن عاشور : «والخبر مستعمل في لازم الفائدة وهو كون المتكلم عالمًا بمضمون الكلام»(٢).

---

(١) المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم : ٨٩، بتصرف يسير ، للدكتور عبدالفتاح لاشين.

(٢) التحرير والتنوير : ٢٩٣/١٢.

ومن لازم فائدة الخبر أيضًا ما جاء في قوله تعـالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى : ٥٢) .

الغرض من الخبر في قوله : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إفادة المخاطبين أن المتكلم عالم بالحكم الذي تضمنته الجملة، فالرسول ﷺ عنده علم بأنه يدعو ويرشد بإذن الله بهذا القرآن إلى صراط مستقيم.

يقول ابن عاشور : «فالخبر مستعمل في لازم معناه»[١].

* وهناك آيات أخرى كثيرة من أغراض الخبر الأصلية في آيات الهدى تركتها خوف الإطالة*[٢].

ثانيًا : أغراض الخبر التي تفهم من السياق في آيات الهدى :

وقد تنوعت هذه الأغراض ، وتعددت دلالتها وسياقاتها، وقد حصرت منها سبعة أغراض :

الغرض الأول : التوبيخ والتقريع لقريش والعرب :

وجاء ذلك في قوله تعالى : ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ (الجن : ١-٢) .

---

(١) التحرير والتنوير : ١٥٥/٥٢.

(٢) *١- فائدة الخبر . (الأنعام : ٩٧) (التوبة : ٣٣) (يونس : ٥٧-١٠٨) (مريم : ٥٨) (الحج : ٨) (النمل: ٢-٨١) (الروم : ٥٣) (لقمان : ٣-٥-٢٠) (الزمر: ٢٣) (الحديد : ٢٦) (الصف : ٩) (الجمعة: ٥) (البلد:١٠).
٢- لازم الفائدة : (المائدة : ٤٤) (الأنعام : ٧١-١١٧) (يونس: ٩) (الإسراء : ٩) (طه:٨٢) (القصص: ٥٦-٥٨) (العنكبوت : ٦٩) (الزمر : ٤١) (الزخرف : ٢٧-٣٧) (الصافات : ٩٩) (الصف: ٥) (التغابن:٦) (القلم : ٧) (الجن : ١٣).

ففي هاتين الآيتين إثبات سماع الجن للقرآن الكريم، والغرض من الإخبار عن استماع الجن «توبيخ وتقريع قريش والعرب ، في كونهم تباطئوا عن الإيمان، إذ كانت الجن خيرًا منهم، وأسرع إلى الإيمان بخلاف العرب الذين نزل القرآن بلسانهم ، فإنهم كذبوا واستهزؤوا وهم يعلمون أنه كلام معجز ، وأن محمدًا أمي لا يقرأ ولا يكتب، وشتان ما بين موقف الإنس والجن»(١).

فالله لا يريد من الإخبار عن إيمان الجن بالله تعالى ، وبالقرآن الكريم إلا التوبيخ والتقريع كما هو جلي من السياق لمن يتأمل.

❖ ❖ ❖

الغرض الثاني : تأييد النبي ﷺ بالمعجزات، والتي أعظمها القرآن الكريم والتنفيس على المؤمنين:

وورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء : ٩).

فالغرض الأهم من الخبر في هذه الآية هو بيان تأييد النبي ﷺ بالمعجزات والتي أعظمها القرآن الكريم .

فبعد أن ذكر الله تعالى ما أكرم به محمدًا ﷺ من الإسراء ، وأكرم موسى عليه السلام بالتوراة، ذكر ما شرف به رسوله أيضًا من القرآن الكريم الناسخ لحكم التوراة، وكل كتاب إلهي آخر، وأبان أهدافه من الهداية للطريقة أو الحالة التي هي أقوم، والتبشير بالثواب العظيم لمن أطاعه، وإنذار الكافرين بالعذاب الأليم .

---

(١) صفوة التفاسير : ٤/١٤٠٣.

وقد جاءت هذه الآية «تنفسيًا على المؤمنين من أثر القصص المهولة التي قصت علـــى بـــني إسرائيل، وما حل بهم من البلاء مما يثير في نفوس المسلمين الخشية من أن يصيبهم مثل مـــا أصـــاب أولئك، فأخبروا بأن في القرآن ما يعصمهم عن الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل إذْ هـــو يهـــدي للطريق التي هو أقوم مما سلكه بنو إسرائيل ، ولذلك ذكر مع الهداية بشارة المؤمنين الذين يعملـــون الصالحات، ونذارة الذين لا يؤمنون بالآخرة»(١).

❖ ❖ ❖

الغرض الثالث : تعظيم القرآن الكريم لبلوغه غاية الفصاحة والبلاغة:

وجاء ذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (النمل: ٧٧).

فالغرض من الخبر هو تعظيم القرآن الكريم ، يقول الفخر الرازي :«وذلـــك لأنَّـــا تأملنـــا القرآن، فوجدنا فيه من الدلائل الفعلية على التوحيد، والحشر والنبوة، وشرح صفات الله ما لم نجده في كتاب من الكتب ، ووجدناه مبرءًا من النقص، والتهافت، فكان هدى ورحمة، ووجدنا القـــوى البشرية قاصرة عن جمع كتاب على هذا الوجه، فعلمنا أنه ليس إلا من عند الله تعالى، فكان القرآن معجزًا ، لبلوغه في الفصاحة إلى حيث عجزوا عن معارضته، وذلك معجزة»..(٢)

❖ ❖ ❖

الغرض الرابع : تعظيم فرعون وقومه لموسى عليه السلام ، وتسميته بالساحر :

وذلك في قولـــه تعـــالى : ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف:٤٩) .

---

(١) التحرير والتنوير : ٦/٤٧٠.

(٢) تفسير الرازي : ١٢/٤٩.

الغرض من الخبر في قوله : ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾ هو تعظيم موسى عليه السلام فحين أخذ الله عز وجل فرعون وقومه بالعذاب المتتابع ، طلبوا من موسى على سبيل التذلل له، والتعظيم لشأنه، أن يكشف عنهم العذاب الذي نزل بهم لذا سموه بالساحر، وكان الساحر عندهم له مكانة عليا، وقيمة كبرى فكان السحر علمًا ، والساحر عالمًا.

❖ ❖ ❖

الغرض الخامس : تثبيت قلب النبي ﷺ ، وتجديد نشاطه في القيام بأعباء الدعوة:

وجاء ذلك في قوله تعالى : ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾(الحج: ٦٧).

الغرض من الخبر في هذه الآية في قوله : ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ «زيادة التثبيت للنبي ﷺ بما يهيج حميته، ويلهب غضبه لله ولدينه»[١].

ويقول ابن عاشور : «وفي هذا الخبر تثبيت للنبي ﷺ ، وتجديد لنشاطه في الاضطلاع بأعباء الدعوة»[٢]. وفي جملة ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أيضاً تعليل للدوام على الدعوة.

❖ ❖ ❖

الغرض السادس : إزدراء الكاتمين لأوامر الله تعالى:

وأتى ذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ (البقرة : ١٥٩).

---

(١) الكشاف : ٣١١/٤.

(٢) التحرير والتنوير : ٣٣٠/١٧.

فالغرض من الخبر في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ ﴾ هو بيان جزاء كتمان آيات الله، وتحقير من يكتمها وازدراؤه ، وذلك لأن علماء اليهود والنصارى كتموا أمر محمد ﷺ ، وهم يجدونه مكتوبًا في التوراة والإنجيل ، فلعنهم الله بسبب ذلك، وأكد الخبر (بإنّ) للاهتمام بهذا الخبر الذي أُلقي على مسامع الناس حتى يزيل الريب من نفوسهم في هذا الشأن.

❖ ❖ ❖

ثالثاً : أضرب الخبر في آيات الهدى:

الخبر سواء كان الغرض منه (فائدة الخبر) أو (لازم الفائدة) لا يأتي على ضرب واحد من القول، وإنما ينبغي على صاحب الخبر أن يأخذ في اعتباره حال المخاطب عند إلقاء الخبر، وذلك بأن ينقله إليه في صورة من الكلام تلائم هذه الحالة، وكما ذكرت في مقدمة هذا المبحث أن المخاطب بالنسبة لحكم الخبر له ثلاث حالات : خالي الذهن من الحكم، ومتردد فيه، ومنكر له وهذه هي أضرب الخبر.

❖ ❖ ❖

فالمقصود بأضرب الخبر درسة الخبر من حيث توكيده وخلافه*[١].

وقد استخدم القرآن الكريم التوكيد «وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه، وإقراره في أفئدهم، حتى يصبح عقيدة من عقائدهم»[٢].

---

(١) ولتوكيد الخبر أدوات كثيرة منها : إنّ ، والقسم، ولام الابتداء ، ونونا التوكيد ، وقد، وضمير الفصل، وأمَّا الشرطية، والأحرف الزائدة . (انظر البلاغة العربية : ١/١٤١-١٤٢، لعبد الرحمن الميداني).

(٢) من بلاغة القرآن الكريم : ١٤٣، لأحمد بدوي.

ومن خلال معايشتي لآيات الهدى، وجدت الجملة الخبرية في هذه الآيات الكريمة تأتي مرة مجردة من التوكيد ، أو مؤكدة بمؤكد واحد ، أو بأكثر من مؤكد .

وأود أن أشير هنا إلى أن آيات الهدى ورد فيها أضرب الخبر التحقيقية كما سأبين.

أما أضرب الخبر التنزيلية[1] فلم أعثر على شواهد لها في آيات الهدى، والله أعلم.

١- الضرب الابتدائي في آيات الهدى :

وورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٥).

هذا الضرب من الخبر ابتدائي في قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ...﴾ ، وذلك لأن الله تعالى يخاطب قوماً لا يعلمون شيئًا من الحكم الذي تضمنه الخبر ، وهو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن الكريم هدى للناس، وأنه فرض عليهم صيامه، فأبلغهم الله خبرًا جديدًا أذهانهم خالية من معرفة أي شيء عنه.

لذا اقتضى المقام أن يُلقى الخبر إلى المؤمنين خاليًا من التأكيد، فجاء الخبر على وفق حال المخاطب ، والبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطبين ، والقرآن الكريم بلغ الغاية، ووصل النهاية في ذلك .

---

(١) يقصد بها خروج الكلام على الأضرب الثلاثة السابقة إخراجًا على مقتضى ظاهر الحال، وذلك لاعتبارات يلحظها المتكلم.

ومن الضرب الابتدائي ما جاء في قوله تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة : ٢١٣).

جاء الخبر في هذه الآية خاليًا من التوكيد في قوله : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً ﴾، وهذا الضرب من الخبر يسمى (ابتدائيًّا)، وذلك لأن الله تعالى يخاطب أناسًا لا يعلمون مضمون الخبر، وهؤلاء الناس هم جميع بني آدم ، فأخبر الله تعالى أن اناس كانوا على طبيعة واحدة فيها الاستعداد للضلالة، منهم من يهتدي، ومنهم من تغلب عليه الضلالة، ولذلك اختلفوا، فبعث الله إليهم الأنبياء هداة ومبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتب ؛ لتكون هي الحكم، فينقطع التنازع، والمؤمنون هم الذين انتفعوا بهدي النبيين ، كما هداهم الله في موضع الاختلاف إلى الحق.

لذلك اقتضى المقام أن يلقى إليهم الخبر خاليًا من التوكيد.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النور : ٣٥).

جاءت الجمل الخبرية في هذه الآية خالية من التوكيد في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ و ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ و ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾ .

وذلك لأن الله تعالى يخاطب أناسًا لا يعلمون شيئاً عن الحكم الذي تضمنه الخبر، فيخبرهم سبحانه أنه لولاه لما كان في الكون نور ولا هداية في السماوات ولا في الأرض، فهو تعالى منورهما، فكتابه نور، ورسوله نور أي يهتدي بهما في ظلمات الحياة، كما يهتدي بالنور الحسي، والله ذاته نور فكل نور حسي أو معنوي الله خالقه وموهبه وهاد إليه .

وهذا الضرب من الخبر يُسمى (ابتدائيًا) ؛ لأن المولى عز وجل يخاطب أذهانًا خالية لا علم لها بهذا الخبر.

❖ ❖ ❖

٢- الضرب الطلبي في آيات الهدى:

وورد من ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَا** ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (المائدة : ٤٤).

جاء الخبر هنا مؤكدًا بـــ (إنّا) في قوله : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾، وذلك لأن المخاطبين ، وهم اليهود مترددون في أمر الزانيين(١) ، وقد سبق بيانه، فاقتضى الحال أن يلقى الخبر مؤكدًا (بإنّا) حتى ينـــزع هذا الشك من نفوسهم.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ (البقرة : ١٥٩).

قد سبق الحديث عن هذه الآية ص (١١٧) في هذا المبحث .

٣- الضرب الإنكاري في آيات الهدى :

وورد ذلك في قوله تعالى : ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة : ٧٠).

أكد الخبر في قوله : ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ بثلاث مؤكدات ، وهـــي إنّ والجملـــة الاسمية، واللام؛ وذلك لأن بني إسرائيل شددوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، ولم يستجيبوا لذبح البقرة من أول مرة ، وطلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو ربه حتى يبين حالها وصفاتها، فاقتضى الحـــال أن يؤكد الكلام بأكثر من تأكيد لكي ينـــزعوا إنكار أي منكر لكونهم يريدون الاهتداء هذه المرة.

يقول السمين الحلبي : « ولكنهم أخرجوه في جملة اسمية مؤكدة بحرفي تأكيد مبالغة في طلب الهداية»(٢).

---

(١) انظر ص ٩٩.

(٢) الدر المصون : ١/١٩٧.

ويقول الألوسي : « وجاء خبر إن اسمًا لأنه أدل على الثبوت، وعلى أن الهداية حاصلة لهم، وللاعتناء بذلك أكد الكلام»(١).

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء : ٩).

جاء الخبر في قوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ مؤكدًا (بإن – واسمية الجملة) ؛ وذلك لأن المخاطبين وهم المشركون ينكرون دعوته ﷺ ، وقد أيده الله تعالى بالمعجزات والتي أعظمها القرآن الكريم.

فاقتضى الحال أن تأتي الجملة الخبرية هنا مؤكدة ، لأنه مراعى فيها حال بعض المخاطبين، وهم الذين كذبوا القرآن، ولم يذعنوا لدعوة النبي ﷺ، والتوكيد أيضًا موجه لحال المؤمنين تدليلاً على شدة اهتمامهم بهذا الخبر .

ولهذا أشار ابن عاشور فقال : «فالتوكيد مستعمل في معنييه دفع الإنكار والاهتمام، ولا تعارض بين الاعتبارين»(٢).

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾(الزخرف : ٤٩).

---

(١) روح المعاني : ١/٣٦٣.
(٢) التحرير التنوير : ١٥/٤٠.

حيث أكد الخبر في قوله : ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ بمؤكدين هما (إن – واللام)، وذلك لأن الخطاب موجه لموسى ﷺ ، وهو قد خَبَرهم من قبل ، وعلم أنهم ينكثون العهد، وينقضون الوعد، فهو منكر عليهم سلوكهم معتقد في فساد قولهم، ومن ثم أكدوا له الخبر بمؤكدين كي يزيلوا من نفسه هذا الإنكار فيستجيب لهم ، ويدعو ربه ليكشف الضر عنهم.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ (الزخرف: ٢٧).

أكد الخبر في قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ بمؤكدين (إن – والسين) . وذلك لأن الآية واردة في سياق الحديث عن قوم إبراهيم ﷺ الذين أصروا على تقليد آبائهم في الكفر لكن إبراهيم ﷺ تبرأ منهم، كما هو مذكور في الآية السابقة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾(الزخرف : ٢٦) ، فقوم إبراهيم ﷺ ينكرون أن يكون على هدى في الحال والمستقبل ، فجاء الخبر هنا مؤكدًا ردًّا عليهم.

يقول ابن عاشور : «وتوكيد الخبر بـ(إن) منظور فيه إلى حال أبيه، وقومه؛ لأنهم ينكرون أنه الآن على هُدًى ، فهم ينكرون أنه سيكون على هدى في المستقبل»[١]، وأدخل السين للتأكيد ، وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار.

كما أن في رد إبراهيم ﷺ على قومه ثقة بالله تعالى، وتنبيهًا لقومه أن الهداية من ربه سبحانه وحده، وهي هداية التوفيق والمعونة.

---

(١) التحرير التنوير : ٢٥/١٩٣.

وهكذا رأينا كيف استخدم القرآن الكريم الجملة الخبرية مؤكدة أو غير مؤكـــدة وســـيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه، وإقراره في أفئدتهم حتى يصبح عقيدة من عقائدهم.

وبهذا يتبين لنا روعة الأسلوب القرآني في استخدامه التوكيد ، حيث تـــزدحم العبـــارات والألفاظ بجملة من المعاني العظيمة ، فلا تملك النفس السوية تجاه هذا الأسلوب إلا التصديق به.

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

المبحث الثاني : الحذف في آيات الهـــدى

الحذف في آيات الهدى:

الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية لكنها في اللغة العربية طبيعة من طبائعها، وهي أكثر وضوحًا وثباتًا فيها من غيرها ؛ لأن اللغة العربية من خصائصها الأصلية الميل إلى الإيجاز والاختصار ، والحذف يُعد أحد نوعي الإيجاز ، وهما الإيجاز بالقصر والإيجاز بالحذف.

والحذف في كتب البلاغة متنوعٌ ، يبدأ من حذف الحرف ثم الكلمة ثم الجملة ثم أكثر من جملة، ويأتي الحذف لمعانٍ بلاغية أشهرها : «الاحتراز عن السأم والعبث ، وضيق الصدر عن إطالة الكلام، والحذر من فوات فرصة، ورعاية الفاصلة، والبيان بعد الإبهام، ودفع توهم إرادة غير المراد، وغير ذلك كثير»(١) يفهم من سياق الكلام.

وقد بين الإمام عبدالقاهر بلاغة الحذف بوجه عام فقال : «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تُبِن... ورب حذف هو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد»(٢).

هذا ، وبمطالعتي المستمرة لآيات الهدى في الذكر الحكيم لاحظت أن ظاهرة الحذف البلاغي قد كثرت فيها ، وتشعبت مناحيها ، وتنوعت ضروبها .

فقد ورد في هذه الآيات حذف الحرف، والكلمة ، والجملة ، والجمل لأسرار بلاغية، وخصائص تعبيرية دقيقة .

---

(١) انظر دلائل الإعجاز : ١٩٨، ومفتاح العلوم : ١١٣، والإيضاح : ٤٥، وبغية الإيضاح: ٥٦/١، وشروح التلخيص : ١٥٩/٣، والإتقان في علوم القرآن : ٦٨٦-٦٨٧.

(٢) دلائل الإعجاز : ١٧٧ ، لعبد القاهر الجرجاني.

وسأبدأ بحذف الحرف في آيات الهدى.

من يتأمل حذف الحرف في آيات الهدى يستشعر أن الحرف المحذوف جاء على قسمين: حرف مبنى أي من بنية الكلمة، وحرف معنى مثل حروف النداء والجر والاستفهام ... ، وقد ورد كلا الحذفين في آيات الهدى.

أولاً : حذف حرف المبنى في آيات الهدى :

بتتبع حرف المبنى المحذوف في آيات الهدى ، وجدت أن الياء فحسب هي التي حذفت.

وقبل أن أبدأ في بيان الأسرار الإعجازية ، والخصائص الفنية في حذف الياء في الآيات السابقة أود أن أشير إلى قاعدة عامة تخضع لها أسرار حذف الياء في الأفعال والأسماء في القرآن الكريم أشار إليها د/ فاضل السامرائي بقوله : « ويمكن أن نذكر هنا أصلاً عامًا في ذكر الياء وحذفها، وهو أن الاجتزاء بالكسرة عن الياء يختلف عن ذكر الياء في كل ما ورد في القرآن الكريم عدا خواتم الآي والنداء، ولها في ذلك خط عام إضافة إلى السياق الخاص ففي كل موطن ذكرت الياء فيه يكون المقام مقام إطالة وتفصيل الكلام، بخلاف الاجتزاء بالكسرة ، فإن فيه اجتزاء في الكلام هذا من ناحية ...»(١).

هذا ، «وقد جاء حذف الياء في كلمات كثيرة، وبعض تلك الكلمات تحذف منها الياء في القرآن الكريم مرة واحدة ، وبعضها تحذف منها الياء في مواضع ، وتثبت في مواضع أخرى»(٢).

وسأشرع في بيان ذلك .

---

(١) التعبير القرآني : ٨٠ للدكتور فاضل السامرائي.

(٢) الإعجاز القرآني في حذف حروف المباني والمعاني : ٣٧ ، للدكتور عبدالله سرحان .

فمن حذف الياء في الأسماء قوله تعـالى : ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ . (الإسراء : ٩٧).

حذفت الياء من الاسم المنقوص ﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾ لسر بلاغي حكاه ابـن عاشـور بقولـه : «حذفت ياء (المهتدي) في رسم المصحف؛ لأنهم وقفوا عليها بدون ياء على لغة من يقف على الاسم المنقوص غير المنون بحذف الياء ، وهي لغة فصيحة غير جارية على القياس ، ولكنها أوثرت من جهة التخفيف لثقل صيغة اسم الفاعل مع ثقل حرف العلة في آخر الكلمة ، ورسمت بدون ياء؛ لأن شأن أواخر الكلم أن ترسم بمراعاة حال الوقف»(١).

فابن عاشور يرى أن حذف (الياء) للتخفيف من الثقل ، ومراعاة للوقف.

وهناك سرٌّ بلاغي آخر يتمثل في الوقوف على الصدر الذي خصه بالمدح استقلالًا عن الضال؛ لأنها كالفاصلة.

❖ ❖ ❖

ويؤكد ذلك أن هذا المنقوص ورد أيضًا محذوفاً منه الياء في قوله تعـالى : ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (الكهف: ١٧).

---

(١) التحرير والتنوير : ١٥/٢١٥-٢١٦ ، وانظر روح المعاني : ١٥/٢٥٢.

حذفت الياء أيضاً في قوله : ﴿ٱلۡمُهۡتَدِ﴾ واجتزأ بالكسرة ، والسر في حذفها ذكر عناية الله بالفتية، فوقف على صدرها المادح لهم، وحذف يائها ؛ لأنها كالفاصلة ؛ ولأن المقام يقتضي ذلك كما أشار السامرائي قبل .

❖ ❖ ❖

ومن ثم وجدنا هذه الياء أثبتت في قوله تعالى : ﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾(الأعراف : ١٧٨).

حيث ذكر المولى عز وجل (الياء) في الاسم المنقوص ﴿ٱلۡمُهۡتَدِي﴾ ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن حذف حروف المباني في القرآن الكريم تكون لعللٍ ونكات بلاغية، وإلا لورد هذا المنقوص في جميع مواضعه محذوفًا .

ويعلل د/ السامرائي لحذفها في الإسراء والكهف وإثباتها هنا فيقول : «آية الأعراف ثابتة الياء إجماعاً؛ لأن نية الوصل باقية بين مصير المهتدي ومصير الخاسر ، ومصير الخاسر هو المقصود بالسياق الذي ينتقل من ذكر حال (ضلال) إلى مصير (هدى) إلى مصير (ضلال)؛ وذلك أن لفظ الهداية ورد في سورة الأعراف (٤٧) مرة ، في حين ورد في الإسراء (٨) مرات ، وفي الكهف: (٩) مرات ، فلما زادت ألفاظ الهداية في سورة الأعراف على ما في السورتين زاد لفظ ﴿ٱلۡمُهۡتَدِي﴾ على ما في السورتين»[١].

❖ ❖ ❖

(١) التفسير القرآني : ٨٥ للدكتور فاضل السامرائي .

ويؤكد ما سبق حذف الياء أيضًا من النكرة المضافة إلى معرفة في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (الروم : ٥٣).

وثبتت في موضع آخر في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (النمل : ٨١).

فحذف الياء في آية الروم أشار إليه الزركشي بقوله : «وهذا بخلاف الحرف الذي في النمل ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ (النمل : من الآية ٨١)؛ لأن هذه الهداية كلية كاملة دليل قوله: ﴿ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ (النمل : ٧٩)»[١].

يقول الدكتور عبدالله سرحان في ذلك : « يقصد أن سياق الهداية في سورة النمل يشير إلى أنها هداية كلية فتثبت فيها الياء إيماء إلى ذلك، ولما كان سياق آية الروم ليس فيه هذا المعنى حذفت الياء إشارة إلى ذلك فتم التلاؤم والتناغم بين حذف الياء، وإثباتها في الموضعين»[٢].

❖ ❖ ❖

كما حذف حرف المبنى الياء أيضًا في قوله تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(الحج: ٥٤).

---

(١) البرهان : ٤٠٦/١ ، للزركشي .

(٢) الإعجاز القرآني في حذف حروف المباني والمعاني : ٤٦.

حيث حذفت الياء من قوله : ﴿لَهَادِ﴾ واجتزأ عنها بالكسرة ، والسر في حذفها أشار إليه الزركشي بقوله : « يهديهم بما نصب لهم في الدنيا من الدلائل والعبر إلى الصراط المستقيم برفع درجاتهم في هدايتهم إلى حيث لا غاية»[(١)].

كما أن في الحذف أيضاً إشارة إلى سرعة هداية الله عز وجل للمؤمنين، وتوفيقه لهم إلى الصراط المستقيم.

❖ ❖ ❖

ومن حذف حرف المبنى (الياء) في الأفعال في آيات الهدى ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾(المائدة: ٤٤).

حيث حذفت الياء ، واجتزأ بالكسرة في قوله : (اخشون)، للإيجاز والاختصار، وهذا يتطابق مع سياق الآية كما سيأتي بعد.

وثبتت هذه (الياء) في موضع آخر في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(البقرة: ١٥٠).

---

(١) البرهان في علوم القرآن : ٤٠٦/١ للزركشي.

يقول الكرماني في البقرة وغيرها : «﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾بالإثبات ؛ لأن الإثبات هو الأصل، وحذفت الياء من ﴿وَٱخۡشَوۡنِ﴾ من الخط لما حذفت من اللفظ..»[١].

وحذف الياء في المائدة وإثباتهافي البقرة له أكثر من سبب :

١- «أن مقام الإطالة والتفصيل في سورة البقرة أكثر بكثير من سياق آية المائدة ، فإن الكلام على تحويل القبلة من ببيت المقدس إلى الكعبة، وهو يبدأ بقوله : ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ﴾ (البقرة: ١٤٢) ويستمر إلى الآية : ١٥٠.

وأما آية المائدة ، فهي في سياق الكلام على التوراة ، فاقتضى ذلك الزيادة في البناء (اخشوني) في البقرة دون المائدة.

٢- « أن آية البقرة في تحويل القبلة من بيت المقدس ، وقد أثار ذلك فتنة ومُلاحاة وإرجافاً من المشركين واليهود، حتى قال المشركون : «أنّ محمدًا تحير في دينه»[٢] ، وحتى «ارتد قسم من ضعاف الإيمان»[٣] .

أما آية المائدة فليس فيها إثارة ولا خصومة. فاقتضى المقام في آية البقرة ذكر نفسه – سبحانه– والتخويف منه ، وإظهار نفسه لخشيته، أكثر من المائدة ، ولا شك أن التحول في القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة فيه من الإرجاف والفتنة، ومظنّة الارتداد عن الدين ما ليس في الأمر الآخر ، فاقتضى ذلك إظهار الله لنفسه بذكر الياء ، فقال : ﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾.

(١) أسرار التكرار في القرآن : ٥٩، لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني.

(٢) فتح القدير : ٢٠١/١.

(٣) انظر روح المعاني : ٥٨/٢.

٣- كما أن آيات البقرة فيها توكيدات ، وهي تناسب هذا الإظهار ، فاقتضى ذلك إظهار الياء في البقرة دون المائدة»[١].

❖ ❖ ❖

كما ورد حذف الياء مع الفعل ،واجتزأ بالكسرة عنها في قوله تعـالى : ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾ (الكهف: ٢٤).

فقد حذفت الياء في قوله : ﴿يَهۡدِيَنِ ﴾ والأصل أن يقال : (يهديني)، وذلـك لأن المقـام مقام إيجاز واختصار ، فحذفت الياء طلبًا للخفة، وصيانة للجملة من الثقل وإيماء إلى سرعة هدايتـه ﷺ للمطلوب، «فقد سأل الكفار الرسول ﷺ عن الروح ، والفتية، وذي القرنين ، فقال لهم غـدًا أخبركم بجواب أسئلتكم ، ولم يستثن في ذلك . فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يومًا حتى شق ذلك عليه، وأرجف الكفار به ، فنـزلت عليه هذه السورة مفرجة»[٢]. فطي الياء فيه إشارة إلى طي هذا الحدث، وانتهائه ، وتفريج الله عز وجل كرباته عنه، والله أعلم.

❖ ❖ ❖

---

(١) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : ٢٤-٢٥-٢٦-٢٧، بتصرف ، للدكتور فاضل السامرائي .

(٢) تفسير القرطبي : ٣٨٥/١٠، بتصرف يسير.

ثانياً: حذف حروف المعاني في آيات الهدى:

١- حذف حرف الجر (إلـــى) :

وورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾. (الفاتحة : ٦).

والتقدير :اهدنا إلى الصراط المستقيم.

وقلت ذلك ؛ لأن «أصل (هدى) أن يتعدى إلى الأول بنفسه، وإلى الثاني بحرف الجر، وهو إما إلى أو اللام كقوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الشـــورى: ٥٢). و﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء من الآية :٩) ثم يتسع فيه فيحذف الحرف فيتعدى بنفســـه فأصـــل ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ﴾ (اهدنا للصراط أو إلى الصراط)»[(١)].

«والأولى أن يكون الحرف المحذوف هنا (إلى) بدليل أنه ورد مذكورًا في اثني عشر موضعًا في نظائر هذا الأسلوب في القـــرآن الكريم»[(٢)]. منها قوله تعـــالى : ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(البقرة من الآية : ٢١٣).

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(آل عمران من الآية:١٠١).

وقد أشار ابن عاشور لسر الحذف بقوله : «وقيل الفرق بين المتعدي وغـــيره أن المتعـــدي يستعمل في الهداية لمن كان في الطريق ونحوه ليزداد هدى، ومصدره حينئذ الهداية، وأمـــا هداه إلى

(١) الدر المصون : ٦٢/١، للسمين الحلبي ، وانظر تفسير القرطبي : ١٤٨/١، وتفسير أبي السعود: ١٧/١.

(٢) الإعجاز القرآني في حذف حروف المباني والمعاني : ١٨٧.

كذا، أو لكذا فيستعمل لمن لم يكن سائرًا في الطريق، ومصدره هدى»[١].

كما أن في الحذف إشارة دقيقة إلى أن معنى الانتهاء – في هذا الحرف، وهو معنى أصلي من معانيه – «ليس مقصوراً ، ولا يقتضيه السياق، فهناك من يهديك إلى الطريق أي يرشدك إليه، ويعرفك عليه، ويتركك بعد ذلك تسير فيه وحيدًا بموجب تلك الهداية، وهناك من يهديك الطريق نفسه، ويوقفك على تضاريسه الصعبة، وطرقه الوعرة، ويطلعك على دروب المشي فيه، ويهديك إلى مضايقه ومداخله، ولا شك أن من يهديك طريقًا بهذا الوصف يكون السائر فيه أكثر أماناً واطمئنانًا ، وأشد فرحةً وسعادة؛ لأنه يعرف عثرات الطريق ومزالقه وزلاته مسبقاً فيتحاشاها، مما يساعده على الوصول بسرعة إلى غرضه وطلبته، وهكذا فإن حذف (إلى) أومأ إلى تلك المعاني كلها»[٢].

وهذا المعنى متحقق في الآيات التالية التي ورد فيها حذف (إلى)، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (النساء : ٦٨) ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾(مريم : ٤٣) . وقوله : ﴿ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الصافات: ١١٨).

٢- حذف حرف النفي (لا):

وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (النحل : ١٥).

---

(١) التحرير والتنوير : ١٨٧/١.

(٢) الإعجاز القرآن في حذف حروف المباني والمعاني : ١٨٨.

حيث حذف حرف النفي (لا) بعد أن ، والتقدير : أي : أن لا تميد.

يقول النحاس : « أن تميد بكم في موضع نصب، والتقدير عند البصريين كراهة أن تميد بكم وعند الكوفيين لئلا تميد بكم»[١]. فالآية واردة في سياق امتنان الله على عباده بنعمه الظاهرة عليهم، ومنها أنه جعل في الأرض جبالًا رواسي ، وقد أشار ابن عاشور إلى ذلك أيضًا فقال: «ولما كان المقام مقام امتنان عُلم أن المعلل به هو انتفاء الميد لا وقوعه، فالكلام جار على حذف تقتضيه القرينة، ومثله كثير في القرآن وكلام العرب .

قال عمرو بن كلثوم :

.... ** فعجلنا القرى أن تشتمونا

أراد : أن لا تشتمونا ، فالعلة هي انتفاء الشتم لا وقوعه، ونحاة الكوفة يخرجون ذلك على حذف النفي بعد (أن) ، والتقدير : لأن لا تميد بكم، ولئلا تشتمونا وهو الظاهر، ونحاة البصرة يخرجون مثله على حذف مضاف بين الفعل المعلل و(أن) تقديره أن تميد بكم»[٢].

وأنا أرجح رأي الكوفيين القائل بأن المحذوف هنا هو (لا النافية).

و«لو ذكر الحذف لكان ذكره – حاشا وكلا – من قبيل العبث ، والذكر الحكيم يتنزه عن العبثْ ، ويسمو بأسلوبه عن الترهل والثقل، وينحو نحو الخفة، والإيجاز البليغ لدلالة المعنى

(١) إعراب القرآن : ٢/٣٩٣، للنحاس ، انظر تفسير القرطبي : ١/٩٠.

(٢) التحرير والتنوير : ١٤/١٢١.

عليه، والذي يزيد ما قلناه تأكيدًا أن حذف (لا) على رأي الكوفيين قد اطرد في بقية المواضع الـتي جاء فيها الحديث عن الجبال على منوال هذا النظم السابق»[١].

وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (الأنبياء : ٣١).

وقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ (لقمان : من الآية ١٠).

❖ ❖ ❖

(١) الإعجاز القرآني في حذف حروف المباني والمعاني : ٢٣٥.

ثالثاً : حذف الكلمة في آيات الهدى:

وأعني بحذف الكلمة هنا المسند إليه ، أو المسند.

أولاً : حذف المسند إليه في آيات الهدى:

١- حذف المبتدأ :

وجاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٢).

حيث حذف المبتدأ ، وتقديره : (هو هدى) ، والحذف هنا أليق بالسياق؛ «لأنه لو ذكر المبتدأ لأثار قلقًا أسلوبيًّا لذكر قرب الكتاب العائد عليه الضمير قبل ذلك مما يبعث في النفس السأم لوضوحه»[١]، فكان الحذف للاحتراز عن السأم والعبث.

❖ ❖ ❖

ومن حذف المبتدأ أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ (الزخرف : ١٠).

حيث حذف المبتدأ ، وتقديره : (هو الذي جعل لكم).

يقول ابن عاشور : «واسم الموصول (الذي) خبر لمبتدأ محذوف وتقديره : هو الذي جعل لكم، وهو من حذف المسند إليه على متابعة الاستعمال في تسمية السكاكي»[٢].

---

(١) المعاني في ضوء أساليب القرآن : ١٥١ بتصرف ، للدكتور عبدالفتاح لاشين.

(٢) التحرير والتنوير : ١٦٩/٢٥.

فالحذف هنا لاتباع الاستعمال الوارد، وفي الحذف أيضاً إشارة إلى أن الخبر لا يكون إلا للمبتدأ المحذوف، فأغنى ذلك عن ذكره لوضوحه.

ففي الحذف زيادة إيضاح، وتقرير بأن الله هو المتفرد بالإلهية، وتعظيم وتفخيم للمولى عز وجل على نعمه الكثيرة على عباده، وكمال علمه وقدرته في مخلوقاته.

❖ ❖ ❖

ومن حذف المبتدأ أيضًا ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ (الحج : ١٦).

حذف المبتدأ في قوله : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ فأن وما بعدها « في محل رفع خبر لمبتدأ مضمر، وتقديره : والأمرُ أن الله يهدي من يريد هدايته»[١].

وحذف المبتدأ من الآية لوضوحه ، وبيانه ، وذكر الواضح البين عبث حاشا وكلا. «فالله تعالى يهدي بالقرآن الكريم ابتداء ، أو يثبت على الهدى ، أو يزيد فيه من يريد هدايته ، أو تثبيته»[٢].

❖ ❖ ❖

كما ورد حذف اسم كأنَّ في قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ (يونس: ٤٥).

(١) الدر المصون : ٣٤٧/١، وانظر تفسير أبي السعود : ١٠٠/٦، وروح المعاني : ٤١٧/٥.
(٢) تفسير حقي : ٣٧٨/٨.

فقد حذف اسم كأن في قوله : ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ ، وتقديره (هم).

يقول ابن عاشور : «(كأن) مخففة (كأنَّ) المشددة النون التي هي إحدى أخوات (إنَّ) وهي حرف تشبيه ، وإذا خففت يكون اسمها محذوفًا غالبًا والتقدير هنا : كأنهم لم يلبثوا إلا ساعة من النهار، وقد دل على الاسم المحذوف ما تقدم من ضمائرهم»(١).

والحذف هنا لصيانة الجملة من الثقل ، وإثارة الفكر والحس، كما أن في الحذف نكتة أخرى، وهي وصف الكفار تحديدًا بقلة الإصغاء وترك التدبر، وتكذيبهم النبي ﷺ .

❖ ❖ ❖

٢- حذف المسند إليه (الفاعل):

وقد ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الحج : ٤).

حيث حذف هنا الفاعل ؛ لأن الفعل (كُتب) مبني للمجهول ، وتقدير الفاعل المحذوف : (كَتب الله عليه).

والسر في حذف اسم الجلالة (الله). ذم المجادل والمتبع للشيطان وتحقيره في عدم ذكر اسمه تعالى تحقيرًا للمجادل، وترفعًا أن يذكر اسمه سبحانه بجواره، كما أن الحذف قد أفاد التنفير من هذا المجادل.

---

(١) التحرير والتنوير : ١٨٢/١١.

كما ورد أيضًا حذف المسند إليه (الفاعل) في قوله تعالى : ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ (الحج : ٢٤).

حيث حذف المسند إليه (فاعل الهداية في الجملتين)، وهو لفظ الجلالة (الله) والتقدير : وهداهم الله إلى الطيب من القول وهداهم إلى صراط الحميد.

فحذف الفاعل لتعيينه ووضوحه ، وربما كان في حذفه إشارة إلى سهولة الهداية للمؤمنين وللأتقياء منهم.

يقول البقاعي : « والله الهادي ، وهدوا بأسهل أمر بهداية الله أعم من أن يكون السبب القريب لذلك العقل وحده أو مع الرسول أو الكتاب أو غير ذلك ...»[١].

❖ ❖ ❖

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٢٣/١٣، للبقاعي.

ثانيًا : حذف المسند في آيات الهدى :

١- حذف المسند الخبري :

وورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (الرعد : ٣٣).

فقوله : (أفمن) من : موصولة مرفوعة على الابتداء، والخبر محذوف وتقديره : «أفمن هو قائم على كل نفس ومن جعلوهم شركاء سواء في استحقاق العبادة. دل على تقديره ما تقتضيه الشركة في العبادة من التسوية في الإلهية واستحقاق العبادة»[١].

ودل على الخبر المحذوف جملة ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ ، فحذف الجواب لدلالة المعنى عليه، والتقدير : كمن ليس كذلك.

والسر في حذف الخبر الإنكار على المشركين إشراكهم بالله تعالى ، والتوبيخ لهم، ونفي المماثلة بعدم إيرادها في اللفظ.

❖ ❖ ❖

ومما ورد أيضًا من حذف الخبر قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾(فاطر:٨).

---

(١) الكشاف : ٣/٣٥٤ ، وانظر التحرير والتنوير : ١٣/١٥٠، وخصائص التراكيب : ٢١٦.

وقوله : (أفمن) اسم موصول في محل رفع مبتدأ ، والخبر محذوف ، وتقديره: كمن هداه الله، «ولم يقل : (أفمن ضل) ليذيع جهله وبلادة نفسه ، فهو لا يميز بين الأشياء الواضح تباينها بل إنه يرى السوء حسنًا ، فلقد فسد طبعه المميز بين الحسن والقبح، فلا عجب إذا استحب العمى على الهدى»(١).

وحذف الخبر لدلالة اللفظ عليه ، ودل على المحذوف بقية الآية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ .

❖ ❖ ❖

(١) خصائص التراكيب : ٢١٧.

رابعًا : حذف المتعلقات في آيات الهدى :

أولاً : حذف المفعول :

يحذف المفعول في آيات الهدى لأغراض منها :

١- التعميم :

جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (يونس: ٢٥).

حيث حذف المفعول به للفعل يدعو في قوله : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا ﴾، والتقدير : والله يدعوا كل الناس إلى دار السلام.

والسر في حذف المفعول هو قصد التعميم؛ لأن الدعوة عامة أما الهداية فهي خاصة، ولذلك ذكر معها المفعول في قوله : ﴿مَن يَشَاءُ ﴾.

❖ ❖ ❖

ومما ورد أيضًا من حذف المفعول ما جاء في قوله تعالى : ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الحج:٦٧).

حذف المفعول في قوله : ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ ، والتقدير : وادع كل الناس أو كل أحد. فالسر لحذف المفعول تعميمه، واشتماله للجميع ، فالدعوة معلومة أنها من الرسول ﷺ للناس جميعًا.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى : ٥٢).

حيث حذف مفعول ﴿تَهْدِى﴾ ، والتقدير : وإنك لتهدي كل أحد ، فالهداية منسوبة للرسول ﷺ ، وقد أرسله الله عز وجل لتلك المهمة، وهي هداية إرشاد وبيان والمعنى، وإنك لترشد كل الناس إلى صراط مستقيم . فالسر البلاغي لحذف المفعول هو عموم رسالة محمد ﷺ للجميع.

يقول ابن عاشور : «وحُذف مفعول ﴿تَهْدِى﴾ للعموم، أي ترشدهم إلى صراط مستقيم»[(١)]. ويقول الألوسي : «ومفعول ﴿تَهْدِى﴾ محذوف ثقة بغاية الظهور أي : وإنك لتهدي بذلك النور من تشاء هدايته»[(٢)].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ (الأعلى: ٢-٣).

حيث حذف المفعول مع الفعل (هدى) وتقدير المفعول مختلفٌ فيه.

فقيل : «هدى الأنعام لمراعيها، وقيل : قدر أقواتهم وأرزاقهم، وهداهم لمعاشهم»[(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير : ١٥٤/٢٥.
(٢) روح المعاني : ٣١١/١٨.
(٣) فتح القدير : ٤٧٠/٧ ، وانظر تفسير الخازن : ٢٥١/٦ ، والتحرير والتنوير : ٢٧٧/٣٠.

وعن ابن عباس والسدي ومقاتل والكلبي قالوا : «فهدى : عرف خلقه كيف يأتي الذكر والأنثى»[(١)].

وأرى أن كل هذه التقديرات جائزة ولا تنافي بينها ، فحذف المفعول ليشملها كلها.

يقول الزمخشري : «مفعول (هدى) محذوف لإفادة العموم، وهو عام مخصوص بما فيه قابلية الهدى، فهو مخصوص بذوات الإدراك والإرادة وهي أنواع الحيوان، فإن الأنواع التي خلقها الله، وقدر نظامها، ولم يقدر لها الإدراك مثل تقدير الإثمار للشجر، وإنتاج الزريعة لتجدد الإنبات، فذلك غير مراد من قوله : (فهدى) ؛ لأنها مخلوقة ومقدرة، ولكنها غير مهدية لعدم صلاحها للاهتداء»[(٢)].

٢- البيان بعد الإبهام :

وجاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (الأنعام : ٣٥).

حيث حذف المفعول في قوله : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ ﴾، والتقدير : لو شاء الله أن يجمعهم لجمعهم ، وسر حذف المفعول البيان بعد الإبهام، وهذا أوقع في النفس؛ لأن السامع لا يظفر بمعرفة المحذوف إلا بعد تطلع ولهفة، ومن ثم يثبت المعنى في النفس ، ويستقر في الوجدان.

❖ ❖ ❖

(١) تفسير البغوي : ٤٠٠/٨ ، وانظر تفسير ابن كثير : ٣٧٩/٨.

(٢) الكشاف : ٣٥٧/٦، وانظر التفسير الكبير : ١٢٩/٣١، والتحرير والتنوير : ٢٧٧/٣.

كما حذف مفعول المشيئة في قوله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ (النحل : ٩).

والتقدير : (لو شاء الله أن يفعل ذلك لفعل) أي : لو شاء هدايتهم لفعل.

والسر في حذف مفعول المشيئة بيان كثرة نعم الله تعالى على عباده ، وفي الحذف أيضاً إيجاز، وتشويق للمحذوف ليأتي البيان بعده شافيًا فيجعل المعنى مستقرًا في النفس.

❖ ❖ ❖

كذلك حذف مفعول المشيئة في قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ (السجدة : ١٣) .

حيث حذف مفعول المشيئة في قوله : ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا ﴾.

وتقديره كما قال عبدالقاهر الجرجاني : «ولو شئنا أن نؤتي كل نفس هداها لأتيناها» لا يصلح إلا على ذلك؛ لأنه إن لم يقدر هذا المفعول أدى ، والعياذ بالله إلى أمر عظيم ، وهو نفي أن يكون لله مشيئة على الإطلاق؛ لأن من شأن (لو) أن يكون الإثبات بعدها نفيًا ، ألا ترى إذا قلت: لو جئتني أعطيتك كان المعنى على أنه لم يكن مجيء ولا إعطاء، وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا ﴾ (الأعراف : ١٧٦) ، فقدره النحويون فلم نشأ نرفعه»[١].

---

(١) دلائل الإعجاز : ١٩١-١٩٢، وانظر البرهان في علوم القرآن : ٧٢٨.

والسر في حذف المفعول البيان بعد الإبهام ، وهذا لا شك أوقع في النفس؛ لأن السامع لا يعرف المحذوف إلا بعد تطلع ولهفة، وتشوق لمعرفته فإذا توصل إليه استقر في نفسه وتمكن.

❖ ❖ ❖

٣- رعاية الفاصلة والإيجاز :

كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ (الضحى : ٦-٨).

حيث حذفت مفاعيل (فآوى - فهدى - فأغنى) ، والتقدير : (فآواك - فهداك - فأغناك).

والسر في حذفها هو «العلم بها من ضمائر الخطاب قبلها، وحذفها إيجاز ، وفيه رعاية الفواصل»[١].

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ٣٠/٤٠٠.

ثانيًا: حذف الموصوف:

وورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.(البقرة:٢).

حيث حذف الموصوف في قوله : (للمتقين) ، وتقديره : «للقوم المتقين»(١).

والسر في حذف الموصوف تعظيم هؤلاء القوم المؤمنين المتقين ، وإجلال لهم، وبيان لفضلهم؛ لأنهم هم الذين اهتدوا وانتفعوا بالقرآن الكريم فسارع بذكرهم ؛ لأن النظر مسلط على صفتهم ، وهي التقوى.

❖ ❖ ❖

ومن حذف الموصوف كذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (النحل : ١٥).

حيث حذف الموصوف في قوله : (رواسي) ، وتقديره : جبالًا رواسي.

والسر في حذف الموصوف الإيجاز والاختصار، كما يوجدُ في الحذف سر آخر، وهو إرادة التعظيم والتفخيم لنعم الله عز وجل على عباده بما على سطح الأرض من المخلوقات العظيمة التي في وجودها لطف بالإنسان، وفي الحذف أيضًا إشارة إلى شدة التصاق الصفة بالموصوف، وأن ذكر الصفة يغني عن الموصوف؛ لأن الذهن لا يذهب لسواه.

❖ ❖ ❖

---

(١) البرهان في علوم القرآن : ٧١٩.

ومن ذلك أيضًا ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴾ (الزخرف : ٤٩).

حيث حذف الموصوف في قوله : (يا أيها الساحر) ، وتقديره: يا أيها الرجل الساحر وحذف الموصوف بعد النداء واقع كثير .

يقول ابن الأثير : «ولقد تأملت حذف الموصوف في مواضع كثيرة، فوجدت أكثر وقوعه في النداء ، وفي المصدر ، وعليه ورد قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾ تقديره : يا أيها الرجل الساحر»[١].

والسر في حذف الموصوف هو تعظيم موسى عليه السلام حيث وصفوه بالساحر مباشرة، وكان للسحر والساحر عندهم منزلة عظيمة ورفيعة، فقد طلبوا منه أن يدعو لفرعون وقومه بكشف العذاب حتى إذا انكشف العذاب عنهم نكثوا العهد.

كما أن في الحذف نكتة أخرى وهي «توبيخ لقريش بالإشارة إلى أنهم ، وغيرهم ممن مضى يرمون الرسول بالسحر، ويقرون برسالته عند الحاجة إلى دعائه في كشف ما عذبهم ربهم به، وذلك قادح فيما يدعون من الثبات والشجاعة والعقل ، والإنصاف والشهامة...»[٢].

❖ ❖ ❖

(١) المثل السائر : ٩١/٢، وانظر البرهان في علوم القرآن : ٧٨.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٤٦٩/٧.

خامسًا : حذف الجملة في آيات الهدى :

وورد من ذلك حذف جواب الشرط :

في قوله تعالى : ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأنعام: ٣٥).

حيث حذف جواب الشرط في قوله : ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾، وتقديره: فإن استطعت ذلك فافعل.

يقول السمين الحلبي في قوله : «(وإن كان كبر) هذا شرط، جوابه الفاء الداخلة على الشرط الثاني ، وجواب الثاني محذوف تقديره : فإن استطعت أن تبتغي فافعل، ثم جعل الشرط الثاني وجوابه جوابًا للشرط الأول»[(١)].

والسر في حذف جواب إن هو تهدئة وتسلية للرسول ﷺ ؛ لأن الكافرين طلبوا من الرسول ﷺ أمورًا لم تكن في استطاعته ، ومن ثم حذف جواب (إن) حين يقضي على الأسى والحزن الذي أصاب رسوله الكريم بسبب إعراض قومه.

يقول ابن عاشور : «والشرط وجوابه مستعملان في التأييس من إيمانهم وإقناعهم؛ لأن الله جعل على قلوبهم أكنة، وفي آذانهم وقرًا ، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها»[(٢)].

---

(١) الدر المصون : ١/١٥٩٢.

(٢) التحرير والتنوير : ٧/٢٠٥.

ومن حذف جواب الشرط أيضًا ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ (الرعد : ٣١).

حيث حذف جواب (لو) في قوله : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾، وتقديره: لكان هذا القرآن.

وقد دل على جواب الشرط المحذوف سياق الآية، وحذف جواب (لو) كثير في القرآن الكريم. والسر في حذف جواب الشرط الاختصار، والإيجاز.

يقول القزويني يحذف جواب الشرط : «لمجرد الاختصار كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي لكان هذا القرآن»[١].

وفي الحذف أيضًا تعريض بالكافرين الذين لم يهتدوا بهدي القرآن الكريم، ودلائله.

يقول الطبري : « والحال لو أن قرآنًا أمر الجبال أن تسير والأرض أن تتقطع، والموتى أن تتكلم لكان هذا القرآن بالغًا ذلك، ولكن ذلك ليس من شأن الكتب»[٢].

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ١/١٨٤، للشيخ الإمام الخطيب القزويني ، تحقيق محمد عبدالقادر الفاضلي.
(٢) تفسير الطبري : ١٦/٤٤٨، وانظر تفسير ابن عطية : ٤/٨٠ ، والتحرير والتنوير : ١٣/١٤٣، ومن بلاغة القرآن: ٩٨.

ويقول الزمخشري مفصلاً ذلك : « (ولو آن قرءانا) جوابه محذوف كما تقول لغلامك: لو أني قمت إليك ، وتترك الجواب، والمعنى : ولو أن قرآنا (سيرت به الجبال) : عن مقارها، وزعزعت عن مضاجعها ، أو (قطعت به الأرض) : حتى تتصدع وتتزايل قطعا ، (أو كلم به الموتى) فتسمع وتجيب ، لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ، ونهاية في الإنذار والتخويف كما قال تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (الحشر: ٢١)»[١].

كما أن في الحذف إشارة إلى وجوب يقظة المستمع للقرآن الكريم الذي يتدبر معانيه ولفظه، وتراكيبه ليدرك المحذوف عن طريق التدبر والتأمل.

❖ ❖ ❖

(١) الكشاف : ٣٥١/٣.

سادسًا : حذف أكثر من جملة في آيات الهدى :

من ذلك قوله تعالى : ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ (غافر: ٣٢-٣٣).

في الآيتين حذفت عدة جمل دل عليها قوله : ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾، فهي معطوفة على جملة (إني أخاف عليكم) لتضمنها معنى : إني أرشدتكم إلى الحذر من يوم التنادي ، والتقدير : «هذا إرشاد لكم فإن هداكم الله عملتم به، وإن أعرضتم عنه فذلك لأن الله أضلكم ومن يضلل الله فما له من هاد»[(١)].

والسر في حذف هذه الجمل هو الإيجاز والاختصار؛ لأن سياق الآية الكريمة يكشف عن هذا المحذوف دون عناء ، فحذف إيجازًا واختصارًا ، وتعويلاً على فطنة السامع في التقاط المحذوف.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ١٣٧/٢٤.

هذا ، وهناك نوع من الحذف يسمى الاحتباك :

وهو «من ألطف الأنواع وأبدعها ، وقل من تنبه له ، أو نبه عليه من أهل البلاغة، وذكـره الزركشي في البرهان بل سماه الحذف المقابلي ، وأفرده بالتصنيف العلامة برهان الـدين البقـاعي ، وهو أن يُحذف من الأول ما أُثبت نظيره في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت في الأول»[١].

ومما ورد من الاحتباك في آيات الهدى:

قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (طه : ١٢٣).

وقد أشار الزركشي إلى ذلك فقال : « فإن مقتضى التقسيم اللفظي: من اتبع الهدى فـلا خوف ولا حزن يلحقه ، وهو صاحب الجنة ، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن ، وهـو صـاحب النار، فحذف من كل ما أثبت نظيره في الأخرى»[٢].

والسر في الحذف هو طلب الإيجاز والاختصار، كما أن سياق الآية كشـف عـن هـذا المحذوف دون عناء . كما دل قوله : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ ﴾ على المحذوف ، فكان الحذف هنا أليق بالسياق؛ «لأن السياق في وقوع النسيان ، وانحلال العزمَ بعد أكيد العهد»[٣].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن : ٦٢٢/٢. بتصرف يسير.

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٧٠٤/٢.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٢٧٥/٥.

وفي الحذف نكت أخرى منها : تحريك العزم وبعث الهمم، وإثارة للعزائم في التفكير . كما أشار الحذف إلى التشريف ، والتعظيم والمبالغة لمن قرأ القرآن الكريم وعمل به ، واتبعه، فمن عمل ذلك ضَمِنَ – الله عز وجل له – أن لا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة.

❖ ❖ ❖

ومما ورد من الاحتباك في آيات الهدى أيضًا قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الملك : ٢٢).

في هذه الآية جملتان ؛ حذف نصف كل واحدة منها اكتفاء بنصف الأخرى.

وإلى هذا أشار الزركشي مبينًا سر الحذف بقوله : « أفمن يمشي مُكبًّا على وجهه أهدى ممن يمشي سويًا على صراط مستقيم ، أمن يمشي سويًا على صراط مستقيم، أهدى ممن يمشي مكبا ، وإنما قلت : إن أصله هكذا؛ لأن أفعل التفضيل لا بد في معناه من المفضل عليه، وها هنا وقع السؤال عمَّن في نفس الأمر ، هل هذا أهدى من ذلك أم ذاك أهدى من هذا ؟ فلا بد من ملاحظة أمور، وليس في الآية إلا نصف إحدى الجملتين ونصف الأخرى، والذي حذف من هذه مذكور في تلك ، والذي حذف من تلك مذكور في هذه، فحصل المقصود من الإيجاز والفصاحة»[١].

❖ ❖ ❖

(١) البرهان في علوم القرآن : ٢/٧٠٥.

وهكذا ، يتبين لنا من هذا العرض ورود مختلف أنواع الحذف في آيات الهـــدى في الــذكر الحكيم، فقد حذف حرف المبنى، وحرف المعنى ، والمسند إليه ، والمسند ، وبعض المتعلقات ، كمـــا حذف جواب الشرط ، وحذفت أكثر من جملة. كما ورد فيها أيضًا ما يسمى بالإحتباك.

ومن يتأمل يلحظ أن الحذف واقع في موقعه السديد على وجه الإعجاز والإيجاز ، ولو ذُكر المحذوف ما أفاد ما أفاده الحذف من أسرار بلاغية دقيقة ، وخصائص تعبيرية رشيقة.

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

المبحث الثالث : التعريف والتنكير في آيات الهـــدى

التعريف والتنكير في آيات الهدى:

جرى التعبير القرآني على تعريف بعض الألفاظ مرة ، وتنكيرها مرة أخرى لأغراض بلاغية.

فإذا أراد أن يصل إلى هدف ما بتعريف المسند أو المسند إليه، فإن ذلك الهدف لا يتحقق في تنكيرهما، وكذلك إذا ما لجأ إلى التنكير فيهما، فإن التعريف لا يعطي المعنى الذي يعطيه التنكير، فلكل منهما موضعه وموطنه، وقد نهج القرآن الكريم منهجًا فريدًا في انتقاء الكلمة القرآنية مراعيًا أبعادها الصوتية والصرفية ثم توظيفها بعد ذلك في السياق.

وفي آيات الهدى بدا لي التعريف جليًّا كما ظهر التنكير جليًّا أيضًا، ولكل منهما أغراض بلاغية تجعلنا نقف خاشعين أمام روعة النظم القرآني.

وقد جاء في آيات الهدى من ذلك كثرة كثيرة، إلا أنه يجدر بي أن أشير إلى أنني لم أقم بالحصر، وإنما الوارد هنا على سبيل التمثيل، وكان البارز من التعريف في آيات الهدى التعريف باسم الاشارة، والموصول، والعلمية، واللام، وسأبين ذلك، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً : التعريف بالاسم الموصول في آيات الهدى:

«الاسم الموصول : هو اسم لا يتم معناه إلا بجملة تأتي بعده، وتسمى صلة الموصول.

وأسماء الموصول، منها ما هو نص في معناه، ومنها ما هو مشترك»[١].

وسأبدأ بمجيء المسند إليه اسم موصول..

---

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١/٣٣٣ بتصرف.

أولاً: تعريف المسند إليه بالموصولية:

يؤتى بالمسند إليه اسم موصول لأغراض منها:

١- إخفاء اسم المذنب وعدم إفشائه وفضحه كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾(الحج : ٨).

أتى المسند إليه اسم موصول في قوله : (من يجادل) «لأن في التعبير به إخفاء لاسم المذنب»[١]، وفي ذلك من الرجاء في هدايته ما ليس في إفشاء اسمه وفضيحته. لأن المعنى بقوله: ومن الناس فريق المعاندين المكابرين الذين يجادلون في الله بغير علم، وتحديدًا هو النضر بن الحارث.

❖ ❖ ❖

٢- الإيماء إلى وجه بناء الخبر، وقد ظهر هذا الغرض في عدة آيات:

الأولى : قوله تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾(الأنعام: ١٤٠).

في هذه الآية أخبر سبحانه بخسران المشركين لوأدهم البنات وتحريمهم البحيرة على أنفسهم مفترين على الله بادعاء أنه هو الذي حرم، وقد بعدوا عن الحق بسبب ذلك، وما كانوا بسبب هذا الافتراء متصفين بالحق. ونلاحظ هنا أن المسند إليه (الذين) جاء فاعلاً لخسر «للإيماء إلى أن الصلة علة في الخبر، فإن خسرانهم مسبب عن قتل أودلاهم»[٢].

(١) انظر البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم : ١٧٦، وانظر من بلاغة القرآن : ١٠٧.

(٢) التحرير والتنوير : ٨/١١٤.

والتعبير بخسر بدون ذكر مفعول معين يقع عليه الفعل للإشارة إلى أن خسارتهم مطلقة من أي تحديد – فهي خسارة دينية وخسارة دنيوية.

❖ ❖ ❖

الثانية: في قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (يونس: ٩).

جاء التعبير عن المؤمنين بالموصولية في قوله : (إن الذين) ، «للإيماء بالموصول إلى علة بناء الخبر، وهي أن إيمانهم وعملهم هو سبب حصول مضمون الخبر لهم»[١]، الذي هو هدايتهم، وهي بمعنى الإرشاد إلى ما فيه خيرهم والدلالة عليه، أو التثبيت على الإيمان. وأخبر بهداية إيمانهم بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار والتجدد، وجعل الإيمان وحده سبب لهذه الهداية.

❖ ❖ ❖

الآية الثالثة في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (القصص : ٨٥).

جيء بالمسند إليه اسم موصول (الذي) دون اسمه تعالى العَلَم؛ لما في «الصلة من الإيماء إلى وجه بناء الخبر، وأنه خبر الكرامة والتأييد أي أن الذي أعطاك القرآن ما كان إلا مقدرًا نصرك وكرامتك؛ لأن إعطاء القرآن شيء لا نظير له، فهو دليل على كمال عناية الله بالمعطى، وفيه إيماء إلى تعظيم شأن الرسول ﷺ»[٢]. كما أن الآية وردت في سياق البشارة لنبيه محمد ﷺ برده إلى مكة

(١) التحرير والتنوير : ١٠١/١١.
(٢) التحرير والتنوير : ١٩٢/٢٠.

قاهرًا لأعدائه، ففي الآية وعد بالرجوع إلى مكة. لهذا عبر عن جانب المهتدي بفعل (جاء) للإشارة إلى أنه جاء بهدي لم يكن معروفاً من قبل، وعبر عن المضلين بالجملة الاسمية المقتضية الثبات على الضلال.

❖ ❖ ❖

الآية الرابعة في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

جيء بالمسند إليه اسم موصول (الذين) «للإيماء إلى أن الصلة سبب الخبر»[١]. فلذا أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول لتتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان، وفي التعبير عن المؤمنين الأولين بالاسم الموصول أيضًا بشارة لهم من الله – سبحانه وتعالى – بدليل قوله: لنهدينهم.

❖ ❖ ❖

ثانيًا : أغراض تعريف المسند بالاسم الموصول :

من ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة : ٣٣).

وجيء بالمسند اسم موصول (الذي) «للإيماء إلى أن مضمون الصلة علة للجملة التي بنيت عليها هذه الجملة، وهي جملة ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾»[٢] (التوبة: ٣٢). ولتأكيد وعد الله

(١) التحرير والتنوير : ٣٧/٢١ ، بتصرف يسير.

(٢) التحرير والتنوير : ١٧٣/١٠.

سبحانه وتعالى بإتمام نوره، وبيان كيفية الإتمام بإرسال رسوله محمد ﷺ بالحجج، ودين الحق ليعلو هذا الدين على جميع الأديان السابقة.

فمضمون الصلة تعليل لبيان سبب الإرسال والغاية منه.

❖ ❖ ❖

ثالثًا : الأسرار البلاغية في تعريف المسند إليه باسم الإشارة في آيات الهدى :

اسم الإشارة هو : «ما وضع لمشار إليه، مذكرًا أو مؤنثًا، مفردًا أو مثنى أو جمعًا، وقد تلحق به كاف الخطاب، ولام البعد، وقد تقترن به (ها) التي للتنبيه»[(١)].

وأسماء الإشارة هي : (ذا – ذي تي – ذِهِ– ته – ذان – أولاء – ههنا – أو هناك).

أغراض التعريف باسم الإشارة في آيات الهدى:

يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة لدواع، وأسرار بلاغية منها :

١ – أن يقصد تعظيم المسند إليه بالبعد .

كما في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة: ٢–٥).

« التعبير باسم الإشارة الموضوع للبعيد (ذلك) مؤذنًا ببعد درجته»[(٢)]. ومدلول الإشارة إلى جميع القرآن ما نزل منه، وما سينزل «لأن نزوله مترقب فهو حاضر في الأذهان فشبه بالحاضر في

---

(١) البلاغة العربية : ٣٢٤/١.

(٢) تفسير أبي السعود: ٢٣/١ ، وانظر البقاعي: ٩/١، والرازي : ٢٧٨/١.

العيان، فالتعريف فيه للعهد التقديري، والإشارة إليه للحضور التقديري فيكون قوله (الكتاب) حينئذ بدلًا وبيانًا من ذلك»[١] . لذا استخدم القرآن اسم إشارة للبعيد كناية عن الإجلال والرفعة، ولم يقل سبحانه هذا الكتاب؛ وتعريف الكتاب بالألف واللام تفخيم له، ولعلو شأنه.

ثم أعقب هذه الآية بالإشارة بـ (أولئك) في قوله : ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة : ٥). فأشار إليهم باسم الإشارة الموضوع للبعيد إشعارًا بارتفاع منزلتهم فوق الناس.

و«في اسم الاشارة الذي هو (أولئك) «إيذان بأن ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم»[٢] .

فقد ذكر سبحانه أوصاف المؤمنين من الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، والإنفاق، والإيمان بما أنزل، والإيمان بالآخرة، ثم أشير إليهم (بأولئك) «للتنبيه على أن المشار إليهم»[٣] أحقاء من أجل تلك الأوصاف بما يذكر بعد اسم الإشارة من الهدى، والفلاح.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة: ١٨).

---

(١) تفسير التحرير والتنوير : ٢١٩/١.
(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ٣١٢، لمحمد محمد أبو موسى.
(٣) الإيضاح: ٧٠/١.

حيث عبر المولى عز وجل عن المؤمنين باسم الإشارة ؛ لأن اسم الإشارة (أولئك) يعود على الذين يعمرون مساجد الله على حد الأوصاف السابقة.

والتعبير عنهم باسم الإشارة (أولئك) «للتنبيه على أنهم استحقوا هذا الأمل فيهم بسبب تلك الأعمال التي أُعدت لهم»[١].

فالمراد خصوص المسلمين، لأن مجموع الصفات المذكورة في الصلة لا يثبت لغيرهم، فاليهود والنصارى آمنوا بالله واليوم الآخر لكنهم لم يقيموا الصلاة، ولم يؤتوا الزكاة.

وسر التعبير بأولئك أيضًا هو التنبيه على المنعوتين بتلك الصفات الواردة في الآية بأنهم سيصلون إلى مباغيهم من الجنة.

❖ ❖ ❖

٢- أن يقصد تعظيم المسند إليه بالقرب :

كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩).

وقع التعبير هنا باسم الإشارة (هذا)، وإيثار التعبير باسم الإشارة الموضوع للقريب هو الإيذان «بقربه الذي لا يحول دون الانتفاع به. وإذا كان هذا الهادي قريبًا كان أنجح لرسالته، وينزل قربه من ساحة الحضور، والخطاب منزلة قرب المسافة»[٢].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٤١/١٠.

(٢) الإيضاح: ٦٨/١، وانظر روح المعاني : ٣٢/١٥، والتحرير والتنوير: ٤٠/١٥.

وفي إيثار اسم الإشارة الموضوع للقريب أيضًا تقريب الصورة في الذهن، وإشارة إلى الحاضر في أذهان الناس من المقدار المنـــزل من القرآن قبل هذه الآية، والتنويه بشأن القرآن الكريم.

٣- الاهتمام وكمال التمييز :

كما في قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٨٨).

أتى بالمسند إليه اسم إشارة (ذلك) اهتمامًا بشأن الهدى«إذ جُعِل كالشيء المشاهد، فزيـــد باسم الإشارة كمال تمييز، وأخبر عن الهدى بأنه هدى الله لتشريف أمره، وبيان عصمته من الخطـــأ والضلال، وفيه تعريض بما عليه المشركون مما يزعمونه هدى ويتلقونه عن كبرائهم»(١). وعبر المولى عز وجل باسم الإشارة للبعيد دون القريب إشارة إلى أن ما وهبه لأولئك الرسل الثمانية عشر كما يدل السياق السابق وهداهم إليه من النبوة، والدين الحق هو هدى الله يهدي به مـــن يشـــاء مـــن عباده، وفي هذا إيذان بعلو طبقتهم وبعد منـــزلتهم في الفضل والشرف .

❖ ❖ ❖

٤- التشريف وكمال التمييز :

كما في قولـــه تعـــالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٤٣).

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٥١/٧.

حيث جاء المسند إليه معرفًا باسم الإشارة في قوله : «وكذلك جعلناكم» «للتشريف، والإيذان بعلو درجة المشار إليه ، وبعد منزلته وكمال تمييزه»[(١)].

❖ ❖ ❖

ثالثًا : الأسرار البلاغية في تعريف المسند إليه باللام في آيات الهدى :

«الاسم المعرف باللام، وقد يستعمل النحاة عبارة المعرف أو المحلى بـ «أل» وهو كل اسم نكرة اكتسب التعريف بدخول (أل) عليه.

وقسم النحويون اللام التي تدخل على الاسم فتفيده تعريفًا قسمين: اللام الجنسية، واللام العهدية.

أما اللام الجنسية فهي تسمى عند البلاغيين لام الحقيقة وهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول : «اللام التي لبيان الحقيقة والماهية، وهي التي لا يصح أن يستعمل بدلها كلمة (كل) فيشار بها إلى الحقيقة الشائعة في الأفراد دون النظر إلى الدلالة على عموم أو خصوص.

النوع الثاني : اللام التي لاستغراق أفراد الجنس كلهم حقيقة أو عرفًا، وهي التي تدل على ما تدل عليه لفظة «كُل» لو كانت بدلها.

النوع الثالث : اللام التي لاستغراق صفات الجنس مجازًا على سبيل المبالغة»[(٢)].

وأما اللام العهدية فهي ثلاثة أنواع أيضًا:

النوع الأول : «اللام التي للعهد الذكري، وهي التي يتقدم المعرف بها ذكر في الكلام، وضابطها أن يسد الضمير مسده.

---

(١) تفسير أبي السعود : ١/٢٧٨.

(٢) انظر البلاغة العربية : ١/٤٣٩، بتصرف يسير.

النوع الثاني: اللام التي للعهد الذهني، ويسمى أيضًا (العهد العلمي) وهي التي سبق العلم بالمعرف بها .

النوع الثالث: اللام التي للعهد الحضوري، وهي التي يكون المعرف بها حاضراً عند التكلم»[١].

وأشرع بالحديث أولاً عن أغراض التعريف باللام الجنسية في آيات الهدى :

١- لام الحقيقة والماهية:

كما في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٢).

وقع التعريف (بأل) في لفظة (الكتاب)، وهي لتعريف الحقيقة.

أي: ذلك الكتاب حقًّا هو الذي استحق الوصف بأنه الكتاب الشامل لكل خير وهدى.

والسر في تعريف (الكتاب) تنـزيهه عن النقص كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص. كما فيه تفخيم لشأن الكتاب.

❖ ❖ ❖

٢- لام استغراق صفات الجنس :

وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (الأعراف: ١٠٠).

وقع التعريف في كلمة (الأرض)، وهو تعريف الجنس، أي : «يرثون أي أرض كانت منازل لقوم قبلهم، وهذا إطلاق شائع في كلام العرب»[٢]. وهي لاستغراق صفات الجنس لأن معنى الآية

---

(١) انظر البلاغة العربية: ١/٤٤٢-٤٤٣ بتصرف يسير .

(٢) التحرير والتنوير: ٩/٢٦.

أولم يتبين لهؤلاء الذين يعيشون على تلك الأرض التي ورثوها بعد أهلها المهلكين، والمراد بالذين يرثون الأرض من بعد أهلها، أهل مكة ومن حولها الذين أرسل النبي ﷺ لهدايتهم، وقيل المراد بهم الأحياء في كل زمان ومكان.

والسر في التعريف (بأل) هو التعميم؛ لإنهم لو تأملوا أحوالهم، وأحوال من ورثوا أرضهم، وأحوال الأرض لكفاهم ذلك في الهداية إلى سواء السبيل.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(التوبة: ١٩).

جاء التعريف في لفظة (الحاج) «تعريف الجنس؛ لأن الحاج اسم جنس الحجاج»[١].

والسر في تعريف الحاج هو الدلالة على تعظيم حال المؤمنين وأعمالهم.

❖ ❖ ❖

وأيضًا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف: ٥٢).

جاء التعريف في لفظة (الغيب) وهو تعريف الجنس، وهذه اللام لاستغراق صفات الجنس مجازًا على سبيل المبالغة؛«لأن امرأة العزيز تمدحت بعدم الخيانة على أبلغ وجه إذ نفت الخيانة في

---

(١) التحرير والتنوير: ١٤٣/١٠، وانظر تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن: ٩١/٨.

المغيب، وهو حائل بينه وبين دفاعه عن نفسه وحالة المغيب أمكن لمريد الخيانة أن يخون فيها من حالة الحضرة؛ لأن الحاضر قد يتفطن لقصد الخائن فيدفع خيانته بالحجة»(١).

والسر والله أعلم في التعريف (بأل) هو التعريض بأمرأة العزيز في خيانة زوجهـا، وتأكيـد لأمانة يوسف عليه السلام .

❖ ❖ ❖

وكذلك جاءت لام الجنس في قولـه تعـالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣).

وقع التعريف (بأل) في لفظة (الدين) تعريف الجنس. والسر في ذلك هو العموم كي «يعـم جميع الأديان الإلهية السابقة»(٢).

❖ ❖ ❖

ثانيًا : أغراض التعريف باللام العهدية في آيات الهدى :

١- لام العهد الصريحي :

وقد وردت في قولـه تعـالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا

---

(١) التحرير والتنوير: ١٢/٢٩٢-٢٩٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٥/٥٠ بتصرف يسير.

يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ (النور: ٣٥).

وقع التعريف في لفظتي «المصباح» وفي «الزجاجة»، وهي لام العهد الذكري، وتسمى [لام العهد الصريحي] ويمكن أن يقع الضمير موقعهما.

والسر في تعريفها (بأل) أشار إليه الألوسي بقوله : «وفي إعادة (المصباح والزجاجة) معرفين إثر سبقهما منكرين، والإخبار عنهما بعدهما مع انتظام الكلام بأن يقال: كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب مع تفخيم شأنهما، ورفع مكانتهما بالتفسير إثر الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال، وبإثبات ما بعدهما لهما بطريق الإخبار المنبئ عن القصد الأصلي دون الوصف المبني عن الإشارة...»[١].

٢- لام العهد الذهني العلمي :

وردت في قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ (البقرة: ٥٣).

وقع التعريف (بأل) في لفظة (الكتاب) ، وهي «للعهد»[٢]. والسر في تعريفها والله أعلم بيان النعم التي أنعم الله على بني إسرائيل، وكان منها إيتاء موسى عليه السلام التوراة لهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

❖ ❖ ❖

(١) روح المعاني : ٣٤٥/١٨.

(٢) التحرير والتنوير: ٥٠٢/١.

كذلك وردت في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾(النساء: ٨٨).

جاء التعريف في لفظة (المنافقين)، وهي لام العهد الذهني العلمي حيث لم يسبق ذكر لفظ المنافقين لكن سبق العلم به من أخبار المنافقين التي تقدمت فهو معهود ذهنًا.

والسر في تعريفها هو التوبيخ للمنافقين؛ لأنهم تحولوا إلى الغدر والقتال بعد أن أظهروا الولاء للمسلمين.

❖ ❖ ❖

كما وردت في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (المؤمنون: ٤٩).

جاء التعريف في لفظة (الكتاب) وهي «لام العهد»(١) الذهني ويسمى (العلمي)؛ لأنه لم يسبق ذكر لفظ (الكتاب) لكن سبق العلم به، فهو معهود ذهنًا، و«لذلك كان ضمير (لعلهم يهتدون) ظاهر العود إلى غير مذكور في الكلام بل إلى معلوم من المقام وهو القوم المخاطبون بالتوراة، وهم بنو إسرائيل، فاتساق الضمائر ظاهر في المقام دون حاجة إلى تأويل قوله: آتينا موسى بمعنى : آتينا قوم موسى»(٢).

والسر في تعريفه هو تعظيم شأن ذلك الكتاب؛ لأنه يترقب من إيتائه موسى عليه السلام اهتداء الناس به.

❖ ❖ ❖

---

(١) التحرير والتنوير: ٦٦/١٨.

(٢) التحرير والتنوير : ٦٦/١٨.

رابعًا: أغراض التعريف بالعلمية في آيات الهدى :

من ذلك قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٦).

حيث عُرف المسند إليه بالعلمية لفظ الجلالة (الله). «للتأكيد، وادخال وتربية المهابة»[١] في نفوس المرتدين؛ لأنه من الأمر البعيد أن يهدي الله قومًا اختاروا الكفر والضلال بعدما آمنوا بالله، وشهدوا أن الرسول حق بما جآءهم من الآيات والبراهين القاطعة، فالله سبحانه لا يوفقهم للحق والصواب، ولا يهديهم إلى الجنة.

❖ ❖ ❖

٢- التنكير في آيات الهدى :

النكرة : «اسم يطلق على القليل والكثير، أو على مفرد، أو على أكثر، ومعناه شائع في جنس، أو نوع، أو صنف، أو نحو ذلك، وهذا يصدق بالمثنى والجمع»[٢].

والتنكير لا يقتصر على المسند إليه أو المسند بل يشمل جل الحالات الإعرابية للكلمة.

أما البلاغيون فقد ركزوا على أسرار التعبير بالمسند إليه، والمسند النكرة.

وباستقصاء آيات الهدى، وجدت أن التنكير فيها يأتي لأغراض بلاغية منها: التهويل، والتفخيم، والتحقير، والشمول، والتهديد، والتعظيم، والنوعية، والإبهام.

وسأعرض هنا للتنكير في أحوال الكلمة بمختلف أنواعها الإعرابية، ولن أقتصر على تنكير المسند أو المسند إليه، فحسب كما اقتصر البلاغيون المتأخرون.

فمن أغراض التنكير في آيات الهدى :

---

(١) دليل البلاغة القرآنية: ٤٤٨/١، للدكتور : محمد سعد الدبل.

(٢) البلاغة العربية: ٣٩٦/١.

١- التهويل :

كما في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٣٧).

جاءت كلمة (شقاق) نكرة، للدلالة على «التهويل وفداحة الأمر»(١)، وذلك لإنكار أهل الكتاب دعوة الحق، والإيمان بجميع كتب الله تعالى، وبجميع رسله، واتبعوا الباطل معاندين، ولذا فقد وعد الله تعالى رسوله الكريم والمؤمنين بأنه سينصره عليهم ويقيه من شرهم.

❖ ❖ ❖

٢- التعظيم :

كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢).

نَّكر الله عز وجل لفظة (هدى)؛ للدلالة على التعظيم، أي : «أنه في الهداية بلغ درجة لا يدرك كُنهها حتى كأنه هداية محضة»(٢)، فالقرآن الكريم هُدًى لجميع مصالح الدارين، فهو مرشد للعباد في جميع المسائل، ومبين للحق، ومبين لهم كيف يسلكون الطريق النافعة لهم.

ويجوز أن يكون التنكير أيضاً للنوعية، فهو نوع من الهدى لا يوجد له نظير من بين الكتب السماوية، و«النكات البلاغية لا تتزاحم ما دامت لا تتعارض»(٣).

❖ ❖ ❖

(١) دليل البلاغة القرآنية: ١ : ١٨٥، للدكتور محمد سعد الدبل.

(٢) الإيضاح: ٦٣/١.

(٣) الإعجاز القرآني في حذف حروف المباني والمعاني: ٢٢، للدكتور عبدالله سرحان.

كما جاءت لفظة (هدى) نكرة في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ٥).

وهذا التنكير يدل على كمال وتفخيم ما عليه المؤمنون من الهدى والبصيرة.

فتنكير (هدى) هنا «لإفادة ضربًا مبهمًا لا يبلغ كنهه، ولا يقادر قدره كأنه قيل: على أي هدى»[١].

يقول ابن عاشور في تنكير (هدى): «أنه مساو للتعريف باللام، إذ لو عُرف لكان التعريف تعريف جنس، فرجح التنكير تمهيدًا لوصفه بأنه من عند ربهم، فهو مغاير للهدى السابق في قوله : (هدى للمتقين) مغايرة بالاعتبار إذ القصد هنا التنويه بشأن الهدى، وتوسلا إلى إفادة تعظيم الهدى بقرينة مقام المدح، وبذكر ما يدل على التمكن فتعين التعظيم»[٢].

❖ ❖ ❖

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٥٢).

فتنكير لفظة (كتاب) «قصد به تعظيم الكتاب، أو قصد به النوعية أي ما هو إلا كتاب كالكتب التي أنزلت من قبل»[٣].

كما وصف (الكتاب) بالهدى والرحمة إشارة إلى قوة هديه الناس، وجلب الرحمة لهم .

---

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣١٥، د. محمد محمد أبو موسى.

(٢) التحرير والتنوير : ٢٤٥/١.

(٣) التحرير والتنوير : ١٥٢/٨.

وكل هذا تعظيم للقرآن الكريم؛ لأن سياق الآية في الحديث عن إخبار الله تعالى لقريش بأنه أنزل عليهم القرآن الكريم لهدايتهم، وفصَّل فيه التوحيد ودلائله، والشرك وعوامله.

كما جاءت لفظة (علم) نكره للتعظيم، «أي عالمين أعظم العلم، والعظمة هنا راجعة إلى كمال الجنس في حقيقته، وأعظم العلم هو العلم الذي لا يحتمل الْخطأ ولا الخَفَاء أيْ عالمين علْمًا ذاتيًا لا يتخلف عنّا ولا يختلف في ذاته، أي لا يحتمل الخَطَأَ ولا التردد»(١).

❖ ❖ ❖

٣- التقليل والتحقير :

كما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(آل عمران: ٨٦).

نكر المولى عز وجل لفظة (قومًا) للدلالة على «التقليل والتحقير»(٢) من شأن أهل الكتاب الذين ارتدوا عن الإسلام من بعض الأنصار ثم عادوا إلى الإسلام.

❖ ❖ ❖

٤- العموم والشمول :

كما في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾(آل عمران: ٣-٤) .

(١) التحرير والتنوير : ١٥٢/٨-١٥٣، وانظر روح المعاني : ١٩٠/٨.

(٢) دليل البلاغة القرآنية: ١: ٤٨٨.

حيث جاءت لفظة (هدى) نكرة لإفادة «العموم والشمول»[(١)] للناس في زمان التوراة والإنجيل، فقد نزل الله تعالى القرآن على محمد ﷺ مصدقًا لما قبله من كتب ورسل، وأنزل التوراة على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام من قبل نزول القرآن الكريم لإرشاد الناس إلى الإيمان.

أما التنكير في قوله تعالى: (لهم عذاب شديد) للدلالة على شدة التهديد والوعيد لمن كفر بآيات الله سبحانه وتعالى، وفيه أيضًا تهويل لهذا العذاب؛ ليرتدع الكفار المكذبون بآياته سبحانه وتعالى.

❖ ❖ ❖

ومن التنكير للعموم أيضًا ما جاء في قوله تعالى :

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب: ٤).

حيث جاءت النكرة هنا (رجل) في سياق النفي الذي يقتضي العموم والشمول لكل أفراد الجنس فردًا فردًا..

يقول د. وهبه الزحيلي التنكير في (رجل): «للاستغراق والشمول، وحرف الجر لتأكيد الاستغراق، وذكر الجوف في جوفه لزيادة تصوير الإنكار»[(٢)].

(١) دليل البلاغة القرآنية: ٣٨٣/١.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ٢٣٢/٢١، لوهبه مصطفى الزحيلي .

وخص الرجل هنا دون المرأة؛ لأن في هذا ردًّا على بعض أهل مكة الذين كانوا يقولـــون: «إن لي في جوفي قلبين، أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ﷺ ، كما فيها ردٌّ أيضًا علـــى المنافقين الذين على وصفوا النبي ﷺ بأنه ذو قلبين»[١] .

و«لفظ الرجل لا مفهوم له؛ لأنه أريد به الإنسان بناءً على ما تعارفوه في مخاطباتهم من نوط الأحكام والأوصاف الإنسانية بالرجال جريًا على الغالب في الكلام ما عـــدا الأوصـــاف الخاصـــة بالنساء يُعلم أيضًا أنه لا يُدعى لامرأة أن لها قلبين بحكم فحوى الخطاب»[٢].

٥- التنكير للفخامة والمبالغة:

كما في قوله تعـــالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٥).

حيث نكر سبحانه وتعالى قوله : (نور على نور) لإفادة «ضربًا من الفخامـــة، والمبالغـــة لا أرشق ولا أجمل منه، فليس هو نورًا واحدًا معيناً أو غير معين فوق نور آخر مثله، وليس هو مجموع نورين اثنين فقط بل هو عبارة عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين»[٣].

---

(١) انظر تفسير الطبري : ٢٠/٢٠٤، بتصرف، والسمرقندي: ٣/٣٨٩.

(٢) التحرير والتنوير: ٢١/٢٥٥.

(٣) إعراب القرآن وبيانه: ٦/٦١١، وانظر الجدول في الإعراب: ١٨/٢٦٥.

وتتميز هذه الآية بكثرة وقوع الألفاظ النكرة فيها، وكل نكرة يُحدِّد معناها السياق الواردة فيه، فالتنكير في (مشكاة ومصباح) الأول يفيد التعظيم، والتفخيم والنوعية، وكذلك الحال في لفظة زجاجة الأولى وكوكب دري، وشجرة مباركة..إلخ، فالتنكير في هذه الألفاظ كلها يفيد ما ذكرته ولا تعارض، «لأن النكات، والأسرار البلاغية لا تتزاحم ما دامت لا تتعارض»(١).

❖ ❖ ❖

٦- التنكير للنوعية:

كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾(التغابن: ٦).

فالتنكير في المسند إليه (بشر) للنوعية؛ لأن المشركين أنكروا أن يكون الرسول من البشر؛ «لأن محط الإنكار على كونهم يهددونهم، وهو نوع من البشرية»(٢). فالكفار استصغروا أن يكون الرسل من البشر، وأنكروا أن يكون الرسل بشرًا ، ولم يعلموا أن الله يبعث من يشاء إلى عباده، فمن أسباب تعذيبهم في الماضي كفرهم بالله وجحود آياته، وتكذيب رسلهم الذين أرسلوا إليهم بالمعجزات والدلائل الواضحة.

يقول البقاعي: «فاستبعدوا أن يخصوا من بينهم بأمر، ولا سيما إذا كان عظيمًا جدًا، فلزمهم ارتكاب أقبح الأمور أن يكون النبي بشرًا مع الإقرار بأن يكون الإله حجرًا»(٣).

---

(١) الإعجاز القرآني في حذف حروف المباني والمعاني: ٢٢، للدكتور عبدالله سرحان.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٨/٢٦٩.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/٣٨.

وبعد عرض هذه المواطن التي هي على سبيل المثال لا الحصر في التعريف والتنكير في آيات الهدى. يلاحظ حسن انتقاء القرآن الكريم لمواطن التعريف والتنكير، ودقة اختياره لها بما هو خارج عن القدرة البشرية، فهي ألفاظ تختال حسنًا وجمالاً، وتألقًا، وتنساب عذبة في الفم خفيفة على اللسان، ومن أسس البلاغة العالية وضع اللفظ المناسب في المكان المناسب الذي هو به أخص، مع مراعاة التناسب، والتناغم مع جو السياق العام للآيات القرآنية، وهكذا كان الذكر الحكيم كما بينت بوضوح.

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

المبحث الرابع : التقديم والتأخير في آيات الهدى

التقديم والتأخير في آيات الهدى :

هذا الباب يعد من أبواب البلاغة التي تجلى فيها إعجاز القرآن الكريم، وعظمته، وبيانه.

فالتقديم أو التأخير الذي يقع في آيات القرآن الكريم «إنما يكون لمغزى عظيم حرصت الآيات على إبرازه عن هذا الطريق، وذلك حتى تصبح الآية بتكوينها هذا تابعة لمنهج نفسي يتقدم عندها ما تجد النفس تقديمه، ويتأخر عندها ما تجد تأخيره...»(١).

وهذا الفن كما يقول عبدالقاهر الجرجاني: «باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة»(٢).

ويقول ابن الأثير: «وهذا باب طويل عريض، يشتمل على أسرار دقيقة»(٣).

هذا، وجاء تقديم المسند إليه في آيات الهدى لأغراض منها :

إفادة التخصيص، أو تقوي الحكم، وسأبين هنا كثيرًا من المواضع التي تجلى فيها إعجاز القرآن الكريم، ودقة نظمه الفائق.

❖ ❖ ❖

(١) من بلاغة القرآن الكريم : ١٢٢.

(٢) دلائل الإعجاز: ٨٣.

(٣) المثل السائر : ٢/٢١٠.

أولاً: أسرار تقديم المسند إليه مع الاستفهام التعجبي الإنكاري:

وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يونس: ٤٣).

في هذه الآية الكريمة تقدم المسند إليه (أنت) على الخبر الفعلي في قوله : (أفانت تهدي) دون أن يقال: (أتهدي العمي)، والسر في التقديم هو تقوية الخبر، وتسلية للرسول ﷺ، «فكان هذا التعجيب مؤكدًا مقويًّا»[١].

ويقول الألوسي: «في تقديم الفاعل المعنوي، وإيلائه همزة الإنكار لدلالة على أن نبي الله ﷺ تصور في نفسه من حرصه على إيمان القوم أنه قادر على الإسماع، أو نزل منزلة من تصور أنه قادر عليه، وأنه تعالى شأنه نفى ذلك عنه ﷺ، وأثبته لنفسه سبحانه على الاختصاص كأنه قيل: أنت لا تقدر على هدايتهم بل نحن القادرون عليه، ... »[٢].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الزخرف: ٤٠).

في هذه الآية الكريمة تقدم المسند إليه على المسند الفعلي في قوله : (أفأنت تسمع).

(١) التحرير والتنوير: ١٧٨/١١.

(٢) روح المعاني: ١٧٨/١١.

والسر في التقديم «إنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم، وهم قد تمرنوا في الكفر، واستغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشي عمي مقرونًا بالصمم»(١).

ويقول الجرجاني: «المعنى في تقديم الاسم، وأن لم يقل أتسمع الصم هو أن يُقال للنبي ﷺ: (أأنت خصوصًا قد أوتيت أن تسمع الصم، وأن يُجعل في ظنه أنه يستطيع إسماعهم بمثابة من يظن أنه قد أوتي قدرة على إسماع الصم»(٢).

❖ ❖ ❖

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (سبأ: ٣٢).

حيث تقدم المسند إليه على المسند الفعلي في قوله: (أنحن صددناكم) في سياق الاستفهام الإنكاري، والسر في التقديم إفادة تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي.

يقول ابن عاشور: «أتى المسند إليه قبل المسند الفعلي في سياق الاستفهام الإنكاري الذي هو في قوة النفي ليفيد تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي على طريقة: ما أنا قلت هذا»(٣).

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾ (التغابن: ٦).

---

(١) روح المعاني : ٣٦٢/١٨.
(٢) دلائل الإعجاز: ١٥٧.
(٣) التحرير والتنوير : ٢٠٦/٢٢، وانظر الكشاف: ١٢٤/٥.

حيث تقدم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: (أبشر يهدوننا)، «وذلك لقصد تقوي الإنكار»[١]، فالأقوام السابقون اعتقدوا استحالة إرسال الله الرسل من البشر؛ فلذلك تقدم المسند إليه لكي يتأكد ويتوقى إنكارهم لذلك، وألحق واو الجماعة بالفعل (يهدوننا)؛ لأن البشر وإن كان في لفظ الواحد، فإنه بمعنى الجميع كما مر ذكره عند الطبري.

❖ ❖ ❖

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٨/٢٦٩.

ثانيًا : أسرار تقديم المسند إليه الذي لم يسبق بنفي أو استفهام :

وورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ (الشعراء: ٧٨).

حيث تقدم المسند إليه (وهو لم يسبق بنفي أو استفهام كما مضى) على الخبر الفعلي في قوله: (فهو يهدين) دون أن يقول : فيهدين ، والسر في تقديم المسند إليه تخصيص المولى عز وجل «بأنه متولي الهداية دون غيره؛ لأن المقام لإبطال اعتقادهم تصرف أصنامهم بالقصر الإضافي. فهو قصر قلب. وليس الضمير ضمير فصل، لأن ضمير الفصل لا يقع بعد العاطف»[(١)].

ويقول العلامة أبو السعود: «أي هو يهدين وحده إلى كل ما يهمني ويصلحني من أمور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق، ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبيء عنه الفاء وصيغة المضارع، فإنه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له من أمور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب منافعه، ودفع مضاره إما طبعًا وإما اختيارًا مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم»[(٢)].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ (الكهف: ١٣).

---

(١) التحرير والتنوير: ١٤٢/١٩.

(٢) تفسير أبي السعود: ١٤٤/٥، وانظر روح المعاني: ٢٩٤/١٤، وتفسير ابن عجيبة: ٢٣٣/٤.

حيث تقدم المسند إليه (نحن) على المسند الفعلي في قوله:(نحن نقص عليك)، والمراد أن الله عز وجل هو الذي يقص قصة أصحاب الكهف على وجهها الصحيح لا غيره من البشر، وعلى ذلك فالسر في التقدم هو إفادة «الاختصاص»[(١)]، فالحق سبحانه وتعالى هو الذي يقص قصة أصحاب الكهف، ولو أن قاصًّا غير – الله تعالى – يقصّ القصة لتوقع منه الخطأ والنسيان؛ لأن هناك أناسًا ذكروا هذه القصة من قبل بغير الحق، وفي ذلك إثارة للنفس إلى التطلع إلى معرفة القصة من مصدرها الصحيح، وهو القرآن الكريم.

❖ ❖ ❖

كما تقدم المسند إليه لإفادة تقوي الحكم، وتقريره في ذهن السامع في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر:٢٣).

حيث تقدم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: (الله نزل)، وتقديم المسند إليه (الله) و«افتتاح الجملة باسم الجلالة يؤذن بتفخيم أحسن الحديث المنزل بأنَّ مُنْزِلَهُ هو أعظم عظيم، ثم الإخبار عن اسم الجلالة بالخبر الفعلي يدل على تقوية الحكم، وتحقيقه على نحو قولهم: هو يعطي الجزيل، ويفيد مع التقوية دَلاَلَةً على الاختصاص، أي اختصاص تنزيل الكتاب بالله تعالى...»[(٢)].

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير: ٢٧١/١٥.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٣/٣٨٣-٣٨٤.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الحجرات: ١٧).

حيث تقدم المسند إليه لفظ الجلالة (الله) على المسند الفعلي في قوله: (بل الله يمن)؛ وذلك لتقوية الحكم، وليس المراد هنا الاختصاص كما ينبيء سياق الكلام.

وجيء بالمضارع في قوله : (بل الله يمن عليكم)؛« لأن الممنون به لما يقع، وفيه من الإيذان بأنه سيمن عليهم بالإيمان كما في قوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات :١٤). وهذا من التفنن البديع في الكلام ليضع السامع كل فن منه في قراره»[١].

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير: ٢٦/٢٧٠.

ثالثًا: تقديم المسند على المسند إليه في آيات الهدى:

وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٢).

فقد تقدم المسند (عليك) على المسند إليه في قوله : (ليس عليك هداهم). والسر في التقديم هو إفادة الاختصاص، يقول ابن عاشور: «وتقديم الظرف، وهو (عليك) على المسند إليه، وهو (هداهم) إذا أُجري على ما تقرر في علم المعاني من أن تقديم المسند الذي حقه التأخير يفيد قصر المسند إليه إلى المسند، وكان ذلك في الإثبات بينًا لا غبار عليه»[١].

والمعنى على ذلك ليس عليك هداهم يا محمد إنما هدايتهم أو إضلالهم مقصور علينا لا يتعدى لسوانا، والهداية على هذا المعنى هي هداية المعونة والتوفيق كما تقدم، وهي المنفية عنه ﷺ؛ لأنها خاصة بالمولى عز وجل.

❖ ❖ ❖

---

(١) التحرير والتنوير: ٣/٧٠

رابعًا : أسرار تقديم المفعول على الفعل في آيات الهدى:

وورد ذلك في قوله تعـــالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٠).

حيث تقدم مفعول (هدى) وهو (فريقاً) للدلالة علـــى الاختصاص كما مر في قوله تعـــالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (البقرة: ٢٧٢).

كما أضاف ابن عاشور سرًّا آخر للتقديم فقال في تقديم (فريقًـــا): «الأول والثـــاني علـــى عامليهما للاهتمام بالتفصيل؛ لأن هذه الأية سبقت بقوله:(كما بدأكم تعـــودون) أي ترجعـــون إلى فريقين، فاكتفى عن إجمال الفريقين ثم تفصيلهما بالتفصيل الدال على الإجمال تعجيًلا بذكر التفصيل لأن المقام مقام ترغيب وترهيب»[١].

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير: ٩٠/٨.

خامسًا : أسرار تقديم الجار والمجرور في آيات الهدى:

يتقدم الجار والمجرور على الفعل في آيات الهدى لأغراض منها:

الاختصاص ، أو الاهتمام بالمقدم:

فمن التقديم للاهتمام قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام: ٩٠).

حيث تقدم الجار والمجرور (بهداهم) على عامله (اقتده)؛ للاهتمام بذلك الهدى؛«لأنه منزل لتلك الفضائل والمزايا، فلا يليق به الاهتداء بِهدى دون هداهم؛ ولأجل هذا لم يسبق للنبي ﷺ اقتداء بأحد ممن تحنفوا في الجاهلية أو تنصروا أو هودوا»[١].

ويجوز أن يكون التقديم «للاختصاص أي أن الله سبحانه وتعالى اختص الأنبياء الثمانية عشر الذين سبق ذكرهم في الآيات السابقة بالهداية الكاملة، فاهتد يا محمد بهداهم»[٢].

❖ ❖ ❖

ومن تقديم الجار والمجرور أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ (النحل:١٦).

تقدم الجار والمجرور، والمبتدأ في قوله: (وبالنجم هم) للتخصيص، يقول العلامة الشعراوي كأنه قيل : «وبالنجم خصوصًا هؤلاء يهتدون والضمير هم جاء ليعطي خصوصيتين؛ الأولى: أنهم

(١) التحرير والتنوير: ٣٥٥/٧

(٢) الكشاف : ١٤٠/٢، بتصرف.

مهتدون بالنجم لا غيره، والثانية: أن قريشًا تهتدي بالنجم، بينما غيرها من القبائل لا تستطيع أن تهتدي به»[١]، فتقديم الجار والمجرور، والمبتدأ أفاد الاختصاص من هاتين الجهتين السابقتين.

ويقول الزمخشري: «فإن قلت: قوله تعالى : ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ مختص بسفر البحر؛ لأنه تعالى لما ذكر صفة البحر ومنافعه بين أن من يسير فيه يهتدون بالنجم، وقال بعضهم: هو مطلق في سفر البحر والبر»[٢].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(السجدة: ٢٤).

حيث تقدم الجار والمجرور في قوله : (بآياتنا يوقنون) «للاهتمام بالآيات»[٣] التي مَنّ الله تعالى بها على بني إسرائيل إذْ جعل منهم أئمة يهدون بأمر الله كما أن في تأخير الفعل (يوقنون) مراعاة لرؤوس الآيات.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴾ (الزمر: ٣٦-٣٧) .

---

(١) تفسير الشعراوي: ٤٨٦٦/١.

(٢) تفسير الكشاف : ٣٤٢/٣، وانظر تفسير اللباب : ٩٦/١٠.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٣٧/٢١.

حيث تقدم الجار والمجرور (له) في الآيتين، والسر في التقديم التأكيد على نفي الهدى عن المشركين إذا لم يرده الله تعالى لهم، وإثبات الهدى للمهتدين، ولو عارضه كل ما سواه.

يقول ابن عاشور : «وتقديم (له) على (هاد) للاهتمام بمصيرهم في مقام نفي الهادي لهم؛ لأن ضلالهم المحكي هنا بالغ في الشفاعة إذا بلغ بهم حد الطمع في تخويف النبي بأصنامهم في حال ظهور عدم اعتداده بأصنامهم»[(١)].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ (المدثر : ٣١).

تقدم الجار والمجرور في قوله (كذلك يضل الله) الذي هو وصف للمفعول المطلق المحذوف للاهتمام.

يقول ابن عاشور: «وقدم وصف المفعول المطلق للاهتمام بهذا التشبيه لما يرشد إليه من تفصيل عند التدبر فيه، وحصل من تقديمه محسن الجمع ثم التقسيم إذ جاء تقسيمه بقوله : ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ »[(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٤/٢٤.

(٢) التحرير والتنوير: ٣١٩/٢٩.

سادسًا : تقديم الظرف على عامله :

وورد من ذلك قوله تعـالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ (يونس: ٤٥).،

في هذه الآية تقدم الظرف (يوم) على عامله (يحشر) للاهتمـام، والسـر في ذلـك هـو «تذكيرهم بذلك اليوم العظيم، وإثبات وقوعه مع تحذيرهم ووعيدهم بما يحصل لهـم فيـه؛ لأنـه المقصود الأهم»(١).

❖ ❖ ❖

مما سبق كان جانبًا من جوانب التقديم الذي يتكيء على الإعراب، وهناك نوع آخر مـن التقديم لا يتصل بهذا الأمر نحو تقديم السماء على الأرض أو العكس، أو الهدى على الضـلال، أو الضلال على الهدى. كل ذلك بحسب ما يقتضيه المقام.

❖ ❖ ❖

فمن ذلك تقدم الضلال على الهدى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٦).

(١) روح المعاني: ١١/١٨٥، بتصرف.

فلماذا تقدم الضلال على الهدى في هذه الآية مع أنه أشرف؟ لمناسبة السياق حيث إن الحديث هنا عن الكافرين الضالين الذين لم ينتفعوا بالأمثال بل ضلوا بها، فكان المناسب أن يبتدأ بهم؛ لأنهم أصحاب الشأن، والآية إنما نزلت في شأنهم، وهذا لا يعارض بأن التقديم قد يكون أيضًا للأغلبية والكثرة حيث أنه لا يهتدي بالأمثال ولا يعقلها إلا المؤمنون.

يقول الألوسي عن سبب ذلك : «وقدم في النظم الإضلال على الهداية مع سبق الرحمة على الغضب، وتقدمها بالرتبة والشرف لأن قولهم ناشىء من الضلال»[(١)].

وهناك سبب آخر ذكره الشيخ محمد سيد طنطاوي فقال: «وقدم الإضلال على الهداية، ليكون أول ما يقرع أسماع المبطلين عن الجواب أمرًا فظيعًا يسوءهم ويفت في أعضادهم»[(٢)].

❖ ❖ ❖

ومن هذا القبيل أيضًا تقدم الخوف على الحزن في قوله تعالى : ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٨).

فتقدم الخوف على الحزن؛ «لأنه أعظم الضررين، وأشد الألمين، فخوف المجهول أشد على النفس من الحزن على المعلوم. علاوة على أن الخوف يتعلق بما لم يحصل بعد، أي بما يتوقع في المستقبل فإن الخوف في هذه الآية متعلق بالآخرة أي بهذا العالم المجهول الغريب وما فيه من أهوال، أما الحزن، فهو على ما حدث في الماضي أي حزن على ترك الدنيا ومفارقة الأهل والأحباب،

---

(١) روح المعاني: ٢٠٩/١.

(٢) تفسير سيد طنطاوي: ٤٩/١.

والأموال وكل ما يحدث في الدنيا من حزن أو مكروه، فإنه لا يداني لحظة ألم من عـــذاب الآخـــرة، ولهذا قدم الخوف لما هو آت على الحزن لما قد فات »[١].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جـــاء في قولـــه تعـــالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٥٥).

حيث قدم طلب المغفرة على طلب الرحمة في قوله: (فاغفر لنا وارحمنا)؛ لأن اختيار موســـى عليه السلام لمن اختارهم من بني إسرائيل لميقاته مع ربه كان قبل أن تقع الأحداث الـــتي وقعـــت في بـــني إسرائيل من عبادة العجل، وما كان بين موسى وهارون من لوم ومؤاخذة، وفي هذا إلفات إلى مـــا ينبغي الالتفات إليه من أمر القوم على حسب ما يقع للناظر إليهم، وما يطلـــع علـــى منكـــراتهم وآثامهم، فلذلك قدم المغفرة على الرحمة«لأن المغفرة سبب لرحمات كثيرة، فإن المغفرة تنهية لغضب الله المترتب على الذنب، فإذا انتهى الغضب تسنى أن يخلفه الرضا، والرضا يقتضي الإحسان»[٢].

وفي التقديم أيضاً إيماء إلى أن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، وفي ذلك يقول الشيخ الشعراوي: «ونعلم من هذا أنه يطلب درء المفسدة أولاً؛ لأن درءها مقدم على جلب المصـــلحة ، فموسى عليه السلام طلب غفر الذنب، ثم دعا ربه أن يرحمهم، وهذه جلب منفعة»[٣].

---

(١) مفاتيح الغيب : ٢٩/٣، بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير:٨ ٩ ١٢٧/٩.

(٣) تفسير الشعراوي : ٤٣٧٧/١.

ومن هذا القبيل أيضًا ما ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(يونس: ٣٤-٣٥).

حيث ابتدأ سبحانه وتعالى في الاستدلال على وجوده بتقديم الخلق أوّلا ثم دليل الهداية ثانياً، «وهذه عادة مطردة في القرآن كما في قوله تعالى على لسان الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (الشعراء: ٧٨).

وعلى لسان موسى عليه السلام ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: ٥٠) . كما خوطب رسولنا الكريم ﷺ بذلك فقال : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ (الأعلى: ١-٣)، «فالاستدلال على وجود الصانع بأحوال الجسد هو الخلق، والاستدلال بأحوال الروح هو الهداية، فههنا أيضًا لما ذكر دليل الخلق في الآية الأولى (أم من يبدأ الخلق ثم يعيده) أتبعه بدليل الهداية في هذه الآية، والمقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح»[(١)].

فالسر في التقديم هو رجاء حصول الهداية؛ لأن المقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح.

❖ ❖ ❖

(١) مفاتيح الغيب : ٩٤/١٧.

كما قدم عدم سؤال الأجر على الاهتداء في قوله تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (يس : ٢١).

مع أن الاهتداء هو بغية المرسلين، ومن حقه أن يقدم في الظاهر« لحكمة الإقناع للوصول إلى الاهتداء بقطع العوارض الصارفة عنه، وهي هنا ظن السوء بالمرسلين أنهم أرادوا دعوتهم أجرًا ونفعًا دنيويًّا»[١].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا تقديم القلوب على السمع في البقرة، وتقديم السمع على القلب في الجاثية.

في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٣).

حيث قدم السمع على القلب هنا بخلاف آية سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ (البقرة: ٧)، «لأن المخبر عنهم في الجاثية لما أخبر عنهم بأنهم اتخذوا إلههم هواهم، فقد تقرر أنهم عقدوا قلوبهم على الهوى، فكان ذلك العقد صارفًا السمع عن تلقي الآيات، فقدم لإفادة أنهم كالمختوم على سمعهم، ثم عطف عليه و(قلبه) تكميلاً، وتذكيرًا بذلك العقد الصارف للسمع، ثم ذكر ما (على بصره) من شبه الغشاوة؛ لأن ما عقد عليه قلبه بصره عن النظر في أدلة الكائنات، وأما آية سورة البقرة فإن المتحدث عنهم هؤلاء أنفسهم، ولكن

---

(١) انظر الكشاف: ١٧٢/٥، بتصرف يسير.

الحديث عنهم ابتدىء بتساوي الإنذار وعدمه في جانبهم بقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (البقرة:٦)، فلما أريد تفصيله قدم الختم على قلوبهم، لأنه الأصل كما كان اتخاذ الهوى كالإله أصلاً في وصفه حالهم في آية سورة الجاثية، فحالة الهوى هي الأصل في الانصراف عن التلقي، والنظر في الآيتين، ولكن نظم هذه الآية كان على حسب ما يقتضيه الذكر من الترتيب، ونظم آية البقرة كان على حسب ما يقتضيه الطبع»[١].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا تقديم العلم بمن ضل عن السبيل السوي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ (الأنعام: ١١٧).

وقد اطرد هذا في غير هذا الموضع في قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾(النجم: ٣٠) .

ومنه أيضًا قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾(القلم:٧).

والخطاب في هذه كلها لنبينا ﷺ حيث ذكر المعاندين أوّلا تهديدًا لهم، وتسلية لقلب نبيه ﷺ.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير: ٣٦٠/٢٥.

وهكذا نجد أن فن التقديم والتأخير بمختلف جوانبه، وأنواعه الكثيرة السابقة في آيات الهدى فن رفيع بلغ القرآن الكريم فيه الذروة في وضع الكلمات في موضعها الذي يقتضيه المقام والسياق، وجاءت لأغراض وأسرار بلاغية تدور في مجملها حول الاختصاص، والتوكيد والاهتمام.

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

المبحث الخامس: خروج الكلام على مقتضى الظاهر

خروج الكلام على مقتضى الظاهــر:

الأصل في الكلام أن يأتي على مقتضى ظاهر حال المخاطب؛ ولكنه قد يخرج على خلافــه لنكتة، أو سبب من الأسباب.

والقرآن الكريم راعى أحوال المخاطبين والسامعين، فيأتي الحديث مرة مطابقًا لمقتضى حــال المخاطبين، وهذا يسمى عند البلاغيين مجيء الكلام على مقتضى حال المخاطب، وقد يعدل القــرآن الكريم عن ظاهر الحال لنكتةٍ بلاغية، وعلى المخاطب أن يبحث عن سبب هذا العــدول، ويســمى ذلك «خروج الكلام عن مقتضى الظاهر»، وقد حصر البلاغيون المواطن التي يأتي فيها الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في ستة فنون وهي :

١- وضع المضمر موضع المظهر.

٢- وضع المظهر موضع المضمر.

٣- الالتفات

٤- الأسلوب الحكيم.

٥- التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي.

٦- القلب.

وهذه المواطن كلها وردت في آيات الهدى كثرة وقلة، وسأبدأ هنا بالالتفات لكثرة مواطنه ثم يليه بقية المواطن، ولن أعرض للتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي؛ لأني تطرقت إليــه في الفصــل الأول(١).

---

(١) انظر ص: ١٢١-١٢٢.

أولاً : الخصائص البلاغية للالتفات في آيات الهدى :

يعد الالتفات من أروع أنواع البلاغة، وألطفها، وهو من صور إخراج الكلام على مقتضى الظاهر.

يقول عنه صاحب (الطراز): «واعلم أن الالتفات من أجل علوم البلاغة، وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها، وعقودها»(١).

كما أن هذا الأسلوب من الأساليب التي تكسب الكلام تلوينًا وتنويعًا يجذب السامع، ويثير انتباهه، فتزداد المعاني تقريرًا في النفس.

والالتفات في اللغة:

«مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة إلى كذا وتارة إلى كذا، وكذلك الشأن في الالتفات، فإن الملتفت ينتقل من ضمير إلى آخر، فيخرج من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة، وغير ذلك»(٢).

وأطلق الالتفات عند البلاغيين المتأخرين على التحول والانتقال بين الضمائر، فهو عند الخطيب والجمهور: «التعبير عن معنى من المعاني بطريق من الطرق الثلاثة: التكلم والخطاب والغيبة، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها»(٣).

---

(١) الطراز: ١٣١/٢.

(٢) المثل السائر : ١٧٠/٢-١٧١.

(٣) بغية الإيضاح: ١١٥/١.

وهو عند السكاكي : «التعبير عن معنى من المعاني بطريق من هذه الطرق الثلاثة، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، أو كان مقتضى أن يعبر عنه بغيره منها»(١).

فمفهوم الالتفات اصطلاحًا عند السكاكي أعم من مفهومه عند الجمهور، فكل التفات عندهم التفات عنده، من غير عكس، فما يقع في الكلام البليغ من تعبير بضمير من الضمائر في أول الكلام، وحقه أن يعبر بغيره، يعد التفاتًا عند السكاكي دون الجمهور، كأن يقع في أول سورة من القرآن، أو مطلع قصيدة من الشعر، مثل قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ (عبس : ١-٣).

فالضمير في عبس وتولى للرسول ﷺ، وهو للغيبه حيث انشغل عليه السلام عن عبدالله بن أم مكتوم الأعمى، بدعوة من كان عنده من صناديد قريش، كعتبه وشيبه بن ربيعة، وأبي جهل بن هشام وغيرهم، فعاتبه الله في هذا الإعراض والعبوس، فكان بعد نزول هذه الآية يكرم ابن أم مكتوم، ويقول إذا رآه: «مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة؟ واستخلفه على المدينة مرتين»(٢).

والمهم أن التعبير بصيغة الغيبة في –عبس وتولى وجاءه – ليس مما يقتضيه الظاهر؛ لأن الظاهر يقتضي التعبير بضمير الخطاب، فيقال: (عبستَ ، وتوليتَ، أن جاءك الأعمى) فهو على هذا التفسير التفات على مذهب السكاكي من الخطاب إلى الغيبة، أما قوله : (وما يدريك) فالتفات آخر من الغيبة إلى الخطاب، على مذهب الجمهور والسكاكي.

---

(١) انظر شروح التلخيص : ٤٦٥/١، والمطول: ١٣٠-١٣١.

(٢) الكشاف : ٦٨٧/٤-٦٨٨.

وبهذا تظهر الصلة بين المعنى الاصطلاحي للالتفات، وبين معناه اللغوي. وكان ضياء الدين ابن الأثير – ت ٦٣٧هـ يسمى (الالتفات) شجاعة العربية، «وذلك لأن الشجاعة هي الإقدام، وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتورد ما لا يتورده سواه، وكذلك الالتفات في الكلام، فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات»(١).

وما ذهب إليه ابن الأثير ليس دقيقًا لأن ؛ «تفسير الشجاعة هنا بإقدام اللغة العربية على طريق من التعبير لم تقدم عليه غيرها من اللغات فيه شيء من المجازفة؛ لأن هذه الخصوصية تصف حالة أو شعورًا إنسانيًّا عامًا، والقول بأن المتكلمين بغير العربية لم يجدوا في نفوسهم هذه الحالة التي تدعو الإنسان إلى مخاطبة نفسه، أو تدعوه إلى أن يصرف القول عن مخاطبه، أو أن يقبل الخطاب على من ليس في حضرته، قول بعيد، والذي نراه أن الشجاعة هنا إقدام على أنماط من التعبير مخالفة لما يقتضيه الأصل؛ لأنها تعبير بأسلوب الخطاب في سياق الغيبة، وذكر الغيبة في سياق الخطاب، وهكذا. والمعتمد عليه في ذلك سياق الكلام وشفافية الدلالة. وهنا إن تأملته ضرب من الشجاعة، واقتحام سبيل غير السبيل المألوف، وتفسيرنا هذا لشجاعة العربية هو ما يتلاءم مع ما ذكره ابن جني في باب سماه (شجاعة العربية)، وأريد به الحذف، والتقديم، والحمل على المعنى، وغير ذلك مما هو خلاف الأصل، ولا ضير في أن يقودنا هذا التفسير إلى أن نعد كثيرًا من فنون التعبير من شجاعة العربية»(٢).

ويشترط لتحقيق المعنى الاصطلاحي للالتفات شرطان :

---

(١) المثل السائر : ٢/١٧٠-١٧١، لابن الأثير.

(٢) خصائص التراكيب : ١٩٤-١٩٥، للدكتور محمد أبو موسى.

أولهما : «أن يكون مرجع الضميرين : (الملتفت عنه والملتفت إليه) واحدًا، كما رأينا في ضميري الغيبة والخطاب في ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ (عبس: ١-٣).

فكلاهما يعود إلى النبي ﷺ، فإن اختلف المقصود بالضميرين لم يتحقق الالتفات، وذلك كقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ۝٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾(طه: ٧٢-٧٣).

فضمير الخطاب في (فاقض ما أنت قاض. إنما تقتضي) يراد به في فرعون، وضمير التكلم في (إنا آمنا) يراد به المؤمنون الذين اقتنعوا بمعجزة سيدنا موسى وصدقه في التبليغ عن ربه،وعليه لا تكون الآية من الالتفات خلافًا لما ورد عن بعض الباحثين[١] .

الشرط الثاني:«أن يكون الضمير الملتفت إليه جاريًا على خلاف مقتضى ظاهر سوق الكلام، قال سعد الدين : «وإنما قلنا ذلك لأنا نعلم قطعًا من إطلاقاتهم واعتباراتهم أن الالتفات هو انتقال الكلام من أسلوب : من التكلم والخطاب والغيبة، إلى أسلوب آخر غير ما يترقبه المخاطب، ليفيد تطرية لنشاطه، وإيقاظًا في إصغائه فلو لم يعتبر هذا القيد لدخل في هذا التفسير أشياء ليست من الالتفات، منها نحو: أنا زيد، وأنت عمرو، ... وأنت الذي فعل كذا، ونحن اللذون صبحوا الصباحا، وذلك مما عبر فيه عن معنى واحد تارة بضمير المتكلم، أو المخاطب، وتارة بالاسم المظهر، أو ضمير الغائب»[٢] .

(١) يراجع البرهان في علوم القرآن: ٣/٣١٧، والإتقان في علوم القرآن: ٣/٢٩٠.
(٢) المطول : ١٣١.

هذان هما شرطا الالتفات، ولا يخفى أن الشرط الأول عام في الالتفات على مذهبي السكاكي والجمهور، بينما الشرط الثاني خاص بمذهب الجمهور فقط؛ لأن كون الضمير الملتفت إليه جاريًا على خلاف ما يترقبه السامع يقتضي ألا يكون في مطلع الكلام، بل في وسطه، أو في آخره.

هذا، وقد أجمع جمهور البلاغيين على أن الالتفات في الأساليب العربية له ست صور هي:

١- الانتقال من التكلم إلى الخطاب.

٢- الانتقال من التكلم إلى الغيبة.

٣- الانتقال من الخطاب إلى التكلم.

٤- الانتقال من الخطاب إلى الغيبة.

٥- الانتقال من الغيبة إلى التكلم.

٦- الانتقال من الغيبة إلى الخطاب.

وهذه الصور لها شواهد في القرآن الكريم، ما عدا الصورة الثالثة، أعني الالتفات من (الخطاب إلى التكلم) «فلم يعثر البلاغيون لها على شاهد من القرآن، وقد سبق الرد على من تمثل لها بقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (طه: ٧٢-٧٣).

فلا يصح الاستشهاد بالآية لهذه الصورة؛ لأن شرط الالتفات أن يكون المراد بالضميرين متحدًا، وأجاز الزركشي التمثيل لهذه الصورة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ (يونس: ٢١).

«على أنه سبحانه نزل نفسه منــزلة المخاطب»[١]. وقال أحد الباحثين: (وهــذا تكلــف وتعسف، لا يخفى على من له ذوق، ولا أدري كيف وقع فيه الزركشي)[٢]، وذكر باحث آخرأنــه من الممكن التمثيل لهذه الصورة بقولــه تعــالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴾ (هود: ٩٠).

ومع ذلك فإني أعتقد أن هذه الصورة لا تزال تفتقر إلى شاهد من القرآن صريح وجلي.

وذلك أن توجيه الباحث المذكور للتمثيل بالآية السابقة في الالتفات من الخطاب إلى التكلم لم يكن سديدًا، حيث قال: (فقد عبر عن الذات بطريق الخطاب في قوله: (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه)، ثم التفت فعبر عنها ثانياً بطريق التكلم في قوله: (وإن ربي رحيم ودود)، ففي التعــبير الثــاني التفات على المذهبين)[٣].

وإني أتساءل: أين التعبير عن الذات بطريق الخطاب؟ وأي ذات هي؟ وأين التعــبير عنــها بطريق التكلم ؟ لم يتضح لي إجابة عن هذه الأسئلة.

إن المراد بضمير الخطاب في (ربكم) هم قوم سيدنا شعيب ، أما المراد بضمير المتكلم في (إن ربي) فهو شعيب نفسه، وهما مختلفان، فلا تصلح الآية شاهدًا، لفقدان شرط الاتحاد.

أما بقية الصور الخمس فلها شواهد في آيات الهدى، فلنتــابع هــذه الشــواهد في صــور الالتفات الخمس، محددين مواضعها، وأسرارها البلاغية.

❖ ❖ ❖

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣١٧/٣ ، للزركشي.

(٢) من أسرار البلاغة في القرآن: ٩ ، للدكتور محمود شيخون.

(٣) انظر أسرار الالتفات في ضوء الذكر الحكيم: ٤٣٢، للدكتور إبراهيم داود ، ومعاني التراكيب : ١٩٣/١.

الصورة الأولى : الالتفات من التكلم إلى الخطاب :

ومن شواهد هذه الصورة في آيات الهدى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام: ٧١-٧٢).

حيث وقع الالتفات في قوله : (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) وقوله: (وأن أقيموا الصلاة) فقد عبر أولاً بطريق التكلم في قوله (وأمرنا لنسلم لرب العالمين)، وعبر ثانيًا بطريق الخطاب في قوله: (وأن أقيموا الصلاة)، وقد اتحد المراد بالضميرين، وهو الداعي وقومه، وضمير الخطاب جاء مخالفًا لظاهر السياق، ولما يترقبه السامع، إذ كان مقتضى الظاهر أن يقال : (وأن نقيم الصلاة...).

والسر في الانتقال من التكلم إلى الخطاب «الإيذان بأن الكافر ما دام كافرًا كالغائب الأجنبي، فحقه أن يخاطب بما يخاطب به الغائب، فإذا أسلم ودخل في زمرة المؤمنين صار كالقريب الحاضر، فحقه أن يخاطب بما يخاطب به الحاضرون»(١).

وفي الالتفات أيضًا تأكيد على وجوب الامتثال لما أمرهم به الله سبحانه من أوامر.

❖ ❖ ❖

ومن شواهد تلك الصورة أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف:٢٠٣).

---

(١) روح المعاني : ١٩٠/٧، للألوسي ، وانظر أسرار الالتفات: ٢٤، ٢٥، للدكتور حسن طبل.

في هذه الآية التفت النظم الكريم من التكلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ إلى الخطاب في قوله : ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ ليلفت أذهاهم إلى أن هذا القرآن هو أعظم المعجزات وأبين الدلالات، وأصدق الحجج والبينات.

وفي هذا تعظيم لشأن المخاطب؛ لأنه سبحانه أسند كلمة (رب) إلى ضمير مخاطبتهم ليقيمها حجة عليهم. تستوجب التدبر، والآية واردة في سياق تعليم الرسول ﷺ كيفية الرد على المشركين الذين يحاجونه.

يقول أبو السعود: «والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد وجوب الإيمان بها»[(١)] وإيقاظ ضمائرهم، وإصاخة أسماعهم إلى الذكر الحكيم.

❖ ❖ ❖

ومن شواهد هذه الصورة أيضًا قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس : ٢٠-٢٢).

فقد التفت النظم الكريم من التكلم إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، فعبر عن المعنى أولاً بطريق التكلم (ومالي لا أعبد...)، وعبر ثانيًا بطريق الخطاب فقال : (وإليه ترجعون) بدلاً من (وإليه أرجع).

---

(١) تفسير أبي السعود: ٣٣٧/٣.

وفي الالتفات «تلطف في الإرشاد، بإيراده في معرض المناصحة لنفسه، وإمحاض النصح»[١]، حيث لا يريد لهم مؤمن آل فرعون الا ما يريد لنفسه يقول السمين الحلبي: « وأصل الكلام: «وما لكم لا تعبدون» ولكنه صرف الكلام عنهم؛ ليكون أسرع قبولاً، ولذلك جاء قوله : «وإليه ترجعون» دون «وإليه أرجع»[٢] وفي الالتفات أيضًا تقريع لهم على عبادة غير خالقهم سبحانه وتعالى بالرغم من أن مصائرهم كلها راجعة إليه سبحانه وتعالى.

هذا وقد استشهدت جل كتب البلاغة بهذه الصورة مما يغني عن الإطالة فيها.

❖ ❖ ❖

الصورة الثانية : الالتفات من التكلم إلى الغيبة :

وأول مواضع هذا اللون من الالتفات في آيات الهدى جاء في سورة البقرة في قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة:٣-٥).

حيث التفت النظم الكريم من التكلم في قوله : (رزقناهم) إلى الغيبة في قوله: (من ربهم).

والسر في الالتفات هو أن المقام مقام هداية، والهداية من أهم المقاصد التي يجب أن يتوصل إليها، ووجود كلمة (رب) وإضافتها إلى ضمير الغائبين فيه من الدقة والوضوح بحيث لا يعادلها أي كلمة أخرى. فهداية هؤلاء المتقين منحة من المتفرد بالربوبية جزاء لهم على تقواهم، وحسن إيمانهم فلا بد أن تكون الهداية هداية من المربي. وهو الله عز وجل . كما أفاد «التعرض لعنوان الربوبية مع

---

(١) تفسير ابن عجيبه: ٥/٢٠١.

(٢) الدر المصون في علم الكتاب المكنون: ٤٢٧٧/١.

الإضافة إلى ضمير الغيبة تفخيم الموصوف، والمضاف إليهم، وتشريفهما، ولزيادة تحقيق مضمون الجملة، وتقرير بيان ما يوجبه ويقتضيه»[١]. وهذا كله لا يتأتى لو لم يتغير الأسلوب إلى صيغة الغيبة وتظهر كلمة (رب)، وقال (أولئك على هدى منا).

❖ ❖ ❖

ومن شواهد الالتفات من التكلم إلى الغيبة أيضاً قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

حيث التفت النظم الكريم في هذه الآية من التكلم في قوله: (إني رسول الله إليكم) إلى الغيبة في قوله : (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن...).

وكان مقتضى الظاهر أن يقال في غير القرآن (فآمنوا بالله وبي...)، ففي الآية التفات على المذهبين، والسر في هذا العدول عن ضمير التكلم إلى الاسم الظاهر «التهيئة لإجراء الأوصاف المذكورة عليه؛ لكونها كالبرهان على رسالته، وأن ما يخبرهم به هو من وحي السماء، لا مما حمله من القراءة، وبهذا يعلم أن الذي وجب الإيمان به هو هذا الشخص المنعوت بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله، وكلماته، كائنًا من كان، أنا أو غيري، إظهارًا للنصفة، وتفاديًا من العصبية لنفسه»[٢].

❖ ❖ ❖

(١) تفسير أبي السعود: ١/٤٠.

(٢) الكشاف: ٢/١٦١، وانظر تفسير ابن عجيبة : ٢/٢٩٩، وخصائص التراكيب : ١٩٧.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم: ٤).

فقد التفت النظم الكريم في هذه الآية من التكلم في قوله : (وما أرسلنا) إلى الغيبة في قوله تعالى: (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم).

ولو سار النظم على طبيعته لجاءَت الآية (فنضل من نشاء ونهدي من نشاء وأنا العزيز الحكيم)؛ ولكنه سبحانه وتعالى جاء بصيغة الغيبة لحاجة المقام إلى ظهور كلمة (الله) الاسم الجليل المنطوي على صفات الكمال لتفخيم شأن ذلك الضلال، وتلك الهداية اللذين يتصدى الله سبحانه وتعالى لهما بأعظم أسمائه، فالتوفيق والخذلان بيد الله، فيخذل الله من يشاء، ويوفق من يشاء لقبول دعوته.

يقول الشوكاني : «والبيان لا يوجب حصول الهداية إلا إذا جعله الله سبحانه واسطة وسببًا، وتقديم الإضلال على الهداية؛ لأنه متقدم عليها إذ هو إبقاء على الأصل، والهداية إن شاء ما لم يكن»[1].

ولهذا جاء الالتفات ليوضح قبح شأن الضلال فهو نقمة، وكذا عظيم شأن الهداية فهي نعمة من الله سبحانه وتعالى.

❖ ❖ ❖

(١) فتح القدير: ٩٤/٣، للشوكاني.

ومن شواهد هذه الصورة أيضًا قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف: ١٣).

حيث التفت النظم الكريم هنا من التكلم في قوله : (نحن نقص) إلى الغيبة في قوله: (آمنوا بربهم) ولو جرى الأسلوب على مقتضى الظاهر لقال: (إنهم فتية آمنوا بربهم)؛ ولكنه آثر الالتفات إلى الغيبة بذكر لفظ الرب «ليشعر بعظمة الربوبية والرب»[(١)]، وإضافة لفظ (رب) إلى ضمير الفتية مشعر بعلة إيمانهم به، فهو ربهم الذي رباهم، ورعاهم، ومن ثم فهو جدير بعبادتهم له، والاهتداء بهديه.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ (الفتح: ١-٣).

حيث التفت النظم الكريم في هذه الآية من التكلم في قوله : (إنا فتحنا) إلى الغيبة في قوله: (ليغفر لك الله، ويتم نعمته عليك، ويهديك وينصرك)، وكان مقتضى الظاهر أن يقول : (لنغفر لك..، ولنتم نعمتنا عليك، ونهديك صراطًا مستقيمًا، وننصرك).

والسر في هذا العدول «الإشعار بأن ما نسب إلى ذاته العلية من غفران، وإتمام نعمة وهداية، ونصر كل واحد من هذه الأفعال صار عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى »[(٢)].

---

(١) روح المعاني: ٣١٣/١٥، بتصرف.

(٢) تفسير أبي السعود: ١٠٤/٨، بتصرف.

وفي إسناد المغفرة إليه تعالى بالاسم الأعظم بعد إسناد الفتح إليه بنون العظمة إيماء إلى أن المغفرة مما يتولاها سبحانه بذاته، وأن الفتح مما يتولاه جل شأنه بالوسائط...

الصورة الثالثة: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

ومن شواهد هذه الصورة في آيات الهدى قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٣-٢١٤).

حيث التفت النظم الكريم من الغيبة في قوله: (كان الناس) في الآية الأولى إلى الخطاب المباشر في أول الآية الثانية في قوله: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة).

وكان مقتضى السياق – أم حسبوا – باستمرار الغيبة نهجًا على سابقه، وفي ذلك يقول الألوسي مبينًا الحكمة الجليلة التي اقتضت هذا العدول: « في الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ لأن قوله سبحانه (كان الناس أمة واحدة) كلام مشتمل على ذكر الأمم السابقة والقرون الخالية،

وعلى ذكر من بعث إليهم من الأنبياء، وما لقوا منهم من الشدائد، وإظهار المعجـزات تشـجيعًا للرسول ﷺ والمؤمنين على الثبات والصبر على أذى المشركين أو المؤمنين خاصة، فكانوا من هـذا الوجه مرادين غائبين. ويؤيده قوله تعالى: (فهدى الله الذين آمنوا) فإذا قيل : بعد (أم حسبتم) كان نقلاً من الغيبة إلى الخطاب»(١).

ويقول الزمخشري : «ولما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجـيء البينات تشجيعًا لرسول الله ﷺ أهل الكتاب، وإنكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم علـى طريقـة الالتفات التي هي أبلغ (أم حسبتم)»(٢).

وهناك نكتة أخرى في هذا الالتفات تتمثل في التنويع في العبارة، المـثير لانتبـاه المتلقـي، والباعث لنشاطه في استقبال ما يوجه له من كلام، والإصغاء إليه.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعـالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٢).

حيث التفت النظم الكريم في هذه الآية من الغيبة في قوله: (ليس عليك هداهم) إلى الخطاب في قوله: (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم).

---

(١) روح المعاني : ١٠٣/١.

(٢) الكشاف : ٣٣٥/١.

ومقتضى الظاهر – وما ينفقوا من خير فلأنفسهم– واستمرار صيغة الغيبة إلى آخر الآية تمشيًا مع سابقه، غير أن القرآن الكريم التفت إلى مواجهتهم بخطاب يحقق أغراضًا بلاغية لا تتأتى بدونه أيسرها «الإبداع في تلوين الخطاب ومجاذبة النفس مرة وموادعتها مرة»(١).

يقول العلامة أبو السعود : «والجملة معترضة جيء بها على طريق تلوين الخطاب، وتوجيهه إلى رسول الله ﷺ مع الالتفات إلى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال، فإن الإخبار بعدم وجوب تدارك أمرهم على النبي ﷺ مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية»(٢).

وهناك نكتة أخرى تتمثل في إقناع النفس البشرية وهزها، فالله سبحانه وتعالى بسط القول في الحديث عن الإنفاق وجزائه، وما ينبغي عليه أن تكون نية هذا الإنفاق، ومردوده، وإن أخلصوا هذا لوجه الله يمنحهم الله تعالى الضمان بقوله: (وأنتم لا تظلمون).

❖ ❖ ❖

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴾ (الأعراف: ١٩١–١٩٣).

حيث التفت النظم الكريم من الغيبة في قوله : (أيشركون مالا يخلق شيئًا وهم يخلقون) إلى الخطاب في قوله: (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون).

---

(١) إعجاز القرآن : ٢٢١ للرافعي، في معرض حديثه عن كلمات القرآن وحروفه.

(٢) تفسير أبي السعود : ٣٢٩/١.

وكان مقتضى السياق استمرار صيغة الغيبة التي جاءت في أول الآية، فيأتي السياق على النحو التالي : وإن يدعوهم إلى الهدى لا يتبعوهم.. لكن صيغة الخطاب أقوى في المواجهة والتبكيت، لأن المقام العقائدي يحتاجها فهي أحق بتحقيق الحق. وإزهاق الباطل. يقول أبو السعود: «والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المبنيء عن مزيد الاعتناء بأمر التوبيخ والتبكيت أي إن تدعوهم أيها المشركون إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به المطالب، أو تنجون به عن المكاره لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلباتكم»[1].

❖ ❖ ❖

ومن هذه الصور كذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٥٥-٥٧).

حيث التفت النظم الكريم هنا من الغيبة في قوله تعالى: (أكثرهم لا يعلمون) إلى الخطاب في قوله: (يا أيها الناس)..

والسر في الالتفات ذكره العلامة أبو السعود بقوله في قوله : (يا أيها الناس) «التفات ورجوع إلى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم إلى قبوله، واتباعه غِبَّ تحذيرهم من غوائل الضلال بما

---

(١) تفسير أبي السعود : ٢/٣٣٣.

تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم، وإيذان بأن جميع ذلك سوق لمصالحهم ومنافعهم»[(١)].

❖ ❖ ❖

ومن شواهد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب أيضًا قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النور: ٥٤).

فقد التفت النظم الكريم من الغيبة في قوله : (فإنما عليه ما حمل) إلى الخطاب في قوله: (وعليكم ما حملتم)، ولو جرى على مقتضى الظاهر لقيل: فإنما عليك ما حملت وعليهم ما حملوا).

يقول الإمام الفخر الرازي : «اعلم أنه تعالى صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات، وهو أبلغ في تبكيتهم، فإن تولوا عن طاعة الله وطاعة رسوله، فإنما على الرسول ما حمل من تبليغ الرسالة، وعليكم ما حملتم من الطاعة»[(٢)]. فقد أفاد الالتفات معنى التبكيت للمشركين. وهذا المعنى لا يظهر لو جرى القول وفق مقتضى الظاهر.

❖ ❖ ❖

ومن شواهد هذه الصورة أيضًا قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٣٦).

---

(١) تفسير أبي السعود : ٥٠٦/٢ ، وانظر روح المعاني: ٣٨/٨.

(٢) التفسير الكبير : ٤١٢/٢٤.

حيث التفت النظم الكريم من ضمير الغيبة في قوله: (بكاف عبده) إلى ضمير الخطاب في قوله : (ويخوفونك) العائد على النبي عليه السلام.

والسر البلاغي للالتفات من الغيبة إلى الخطاب هو«تمحيض قصد النبي بمضمون هذه الجملة، وفي استحضار الرسول ﷺ بوصف العبودية، وإضافته إلى ضمر الجلالة، معنى عظيم من تشريفه بهذه الإضافة، وتحقيق أنه غير مسلمه إلى أعدائه»[١].

ووقع التعبير عن النبي ﷺ بالاسم الظاهر ، وهو (عبده) دون ضمير الخطاب لأن المقصود توجيه الكلام إلى المشركين، وتقوية لقلب محمد ﷺ، وإزالة للخوف الذي كان الكفار يخوفونه به.

❖ ❖ ❖

الصورة الرابعة : الالتفات من الخطاب إلى الغيبة :

ومن شواهد هذه الصورة – من آيات الهدى– قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٤٣).

في هذه الآية الكريمة التفاتات عدة، ولكن المقصود في قوله تعالى: (من يتبع الرسول) في كلمة (الرسول) التي جاءت بصيغة الغيبة، وذلك بعد قوله: (القبلة التي كنت) بخطاب مباشر للرسول ﷺ.

---

(١) التحرير والتنوير: ١٣/٢٤، وانظر روح المعاني: ٩/٢٤.

وكان حق هذا الخطاب استمرار الصيغة نفسها فتأتي الآية – من يتبعك – بدلا من (يتبـع الرسول) ، فلماذا عدل الحق تعالى عن مسايرة هذا الأسلوب إلى هذا الالتفات؟

أقول إن السر في التعبير بالخطاب هو أن أمر تحويل القبلة أحدث هزة إيمانية في المسـلمين أنفسهم، وذلك صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة، ليستشعر كل المطيعين للرسول في تغير القبلة أن الخطاب موجه لهم، وعلى رأسهم النبي ﷺ : قال ابن عباس: «القبلة في الآية الكعبة، وقد كـان الهادي ﷺ تتوق نفسه الطاهرة إلى التوجه إليها في الصلاة، ولذا قال عز من قائل: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾»[(١)] (البقـرة: ١٤٤).

ثم جاء الالتفات للغيبة في قوله (لنعلم من يتبع الرسول) «لإيراده ﷺ بعنـوان الرسـالة للإشعار بعلة الإتباع»[(٢)].

ولهذا ساغ الالتفات هنا حاجة المقام إلى كلمة الرسول، ثم أتى الأسلوب القرآني بجمل هي من أعظم الجمل، وأبلغها لتعزز موقف الرسول، وتعظم الرسالة، وتوضح مقاصدها ألا وهي قولـه تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾؛ «لأن تحويل القبلـة من بيت المقدس إلى الكعبة شاقة على النفس إلا على الذين هداهم الله إلى معرفته، ومعرفـة محابـه ومكارهه، فهم لذلك لا يجدون أي صعوبة في الانتقال من طاعة إلى طاعة، ومن قبلة إلى قبلة، فالأمر

---

(١) المحرر الوجيز: ١/٢٢٠، لابن عطية.

(٢) تفسير أبي السعود: ٢١٩/١، وانظر روح المعاني: ٢/٤٠.

واضح جلي وأنتم مخيرون في الاتباع أو عدمه فمن اتبع الرسول، فهو ناج، ومن انقلب على عقبيه فعليه إثمه، والله لا يهدي القوم الظالمين»[(١)].

❖ ❖ ❖

ومن هذه الصورة أيضًا قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٧).

حيث وقع الالتفات هنا في قوله : (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله) «في وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات. من الخطاب السابق في قوله تعالى: (أو تقولوا) إلى الغيبة في قوله تعالى: (ممن كذب) تنصيصًا على اتصافهم بما في حيز الصلة وإشعارًا بعلة الحكم، وإسقاطًا لهم عن رتبة الخطاب»[(٢)].

وفي الالتفات أيضًا احتقار للكافرين، وهم أحقاء بذلك الاحتقار؛ لأنهم ظلموا أنفسهم بالتكذيب بآيات الله، والصدود عنها، وصرف من أراد الإقبال عليها، وهل هناك جرم أقبح من هذا؟ فقد عدلوا عن الهدى إلى الضلال فظلموا أنفسهم، ومن تبعهم، فاستحقوا ذلك البعد عن رحمة الله، ولذا ختم الله عز وجل الآية بتهديد أولئك المعرضين عن آياته.

❖ ❖ ❖

---

(١) انظر التحرير والتنوير : ٢/٢٢-٢٣، بتصرف.

(٢) تفسير أبي السعود: ٢/٢٣٩، وانظر تفسير الألوسي: ٣/٨٨.

ومما ورد من هذه الصورة أيضًا قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾(النحل:١٥-١٦).

حيث التفت النظم الكريم من الخطاب في قوله: (لعلكم تهتدون) إلى الغيبة في قوله: (وبالنجم هم يهتدون).

وعدل سبحانه عن الخطاب إلى الغيبة؛ ليومىء إلى فريق خاص، وهم السيارة والملاحون فإن هدايتهم بهذه النجوم لا غير.

يقول ابن كثير: وقوله : (وبالنجم هم يهتدون) «أي في ظلام الليل قاله ابن عباس وعن مالك يقول: النجوم وهي الجبال»(١).

وفائدة تحول الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة «للتنديد على قريش فهم المعنيون بضميرهم فقد كانت لهم صولات وجولات في هذا المجال لكثرة سفريتهم في طلب التجارة، فكان لهم بذلك علم لم يكن لغيرهم لذا كان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم»(٢)، ولكنهم جحدوا الحق الذي يعلمون فاستحقوا الإبعاد والجفوة، وذكر صنيعهم على سبيل الحكاية ليتعظ المتعظون.

❖ ❖ ❖

الصورة الخامسة : الانتقال من الغيبة إلى التكلم :

ومن شواهد هذه الصورة – في آيات الهدى – قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٧-٣٨).

---

(١) تفسير ابن كثير : ٥٦٦/٢.

(٢) البحر المحيط : ٤٨١/٥، وانظر تفسير أبي السعود: ٢٥٤/٣.

حيث التفت النظم الكريم من الغيبة في قوله : (فتلقى آدم من ربه) إلى التكلم في قوله: (قلنا اهبطوا..).

وعظمة الالتفات تكمن في التعبير بقرب هذا الآيب إلى جوار ربه، فخاطبه سبحانه خطابًا مباشرًا تأكيدًا على قبول توبته، وإسباغ نعمة المغفرة، والرحمة عليه، فالآية واردة في سياق الحديث عن قصة آدم وحواء، وإخراجهما من ذلك النعيم. وأفاد أسلوب الالتفات «انتهاء طور النعيم لآدم وحواء وإبليس، ودخولهم طور فيه طريقان : هدى وإيمان، وضلال، وخسران»[١].

❖ ❖ ❖

ومن هذه الصورة أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (البقرة: ١٢٠-١٢١).

التفت النظم الكريم من الغيبة في قوله تعالى: (مالك من الله من ولي ولا نصير) في لفظ الجلالة (الله) إلى التكلم في قوله تعالى: (آتيناهم).

والسر في الالتفات كامن في ورود لفظ الجلالة مقترنًا أوّلا بالهداية في قوله تعالى: (إن هدى الله هو الهدى)، لتوضيح أن هذا الدين المكني عنه بلفظ الهدى هو الحق، وإضافته للإسم الأعظم اسم الله الجامع لكل أسمائه وصفاته تجعله في درجة من العلو والرفعة توجب على العباد اتباعه، وتحتم

---

(١) تفسير المنار : ٢٣٧/١ بتصرف ، وانظر تفسير القطان : ٢١/١.

عليهم الالتزام به وعدم تبديله آخر، وأول الملزمين بهذا الحكم محمد ﷺ ، وإلا استحق أن يقال : (مالك من الله من ولي ولا نصير)، ولم يقل الحق تبارك وتعالى: (مالك منا) بل عاد الاسم الأعظم مرة أخرى للظهور ليناسب عظمة الموقف رَهبة، وإجلالاً لأنه ما يكون لأي نبي أن يفعل ذلك، ومن يفعله فليس له ولاية ولا نصرة من الله تعالى، وحاشا للأنبياء اقتراف ذلك، ولكنه من باب الترهيب للعباد كافة . ثم بعد أن وثق الأسلوب صلة الهدى، والولاية والنصرة بالله سبحانه، أتى بضمير التكلم في قوله: (والذين آتيناهم الكتاب) اعتمادًا على ما سبق، ومراوحة في الأسلوب ، وتقربًا من السامع، وإثارة انتباه المتلقي، والباعث لنشاطه في استقبال ما يوجه له من كلام.

وفي هذا لفت للأنظار إلى المنـزلة العظيمة التي يحوزها تالي القرآن، وقد بينت كلمة (آتيناهم) معنى الإهداء، فهذا الكتاب هو هدية الخالق للخلق، ومن كمال الود في التهادي حضور معطيها، وأتى بخطاب مباشر، وهذا المعنى يغيب لو جاء بصيغة الغيبة تمشيًا مع السياق السابق. لكن الالتفات حمل الكثير من المعاني العظيمة، وفنية التنويع في العبارات.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ١٥٩-١٦٠).

حيث التفت النظم الكريم من الغيبة في قوله : (يلعنهم الله) بضمير الغيبة في لفظ الجلالة إلى التكلم في قوله: (أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم).

والسر في إسناد هذا العمل العظيم (التوبة) إليه سبحانه مباشرة بضمير التكلم لما في التوبة من رحمة، ونعمة، ومنَّة منه سبحانه على عباده؛ لهذا عظم شأن التوبة والتائبين، ومن ثم أسند أمرها إليه سبحانه مباشرة، وتأكيدها بقوله: (وأنا التواب الرحيم).

وفي الالتفات سرٌّ آخر أشار إليه أبو السعود فقال: «الالتفات إلى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز إلى ما مر من اختلاف المبدأ في فِعْلَيْه تعالى السابق واللاحق»[1].

❖ ❖ ❖

ومن شواهد تلك الصورة أيضًا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣-١٥٤).

حيث التفت النظم الكريم من الغيبة في قوله : (ذالكم وصاكم به) إلى التكلم في قوله : (ثم آتينا).

وكان مقتضى الظاهر – ثم آتى موسى الكتاب – باستمرار صيغة الغيبة بدل (آتينا) «وهو كلام مسوق من جهته تعالى تقريرًا للوصية، وتحقيقًا لها وتمهيدًا لما يعقبه من ذكر إنزال القرآن المجيد كما ينبيء عنه تغير الأسلوب بالالتفات إلى التكلم»[2].

---

(١) تفسير أبي السعود : ١٢٧/١، وانظر روح المعاني : ٢٨/٢، وتفسير ابن عطية: ٢٣١/١.

(٢) تفسير أبي السعود : ٢٢٢/٢، وانظر روح المعاني : ٥٩/٨.

ولهذا ساغ الالتفات إلى التكلم ليزيد هذه الفضيلة درجة عالية من الإعظام يقول ابن كثير: «وكثيرًا ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة كقوله تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ »[1] (الأحقاف:١٢). علاوة على أن في هذا الأسلوب إثارة لانتباه المتلقي، وبعثًا لنشاطه، وهذا المعنى يغيب لو استمر الكلام بصيغة الغيبة تمشيًا مع السياق السابق.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف:١٨٠-١٨١).

حيث التفت النظم الكريم من الغيبة في قوله : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) إلى التكلم في قوله : (خلقنا)، وهو معطوف على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٧٩).

وكان حق السياق وممن خلق الله – تمشيًا مع سابقه ، لكن جرى السياق بالغيبة أولاً لحاجة المعنى لظهور لفظ الجلالة–الله– الجامع لأسمائه وصفاته العليا .

---

(١) تفسير ابن كثير : ١٩٢/٢.

والسر في الالتفات هو إخبار الله عز وجل بأنه خلق لجهنم كثيرًا من الجن والإنس، وبين أنه خلق للجنة خلقًا آخر من الإنس والجن خصهم بالهداية، وفي «الاقتصار على نعتهم بهداية الناس للإيذان بأن اهتداءهم في أنفسهم أمر محقق غني عن التصريح به»[(١)].

❖ ❖ ❖

ومن شواهد تلك الصورة كذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾(الإسراء: ٩٧).

حيث ذكرت هذه الآية الاسم الأعظم (الله) في قوله تعالى: (ومن يهد الله) بصيغة الغائب؛ لأن الاسم الظاهر في هذا الباب بمنزلة ضمير الغيبة، لكن الآية تحولت إلى التكلم في قوله: (ونحشرهم، زدناهم).

ولعل السر في ذلك «الإيذان بكمال الاعتناء بأمر الحشر»[(٢)]. فضلاً عن ملاءمة التكلم لحشره جل وعلا لهؤلاء الضالين، وإلقائه مزيدًا من الرعب والهلع في نفوسهم.

❖ ❖ ❖

(١) تفسير أبي السعود : ٧٣/٣.

(٢) روح المعاني : ١٧٥/١٥، وزانظر تفسير أبي السعود: ٣٥٤/٣.

ثانيًا: وضع المظهر موضع المضمر في آيات الهدى:

من مقتضى الاختصار في الكلام أن يعود الضمير على ظاهرٍ قبله لكن إذا (وضع الظاهر موضع الضمير) أو العكس؛ فإن هذا يأتي لفائدة مهمة، وأسرارٍ بلاغية دقيقة، تفهم من سياق الآية.

وقد حوت آيات الهدى هذا اللون من التعبير وعكسه في مواطن عدة.

❖ ❖ ❖

من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(المائدة: ٤٤).

حيث وضع الظاهر وهو قوله:(بما استحفظوا من كتاب الله) موضع المضمر، ولم يقل كتابهم، والسر في الإظهار هو الإشعار بتشريف التوراة وتمجيدها، وذلك بإضافتها إلى اسم الله تعالى.

وفصَّل العلامة أبو السعود القول في ذلك فقال: «أي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة، حيث سألوهم أن يحفظوها من التغيير والتبديل على الإطلاق، ولا ريب في أن ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في إجراء أحكامها من غير إخلال بشيء منها، وفي إبهامها أولاً ثم

بيانها ثانيًا بقوله تعالى: (من كتاب الله) من تفخيمها وإجلالها ذاتًا وإضافة، وتأكيد إيجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة»[(١)].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (يونس: ٢٤–٢٥).

فقد وضع الظاهر وهو قوله : (والله يدعو) موضع المضمر (ندعو)، فعدل عن الإضمار إلى الإظهار؛ «لأن الإضمار في الجملة يجعلها محتاجة التي فيها المُعَادُ»[(٢)].

ولأنها معطوفة على قوله : (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) (يونس: ٢٤)، ولما كانت جملة (كذلك نفصل) تذييلاً، وكان شأن التذييل أن يكون جامعًا مستقلاً جعلت الجملة المعطوفة عليها مثلها في الاستقلال»[(٣)].

---

(١) تفسير أبي السعود : ٢/٢٤٤.

(٢) التحرير والتنوير : ١١/١٤٥.

(٣) المرجع نفسه: ١١/١٤٤، بتصرف يسير.

والسر في الإظهار هو الإشعار بكمال عناية الله سبحانه وتعالى بخلقه، حيث يدعوهم إلى دار الخلد، ويوفق من يشاء إلى طريق الصواب، ولذا أتى بلفظ الألوهية الدال على ذلك بوضوح بدلاً من الضمير.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ (يونس: ٤٤-٤٥).

فقد عدل سبحانه وتعالى عن الإضمار إلى الموصولية في قوله : (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله). دون أن يقول : [قد خسروا] .

والسر في هذا العدول هو «الإيماء إلى خسران المشركين بسبب تكذيبهم بلقاء الله، وهذا التكذيب لا محالة أثر واضح من آثار الشرك»(١).

يقول العلامة أبو السعود: «والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام إضمار لذمهم بما في حيز الصلة، والإشعار بعليته لما أصابهم...»(٢).

❖ ❖ ❖

ومما ورد من ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ (الرعد: ٣٣).

---

(١) التحرير والتنوير : ١٨١/١١.

(٢) تفسير أبي السعود : ٢٧٢/٣؛ وانظر روح المعاني : ٢٠/٨.

حيث وضع الظاهر وهو قوله : (وجعلوا لله شركاء) موضع المضمر، والأصل أن يقال: (وجعلوا له)؛ لأن لفظ الجلالة ذكر صريحًا قبل ذلك في الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (الرعد: من الآية ٣١).

والسر في هذا العدول «التنصيص على وحدانيته ذاتًا واسمًا، وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الإلهام»[(١)].

يقول الإمام ابن عاشور مفصلاً ذلك :«وإظهار اسم الجلالة في مقام الإتيان بضمير (من هو قائم)، وفائدة هذا الإظهار التعبير عن المسمى باسمه العلم الذي هو الأصل»[(٢)].

❖ ❖ ❖

ومن الآيات التي وردت أيضًا على هذا المنوال قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٢-٧٣).

حيث أظهر الفعل (جعل) في قوله : (وجعلناهم أئمة يهدون)، وقد سبق التصريح به في نهاية الآية السابقة «دون أن يقال: وأيمة يهدون اهتمامًا بهذا الجعل الشريف، وهو جعلهم صالحين في

---

(١) الجدول في الإعراب : ١٣٧/٣، لمحمود صافي، وانظر تفسير ابن عطية: ٨٢/٤.
(٢) التحرير والتنوير : ١٥١/١٣.

أنفسهم، فأعيد الفعل ليكون له مزيد استقرار، وفي تلك الإعادة من الاعتناء ما في الإظهار في مقام الإضمار كما يظهر بالذوق»(١).

وفي إظهار الفعل أيضًا بيان النعم التي أنعم بها الله سبحانه وتعالى على إبراهيم عليه السلام، حيث جعل سبحانه إبراهيم وإسحاق ويعقوب قدوة للناس يدعونهم إلى عبادته وطاعته بإذنه تعالى، وألهمهم – الله سبحانه – فعل الأعمال الخيرة، وإقامة الصلاة، وتأدية الزكاة، وكانوا يعبدون الله، ولا يستكبرون عن طاعته. يقول الزمخشري: «إن من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله، ليس له أن يخل بها ويتثاقل عنها، وأول ذلك أن يهتدي بنفسه؛ لأن الانتفاع بهداه أعم، والنفوس إلى الاقتداء بالمهدي أميل»(٢).

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (الحج:٥٣-٥٤).

حيث عبر المولى عز وجل بالإظهار موضع الإضمار في قوله: (وإن الظالمين لفي شقاق بعيد)، والأصل أن يقال: (وإنهم)، والسر في هذا العدول القضاء على المنافقين والمشركين بالظلم.

يقول الزمخشري : «فوضع الظاهر موضع الضمير قضاءً عليهم بالظلم»(٣).

---

(١) التحرير والتنوير : ١٠٩/١٧.

(٢) الكشاف : ٢٤٦/٤.

(٣) تفسير الكشاف : ٣١٢/٣.

ويقول أبو السعود: «فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة »[١].

وتكمن عظمة هذا الأسلوب في تسلية الرسول ﷺ، حين فرح المشركون والمنافقون بإلقاء الشيطان بعض الكلمات؛ لأن الشيطان يجد الفرصة مهيَّأة أمامه ليلقي الفتنة في نفوس أوليائه الذين في قلوبهم مرض من نفاق، أو شك، والقاسية قلوبهم من الكفار، فيجدون في مثل هذه الأقوال مادة للجدل والشقاق، والتمرد على أحكام الله، وحتى يعلم أهل العلم النافع الذين يفرقون به بين الحق والباطل، والمؤمنون بالله ورسوله أن ما أوحيناه إليك هو الحق الثابت الصادق من ربك.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ (النور: ٣٥).

حيث أعيد في هذه الآية لفظ (المصباح) دون أن يقال: فيها مصباح في زجاجة كما قال: (كمشكاة فيها مصباح. وهذا من الإظهار في مقام الإضمار.

والسر في ذلك «التنويه بذكر المصباح؛ لأنه أعظم أركان التمثيل، وذلك لتعظيم شأن المصباح»[٢].

❖ ❖ ❖

---

(١) تفسير أبي السعود: ٤/٤٧٦، وانظر روح المعاني : ١٣/٩٥، والبيضاوي: ٤/٢٨١.

(٢) التحرير والتنوير : ١٨/٢٣٦.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ (لقمان: ٢٠).

حيث «وضع الظاهر وهو قوله: (ومن الناس) موضع المضمر، لأن الأصل أن يقال: (ومنكم)»(١)، والمقصود بالناس المتصدون لدعوة النبي ﷺ مثل النضر بن الحارث، وأمية بن خلف، وعبدالله بن الزبعرى، فهو من العام المراد به الخاص، كما دل على ذلك سبب النـــزول.

والغرض من الإظهار في مقام الإضمار زيادة تعريف السامع بالمتصدين للنبي ﷺ. كما فيه توبيخ للمشركين لإصرارهم على الكفر مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد.

❖ ❖ ❖

---

(١) التحرير والتنوير : ١٧٥/٢١ بتصرف.

ثالثًا: وضع المضمر موضع المظهر في آيات الهدى:

وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥٥).

وضع المضمر موضع المظهر في قوله : (إن هي إلا فتنتك...)، والأصل أن يقال: (إنْ الفتنة) ثم وضع (هي) موضع الفتنة؛ «لأن الخبر مستعمل في إنشاء التَّمْجيد بسعة العلم والْقُدرة، والتعريض بطلب اسْتبْقَائهم وهدايتهم، ولَيْس مستعمَلاً في الاعتذار لقومه بقرينة قوله:(تضل بها من تشاء) الذي هو في موضع الحال من فتنتك، فالإضلال بها حال من أحوالها»[١].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ (الزمر: ٣).

حيث عدلى المولى عز وجل إلى الإضمار في قوله : (والذين اتخذوا من دونه أولياء...) والأصل أن يقال : (والمشركون اتخذوا من دونه ...).

---

(١) التحرير والتنوير : ٩/١٢٦-١٢٧.

وفي إضمار المشركين من غير ذكر لهم لدلالة السياق عليهم، «والتعبير عنهم بطريق الموصولية؛ لما في الموصول من الصلاحية لإفادة الإيماء إلى علة الفعل؛ ليفيد أن سبب حرمانهم التوفيق هو كذبهم، وشدة كفرهم»[(١)].

وفي الإضمار أيضًا ذم للمشركين المصرين على الكذب والكفر، وحرمان لهم من الهداية؛ لأنهم وصفوا الأصنام بأنها آلهة مستحقة للعبادة، كما اعتقدوا فيها الإلهية، وحاشا أن تكون هذه الأصنام تنفع أو تضر، أو أن تكون آلهة، أو مستحقة للعبادة، وإنما ذلك كله لله عز وجل.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ٣٢٣/٢٣.

رابعًا: الأسلوب الحكيم:

وهو«عند علماء البلاغة صرف كلام المتكلم، أو سؤال السائل عن المراد منه، وحمله على ما هو الأولى بالقصد، أو إجابته إلى ما هو الأولى بالقصد»[(١)].

وبمطالعتي لآيات الهدى وجدت هذا الأسلوب على هذا النحو السابق ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ (المدثر: ٣١).

حيث وقع الأسلوب الحكيم في قوله: (وما هي إلا ذكرى للبشر).

وذلك لأن المشركين سألوا عن أصحاب النار وعدد خزنة جهنم، فأجيبوا بذلك، «وفائدته أن يكون ذكرى للبشر ليتذكروا دار العقاب بتوصيف بعض صفاتها، لأن في ذكر الصفة عونًا على زيادة استحضار الموصوف، فغرض القرآن الكريم الذكرى، وقد اتخذه الضالون ومرضى القلوب لهوًا وسخرية ومراءً بالسؤال عن جعلهم تسعة عشر، ولم يكونوا عشرين أو مئات أو آلافا»[(٢)].

---

(١) بغية الإيضاح: ١٢٠/١، وانظر البلاغة العربية: ٤٩٨/١، بتصرف يسير.

(٢) التحرير والتنوير : ٣٢٠/٢٩.

خامسًا: القلب في آيات الهدى:

وهو «أن يجعل جزء من الكلام مكان آخر يجعل مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر»[(١)].

وقد وجدت في آيات الهدى لهذا الفن موطنًا واحدًا.

في قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: ٢١٣).

في هذه الآية الكريمة فن يدعى عند علماء البلاغة بفن القلب.

و«مثل له السَّكاكي والزمخشري والجوهري بقوله تعالى: (ويوم يعرض الذين كفروا على النار).

وفي الآية التي نحن بصددها وقع القلب في قوله: (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه) ومعناه: فهدى الله الذين آمنوا للحق فيما اختلف فيه من كتاب الله الذين أوتوه»[(٢)].

والسر في مجيء القلب هو تأكيد كثرة اختلاف أهل الكتاب فيما جآءهم من الأمور.

---

(١) الإيضاح : ١٢٢/١.

(٢) الجدول في الإعراب: ٤٣٩/٢، وانظر إعراب القرآن وبيانه: ١٣٥/١ بتصرف يسير.

وكان اختلافهم الذي خذلهم الله فيه، وهدى له الذين آمنوا بمحمد ﷺ هي (الجمعة) فقد ضلوا عنها، وقد فرضت عليهم كالذي فرض علينا، فجعلوها (السبت).

❖ ❖ ❖

وهكذا رأينا من خلال جولتنا في هذا المبحث كيف استخدم القرآن الكريم هذه الألوان البلاغية المختلفة التي خرج الكلام فيها على ظاهر الحال، وأن الغاية منها في المقام الأول ترجع إلى المعنى، ولا يكون مقصودًا به تحسين الكلام بقدر ما يكون المقصود به تثبيت المعنى وتقويته، وجذب السامع وشد انتباهه عن طريق تلوين الكلام، سواءً كان التعبير بالالتفات، أو وضع المظهر موضع المضمر، أو وضع المضمر موضع المظهر، أو أسلوب القلب، أو الأسلوب الحكيم، فالغاية منها جميعًا التأثير في النفوس والمعتقدات؛ لما فيها من عناصر فنية إبداعية جمالية، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على الدقة المتناهية في استعمال اللفظ القرآني في موطنه الأحق به، والذي لا يسد مسده غيره.

ولنا فيما ذكرت من هذه النماذج أكبر دليل، وأوضحه على سمو البلاغة القرآنية، وارتفاعها عن بلاغة البشر شأوًا بعيدًا.

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

المبحث السادس : الإنشاء في آيات الهدى

الخصائص البلاغية للإنشاء:

«الإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، ويقسمه البلاغيون إلى طلبي وهو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، وأنواعه: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء، وغير الطلبي وهو ما لا يستدعي مطلوبًا، كصيغ المدح والذم، وصيغ العقود والتعجب والرجاء»[١].

والذي يهم البلاغيين هو الإنشاء الطلبي، ومن ثم فهذا ما سأخصه بالدراسة هنا، وقد وردت الجملة الإنشائية في آيات الهدى على صور متعددة، فمنها ما جاء بصيغة الأمر، ومنها ما جاء بصيغة النهي، ومنها ما جاء بصيغة الاستفهام، ومنها ما جاء بصيغة التمني والنداء، وقد تخرج هذه الأساليب عن حقيقتها إلى أغراض بلاغية أرادها الذكر الحكيم، وأشرع في بيان ذلك كله فأقول وبالله التوفيق .

١- الأسرار البلاغية للأمر في آيات الهدى:

هذا النوع من أنواع الإنشاء التي حفلت بها آيات الهدى، وقد يأتي الأمر فيها على حقيقته، وهو طلب الفعل على جهة الاستعلاء، ولكنه كثيرًا ما يخرج إلى أغراض تفهم من السياق.

وسأبدأ بالأمر على حقيقته.

❖ ❖ ❖

---

(١) انظر شروح التلخيص : ٢٣٢/٤، وبغية الإيضاح: ٣٢/٢.

١- من مجيء الأمر على حقيقته في آيات الهدى:

قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ (البقرة: ١٩٨).

فالأمر في قوله : (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) وقوله : (واذكروه كما هـــداكم) علـــى حقيقته.

والمراد بالذكر هو تسبيح الله وتحميده، والتهليل؛ وذلك لأن نفرًا من المسلمين كانوا يجدون حرجًا في مزاولة التجارة، وابتغاء الرزق في موسم الحج، فأخبرهم الله تعالى أنه لا حرج علـــيهم في ذلك، وإذا صدر الحجاج راجعين من عرفات بعد الوقوف بها ووصلوا المزدلفة ليلة عيـــد النحـــر، فليذكروا الله عند المشعر الحرام بالتهليل والتلبية والتكبير على هدايته إياهم إلى الدين الحق.

ويشير الرازي إلى فائدة تكرير الأمر، هنا فيقول:

«مذهبنا أن أسماء الله تعالى توقيفية لا قياسية فقوله أولاً: (اذكرو الله) أمر بالذكر، وقولـــه ثانيًا: (واذكروه كما هداكم) أمر لنا بأن نذكره سبحانه بالأسماء والصفات التي بينها لنا وأمرنـــا أن نذكره بها، لا بالأسماء التي نذكرها بحسب الرأي والقياس، وثانيها: أنه تعالى أمر بالذكر أولاً، ثم قال ثانياً: (واذكروه كما هداكم) أي: وافعلوا ما أمرناكم به من الذكر كما هداكم الله لدين الإسلام، فكأنه تعالى قال: إنما أمرتكم بهذا الذكر لتكونوا شاكرين لتلك النعمة، «وثالثهـــا: أن قولـــه أوّلا (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) أمر بالذكر باللسان، وقوله ثانيًا: (واذكروه كما هـــداكم) أمـــر

بالذكر بالقلب، وتقريره أن الذكر في كلام العرب ضربان أحدهما: ذكر هو ضد النسيان والثاني : الذكر بالقول مما هو خلاف النسيان....»[١].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (الرعد: ٣٣).

نجد أن الأمر وقع في قوله : (قل) وهو على حقيقته، إذ هو أمر من الله – سبحانه– لرسوله محمد ﷺ أن يخاطب المشركين.

ثم أتبعه بفعل أمر آخر وهو (سموهم)، ولكنه ليس أمرًا على حقيقته، وإنما خرج إلى معـــنى آخر وهو التبكيت.

يقول العلامة أبو السعود في قوله : (قل سموهم)«تبكيت لهم إثر تبكيت أي سموهم من هــم وماذا أسماؤهم أو صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة...»[٢].

ويجوز أن يكون الأمر في قوله : (سموهم) «مستعمل في معنى الإباحة كناية عن قلة المبـــالاة بادعائهم أنهم شركاء مثل ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ (الإسراء: ٥٠)، وكما تقول للذي يخطـــىء

(١) التفسير الكبير : ٣/١٩٥-١٩٦، للرازي.

(٢) تفسير أبو السعود : ٤/٧.

في كلامه: قل ما شئت. والمعنى: إن هي إلا أسماء سميتموها لا مسميات لها بوصف الإلهيـــة؛ لأنها حجارة لا صفات لها من صفات التصرف»[١].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قولــه تعــالى: ﴿قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾ (الزخرف: ٢٤).

فالأمر في قوله: (قل) على حقيقته للوجوب المراد به التبليغ . وهذا الأمر من الله ســبحانه وتعالى للرسول ﷺ، ومهمته ﷺ التبليغ والارشاد والبيان.

يقول ابن عاشور: « قرأ الجمهور (قل) بصيغة فعل الأمر لمفرد فيكون للرســول ﷺ بــأن يقولــه جوابًــا عـــن قـــول المشــركين ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف:٢٣)»[٢].

فالغرض من الأمر هنا هو الرد على الذين اتبعوا آباءهم بغير علم وقد جــآءهم محمـــد ﷺ ومن سبقه من الرسل بدين أهدى من الدين الذي وجدوا عليه آباءهم.

❖ ❖ ❖

٢-وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي، وهو طلب الفعل استعلاء إلى معان ودلالات أخرى تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، كالدعاء، والتهديد، والاستدراج .

❖ ❖ ❖

---

(١) التحرير والتنوير: ١٥٢/١٣.

(٢) التحرير والتنوير: ١٨٩/٢٥.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة: ٦).

فالأمر في قوله : (اهدنا)، ليس على حقيقته، وإنما خرج إلى معنى آخر، وهو الدعاء. والسر في خروج الأمر عن معناه الأصلي إلى معنى الدعاء هو أن الدعاء هذا صادر من المؤمنين مع كــونهم على الهداية، وهذا يعني دعاء التثبيت، وطلب المزيد من الهداية.

وفي هذا الدعاء أسمى ألوان الأدب؛ لأن هذا الدعاء قد تضرع به المؤمنون إلى خالقهم بعد أن اعترفوا له سبحانه وتعالى قبل ذلك بأنه هو المستحق لجميع المحامد.

يقول القرطبي : «اهدنا دعاء ورغبة من المربوب إلى الرب، والمعنى: دلنا علــى الصــراط المستقيم وأرشدنا إليه، وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أنسك وقربك. قال بعض العلماء: فجعــل الله جل وعز عظم الدعاء وجملته موضوعًا في هذه السورة، نصفها فيه مجمع الثناء، ونصــفها فيــه مجمع الحاجات، وجعل هذا الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي يدعو به [الــداعي]؛ لأن هذا الكلام قد تكلم به رب العالمين، فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذي تكلم بــه، وفي الحــديث : (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء)»[١].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضا قولــه تعــالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران: ٨).

فالأمر في قوله (وهب لنا) ليس على حقيقته وإنما خرج إلى معنى الدعاء والتضرع الصادق.

وهذا الدعاء صادر من الراسخين في العلم لربهم سبحانه وتعالى، فهم يطلبون من الله عــز وجل الرحمة ، وليس هناك أحدٌ من البشر يستطيع فعل ذلك.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٤٧/١ للقرطبي.

ويقول الألوسي في سر خروج الأمر إلى معنى الدعاء «وفي سؤال ذلك بلفظ الهبة إشارة إلى أن ذلك منه تعالى تفضل محض من غير شائبة وجوب عليه عز شأنه، وتـأخير المفعـول الصـريح للتشويق»[١].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ (طه: ١٣٥).

فإن الأمر في قوله : (قل)، ليس على حقيقته، وإنما خرج إلى معنى آخر، وهـو التهديـد. «والإنذار ويسمى المشاركة أي نتركم وتربصكم لأنّا مؤمنون بسوء مصيركم»[٢].

والقرينة هنا أن الخطاب بذلك موجه للكفار بسوء العاقبة، إذا استمروا في طغيانهم.

كما جاء التعبير بالأمر في قوله: (فتربصوا) للدوام، والتـربص الانتظـار، فكفـار مكـة متربصون بمحمد ﷺ الموت، ومحمد ﷺ متربص بهم العذاب، وعليه فالأمر خرج من معناه الحقيقـي إلى معنى الدوام. يقول ابن عاشور: «ومادة الفعل المأمور مستعملة في الدوام بالقرينة، أي فـدوموا على تربصكم»[٣].

❖ ❖ ❖

---

(١) روح المعاني : ٤٣٢/٢.
(٢) التحرير والتنوير : ٣٤٨/١٦.
(٣) التحرير والتنوير : ٣٤٧/٦.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قولـه تعـالى: ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴾ (القصص: ٦٤).

فالأمر في قوله : (ادعوا) ليس على حقيقته، وإنما خرج إلى معنى آخـر، وهـو التقريـع والتهكم. فقد أمر الله المشركين بدعوة الآلهة التي أشركوها مع الله لتخلصهم من عذابه كما زعموا، وتمنوا لو أنهم كانوا في دنياهم مهتدين، والقرينة الدالة على ذلك هو توجيه الخطاب لما لا يعقل وهي الأصنام، وفي هذا ما فيه من : «تفضيحهم على رؤوس الأشهاد بدعاء من لا نفـع لـه لنفسـه، والظاهر من تعقيب صيغة الأمر بالفاء في قوله : (فدعوهم) أنها لطلب الدعاء وإيجابه، والأول أبلـغ في تهويل أمر أولئك الكفرة، والإشارة إلى سوء حالهم»[١].

❖ ❖ ❖

ومن الأمر للتقرير ما جاء في : قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ: ٢٤).

فالأمر في قوله : (قل) للتقرير ليس على حقيقة، «إذ أمر الله رسوله بأن يقررهم بقوله: (من يرزقكم) ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله: (يرزقكم)؛ وذلك للإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم، إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به، لأن الذي تمكن في صدورهم من العناد، وحب الشرك قد

---

(١) روح المعاني : ١٥٠/٢٠.

أجم أفواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته؛ ولأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق»[١].

وهذا أمر من الله تعالى للرسول ﷺ أن يقول ذلك تبكيتًا للمشركين بحملهم على الإقرار بأن آلهتم لا يملكون شيئًا.

كما أعيد الأمر بالقول في قوله : (قل الله) و«ذلك لزيادة الاهتمام بالمقول، وإعادة الأمر زيادة في الاهتمام، والأصل في الأمر بالقول في مقام التصدي للتبليغ»[٢].

فالسر في التعبير بالأمر الأول هو حمل المشركين على الإقرار بوحدانية الله تعالى، والأمر الثاني هو زيادة الاهتمام بالمقول.

❖ ❖ ❖

ومن الأمر للتهكم والاستهزاء :

ما ورد في قوله تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ (الصافات: ٢٢-٢٣).

فالأمر الواقع في قوله: (احشروا – فاهدوهم)، ليس على حقيقته، وإنما خرج إلى معنى آخر، وهو التهكم والاستهزاء.

---

(١) الكشاف: ١٢٠/٥، وانظر روح المعاني : ٢٠٤/٢٢، والتفسير الكبير : ٢٠٥/٢٥.

(٢) التحرير والتنوير: ١٩٢/٢٢.

إذ هو أمر من الله – سبحانه وتعالى – بحشر الظالمين من أماكنـهم المختلفـة إلى موقـف الحساب. وقيل من الموقف إلى الجحيم، وتعريفهم طريق الجحيم حتى يسلكوه وهذا تهكـم بهـم، وتوبيخ لهم.

ويقول الزمخشري : «وهذا الأمر خطاب من الله – تعالى – للملائكـة، أو مـن الملائكـة بعضهم لبعض»(١).

والسر في التعبير بالأمر هو التهكم والاستهزاء بالظالمين. كما هو واضح من سياق الآيـة، وبخاصة أن الهداية تستعمل في الخير والإرشاد على أصل دلالتها، ولكنها هنا هداية للجحيم تهكمـا بهم، وسخرية واستهزاء.

❖ ❖ ❖

ومن خروج الأمر أيضًا عن حقيقته ما جاء في قوله تعـالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٠).

فالأمر في قوله :(قل) خرج عن حقيقته إلى معنى الاستدراج. يقول ابن عاشور: «أعيد الأمر هنا بأن يقول لهم الرسول حجة أخرى لعلها تردهم إلى الحق بعدما تقدم مـن قولـه:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ﴾ (الأحقاف: ٤) ، وقوله : ﴿مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (الأحقاف :من الآيـة٩).

(١) الكشاف: ٢٠٥/٥، وانظر روح المعاني: ١١٨/٢٣.

وهذا استدراج لهم للوصول إلى الحق في درجات النظر فقد بادأهم بأنّ ما أحالوه مـن أن يكـون رسوًلا من عند الله ليس بمحال إذْ لم يكن أول الناس جاء برسالة من الله»(١).

وخروج الأمر عن معناه الأصلي إلى معنى الاستدراج للاستدلال على صدق نبوة محمد ﷺ التي شهد بها عالم من علماء اليهود.

❖ ❖ ❖

٢- الأسرار البلاغية للنهي في آيات الهدى:

النهي من الأساليب الإنشائية التي استخدمها القرآن الكريم بكثرة في مختلف المواطن، وهو طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء، وله صيغة واحدة هي المضارع المقرون (بلا الناهية).

وقد تخرج صيغة النهي عن معناها الحقيقي إلى معان أخرى تفهم مـن السـياق، وقـرائن الأحوال كالدعاء، والتقرير والجحود، والتثبيت، وسأبدأ أوًلا بالنهي الوارد على حقيقته.

❖ ❖ ❖

١- النهي الحقيقي :

من ذلك قوله تعـالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

(١) التحرير والتنوير : ١٨/٢٦.

فالنهي في قوله(ولا تفرقوا) ورد على صيغته من الفعل المضارع المقترن به (لا) الناهيـــة في قوله : (لا تفرقوا) فهو «نهي عن الاختلاف في الدين؛ لأن الحق لا يكون إلا واحدًا، وما عداه جهل وضلال، وقيل نهي عن المعاداة والمخاصمة، فإنهم كانوا في الجاهلية مواظبين على ذلك، فنهوا عنـــه. وقيل نهي عما يوجب الفرقة، ويزيل الألفة»(١).

والسر في التعبير بالنهي هو تذكير المؤمنين بنعمة الاجتماع؛ «لأن ذلك باعث على شكرها، وهو باعث على إدامة الاعتصام والتقوى، وبدأ منها بالدنيوية، لأنها أساس الأخروية»(٢). وأيًّا مـــا كان المعنى المراد من النهي كما تقدم، فالنهي على حقيقته من التحريم؛ لأن الاخـــتلاف في الـــدين المؤدي إلى النـــزاع، والشقاق أو المعاداة والمخاصمة أو كل ما يوجب الفرقة، ويزيل الألفـــة هـــو حرام لا شك على المسلمين؛ لأن في التفرق ضعفًا، وفي الاتحاد والاجتماع قوة وهذا مـــن مقاصـــد الإسلام الكبرى.

❖ ❖ ❖

٢- من المعاني المجازية التي خرج إليها النهي في آيات الهدى :

١-الدعاء :

وورد ذلك في قولـــه تعـــــالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران: ٨).

---

(١) تفسير اللباب: ٢٥٠/٤، وانظر التفسير الكبير : ٣٢٦/٤.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٩٣/٢.

فالنهي في قوله : (لا تزغ) خرج عن معناها الحقيقي إلى معنى الدعاء، كما يفهم من سياق الآية بوضوح، وهو تعليم واضح للأمة. «لأن الموقع المحكي موقع عبرة ومثار لهواجس الخوف من سوء المصير إلى حال الذين في قلوبهم زيغ فما هم إلا من عقلاء البشر، لا تفاوت بينهم وبين الراسخين، فما كان ضلالهم إلا من حرمانهم التوفيق واللطف، ووسائل الاهتداء»(١).

❖ ❖ ❖

٢- التقرير ومعنى الجحود :

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٧٣).

فالنهي في قوله : (ولا تؤمنوا)، خرج «للتقرير ومعنى الجحود»(٢)؛ لأن قوله : «ولا تؤمنوا» من كلام اليهود بعضهم لبعض، أي قال ذلك الرؤساء للسفلة. وقال السدي: هو من قول يهود خيبر ليهود المدينة»(٣).

والسر في التعبير بالنهي هو فضح الله عز وجل كيد اليهود أمام الرسول ﷺ والمؤمنين؛ وذلك لشدة حرصهم على إضلال المؤمنين.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ١٦٩/٣.
(٢) دليل البلاغة القرآنية ، الجزء الأول ، سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران: ٤٧٥، للدكتور محمد بن سعد الدبل.
(٣) تفسير القرطبي : ١١٢/٤.

٣- التثبيت :

وذلك في قوله تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (السجدة: ٢٣).

فالنهي في قوله : (فلا تكن) أخرج إلى معنى التثبيت والدوام . يقول ابن عاشور: «فالنـهي مستعمل في طلب الدوام على انتهاء الشك، فهو نهي مقصود منه التثبيت كقوله: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (هود: ١٠٩)، وليس لطلب إحداث انكفاف عند المرية؛ لأنها لم تقع من قبل»[(١)].

والخطاب هنا موجه للرسول ﷺ ولكنّ المقصود منه نهي أمته والتعريض بالكفـار؛ لأنهـم يشكون في لقاء محمد ﷺ بموسى عليه السلام .

واختيار موسى عليه السلام دون غيره من الأنبياء عليهم السلام لحكمة، «وهـي أن أحـدًا من الأنبياء لم يؤذه قومه إلا الذين لم يؤمنوا به، وأما الذين آمنوا به فلم يخالفوه غير قوم موسى، فـإن لم يؤمن به آذاه مثل فرعون وغيره، ومن آمن به من بني إسرائيل أيضًا آذاه بالمخالفة، وطلب أشـياء منه مثل طلب رؤية الله جهرة ومثل قوله: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾ (المائدة: ٢٤)»[(٢)].

❖ ❖ ❖

---

(١) التحرير والتنوير: ٢١/٢٣٥.

(٢) تفسير الرازي: ١٢/٣١٧-٣١٨.

٤- التسلية للرسول ﷺ، وعدم التحسر على الكفار :

وذلك في قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الحج: ٦٧).

فالنهي في قوله (لا ينازعنك)«نهي لمحمد ﷺ عن الالتفات إلى منازعة هــؤلاء المشــركين أو مجادلتهم في الدين وفي المناسك، والذبح فلا يتيح لهم المجال للمنازعة والمخاصمة»[١]، وفي هذا حث له على الثبات والمبالغة في التمسك بأمره والإعراض عن هؤلاء، وفي ذلك تحقــير لهــم وإهانــة، «ويحتمل أن يكون النهي متضمنًا نهيه عليه السلام عن منازعتهم في أمرهم»[٢]، احتقــارًا لهــم، وازدراءً لإنزالهم منــزلة من لا يجدي معه القول والحديث، وإن كان النص يحتمل الأول أكثر .

وقد جاء بعد النهي الأمر بالدعوة لله والمداومة عليها في قولــه : (وادع)، ويقــول ابــن عاشور: «عطف على انتهاء المنازعة في الدين أمر بالدوام على الدعوة وعدم الاكتفاء بظهور الحجة لأن المكابرة تجافي الاقتناع، ولأن في الدوام على الدعوة فوائد للناس أجمعين»[٣].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (فاطر:٨).

---

(١) تفسير أبي السعود : ١١٨/٦ بتصرف.

(٢) فتح القدير : ٤٦٧/٣.

(٣) التحرير والتنوير : ٣٢٩/١٧.

فالنهي في قوله : (فلا تذهب نفسك عليهم) للتسلية وعدم التحسر على مصير الكفار. أي «لا تفعل ذلك؛ لأنهم أوقعوا أنفسهم في ذلك بتزيين الشيطان لهم، ورؤيتهم ذلك حسنًا، فلا تتحسر عليهم؛ لأن الهداية بيد الله، والنهي موجه إلى نفس الرسول ﷺ أن تذهب حسرات على الضالين، ولم يوجه إليه بأن يقال: فلا تذهب عليهم حسرات، فالرسول ﷺ ونفسه متحدان، فتوجيه النهي إلى نفسه دون أن يقال: فلا تذهب عليهم حسرات للإشارة إلى أن الذهاب مستعار إلى التلف والإنعدام»[(١)].

فالغرض من النهي في هذه الآية تسلية الرسول ﷺ حيث حزن من إصرار قومه على الشرك بعد إتيانهم بكل آية ظاهرة وحجة باهرة.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ٢١/٢٦٤-٢٦٥.

٣- الأسرار البلاغية للاستفهام في آيات الهدى :

الاستفهام: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأدوات خاصة، وقد ورد في آيات الهدى في عدة مواضع، وأكثر أدوات الاستفهام استعمالًا في آيات الهدى الاستفهام بالهمزة لمعنى التقرير ، والإنكار، وخاصة الهمزة التي تدخل على نفي، ويكون هناك حرف عطف، ووردت بعض الأدوات الأخرى مثل (كيف)، و(من) ، و(ما)، ولكن بقلة ملحوظة.

وسأعرض لهذا كله، فأقول وبالله التوفيق .

❖ ❖ ❖

١- الاستفهام بالهمزة :

من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

حيث وقع الاستفهام بالهمزة في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾، وقد خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى «إنكار النفي، وتقرير المنفي والتعجب»(١).

يقول الرازي : « ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾، فهي كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها، ولفظها لفظ الاستفهام، وهي كما يقال: ألم تر إلى فلان كيف يصنع، معناه: هل رأيت كفلان في صنعه كذا»(٢).

(١) دليل البلاغة القرآنية: ٣٤٥/١، وانظر فتح القدير : ٣٧٥/١.
(٢) تفسير الرازي : ٤٦١/٣، وانظر تفسير الخازن: ٢٨٢/١.

فالاستفهام للتعجب من شأن نُمْرود بن كنعان الذي بلغ من العجب غاية بعيدة، فهــو أول من تجبر، وادعى الربوبية، وحاج إبراهيم عليه السلام في ربه وألوهيته، ووحدانيته. يقول أبــو السـعود : «وهمزة الاستفهام لإنكار النفي، وتقرير المنفي أي ألم تنظر ، أو لم ينته علمُك إلى هــذا الطــاغوت المارد كيف تصدى لإضلال الناس، وإخراجهم من النور إلى الظلمات أي: قــد تحققــت الرؤيــة، وتقررت بناء على أن أمره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد ممن له حظٌّ من الخطاب، فظهر أن الكفرة أولياؤهم الطاغوت »[١].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القصص:٥٧).

حيث جاء الاستفهام بالهمزة التي وليها النفي في قوله: (أو لم نمكن)، وقــد خرجــت عــن معناها الحقيقي إلى معنى (التقرير)؛ وذلك لأن من صور الاستفهام أن تدخل الهمزة على نفي كمــا هنا، ولا يكون المراد الإنكار، وإنما يكون المراد التقرير، وذلك أن الهمزة تكون للإنكار، والإنكــار نفي، وقد دخلت الهمزة على (نفي)، ونفي النفي إثبات؛ فيكون المآل هو الإثبات (أي التقرير).

يقول ابن عاشور : «إنهم أنكروا أن يكون الله لم يمكن لهم حرمًا، ووجه الإنكار أنهم نزلــوا منــزلة من ينفي أن ذلك الحرم من تمكين الله فاستفهموا على هذا النفي استفهام إنكار»[٢].

❖ ❖ ❖

(١) تفسير أبي السعود : ٣١٤/١.

(٢) التحرير والتنوير : ١٤٩/٢٠.

ومن ذلك أيضًا قوله تعــالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ (السجدة: ٢٦).

وقع الاستفهام بالهمزة في قوله: (أولم)، وجاءت الهمزة هنا مفصولًا بينـــها، وبـــين الفعـــل (يهدي) (بالواو- ولم)، وهذا تركيب غير مألوف إلا في تراكيب القرآن الكريم.

وهو «استفهام إنكاري، أي هم لم يهتدوا بدلائل النظر، والاستدلالات التي جـــاءهم بهـــا القرآن، فأعرضوا عنها، ولا اتعظوا بمصارع الأمم الذين كذبوا أنبياءهم، وفي مهلكهم آيات تزجر أمثالهم عن السلوك فيما سلكوه»[(١)].

وأرى أن الاستفهام قد خرج إلى معنى الأمر، فهو حض لهم على الاســـتماع إلى الآيـــات الدالة على سوء عاقبة الظالمين قبل أن يحل بهم ما حل بالأزمنة الغابرة.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعـــالى: ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴾ (الزمر: ٣٧).

فالاستفهام في قوله : (أليس الله بعزيز) وقع بالهمزة الداخلة على حرف النفي (ليس)، فعلى هذا يكون الاستفهام للتقرير. ويقول الزمخشري: «إذا أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي، أفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها»[(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير : ٢٣٩/٢١، وانظر روح المعاني: ٢١٠/٢١.

(٢) الكشاف : ٣٠٦/٥.

والسر في التعبير بالاستفهام التقريري هو إثبات «العلم بعزة الله متقرر في النفوس لاعتراف الكل بإلهيته، والإلهية تقتضي العزة، ولأن العلم بأنه منتقم متقرر من مشاهدة آثار أخذه لبعض الأمم مثل عاد وثمود»[١].

وفي هذه الصورة الاستفهامية للهمزة التي تكررت في آيات الهدى رأيان :

أحدهما للزمخشري قال فيه : إذا أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي، أفيد معنى إثبات الكفاية، وتقريرها.

والثاني : للقزويني الذي يسمي ما جاء على هذه الصورة باسم (الإنكار).

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزخرف: ٤٠).

حيث خرج الاستفهام في قوله: (أفأنت) على معنى الإنكار التعجبي فأنت لا تسمعهم، ولا تهديهم بل الله يسمعهم، ويهديهم إن شاء .

يقول الزمخشري في قوله : (أفأنت تسمع...) «دلالة على أنه يقدر على إسماعهم، وهدايتهم إلا الله عز وجل بالقسر والإلجاء، كما لا يقدر على رد الأصم، والأعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل إلا الله وحده»[٢].

---

(١) التحرير والتنوير : ١٥/٢٤ بتصرف يسير.

(٢) الكشاف : ٢٧٤/٢.

وذكر القزويني أنه يشترط في الإنكار أن يلي المنكر الهمزة، «وعدَّ الزمخشري هذه الآية من هذا الضرب، على أن المعنى: أفانت تقدر على إكراههم على الإيمان؟ أو أفأنت تقدر على هدايتهم؟ على سبيل القصر والإلجاء أي: إنما يقدر على ذلك الله لا أنت، وحمل السكاكي تقديم الاسم في هذه الآية على البناء على الابتداء دون تقدير التقديم والتأخير كما مر في نحو «أنا ضربت»، فلا يفيد إلا تقوى الإنكار»(١).

❖ ❖ ❖

ومن خروج الاستفهام إلى معنى الأمر :

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (آل عمران: ٢٠).

حيث جاء الاستفهام في قوله: (ءأسلمتم)، وقد خرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معنى الأمر، (أي : أسلموا).

فقوله: (ءأسلمتم) «لفظة استفهام، ومعناه أمر أي : أسلموا»(٢).

فالاستفهام للحض على أن يسلموا وجوههم لله، عز وجل ويذعنوا للرسول ﷺ؛ لأنه قد آتاهم بالبينات ما يوجب الإسلام، ويقتضي حصوله لا محالة، فهل أسلمتم أم بعد أنتم على كفركم.

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح : ٢/٤١.

(٢) تفسير القرطبي : ٤/٤٥، وانظر تفسير الخازن : ١/٣٥٠، وابن عجيبه: ١/٢٦١.

و«هذه الآية متناولة لجميع المخالفين لدين محمد ﷺ »[١]، فالرسول محمد عليــه الصــلاة والسلام قد أفرغ جهده في مناصحتهم؛ ولكنهم لم يفهموا، وهذا توبيخ لهم بالبلادة والمعاندة.

❖ ❖ ❖

٢- الاستفهام بكيف :

من ذلك ما جاء في قولــه تعــالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٠١).

الاستفهام بــ (كيف) في قوله : (وكيف تكفرون) خرج عن معنــاه الحقيقــي إلى معــنى الاستبعاد.

فقوله: «(كيف تكفرون) استفهام مستعمل في الاستبعاد استبعادًا لكفرهم، ونفي له، وجملة (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) هي محط الاستبعاد والنفي»[٢].

وقال بعض المفسرين : «إن الاستفهام هنا، فيه معنى الإنكار والتعجيب، والمعنى: من أيــن يتطرق إليكم الكفر، والحال أن آيات الله، وهي القرآن المعجز تتلى على لسان الرســول، وبــين أظهركم رسول الله ﷺ ينبهكم، ويعظكم، ويزيح شبهكم»[٣].

ولا مانع أن يكون الغرضان مرادين في الآية، فلا تناكر بين الاســتبعاد، وبــين الإنكــار والتعجيب، ما دام الموضع يحتمل كل ذلك، ومما يؤيد هذا أن عبدالقاهر يقول في قوله تعــــــالى:

---

(١) تفسير الرازي : ١٥١/٤.
(٢) التحرير والتنوير : ٢٨/٤-٢٩، وانظر روح المعاني: ٢٦/٤.
(٣) التفسير الكبير : ٣٠٩/٨، وانظر الكشاف: ٥٩٦/١.

﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ (الأنبياء:٦٢): «واعلم أن الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان، وإنكار له لِمَ كان، وتوبيخ لفاعله عليه»[١].

فجمع بين أكثر من دلالة لهذه الهمزة، وهكذا الحال هنا، وسياق الكلام لا يرفضها.

❖ ❖ ❖

ومن الاستفهام (بما) ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (إبراهيم: ١٢).

والاستفهام (بما) في قوله: (وما لنا ألا نتوكل على الله) خرج عن معناها الحقيقي إلى معنى آخر، وهو الإنكار المتضمن التوبيخ، فهم ينكرون على الكفار كيف ينكرون عليهم عدم توكلهم على الله تعالى، وقد هداهم سبلهم، ووضحها لهم، فلا حجة لهم في عدم توكلهم عليه.

يقول ابن عاشور قوله: «وما لا لنا ألا نتوكل» «استفهام إنكاري لانتفاء توكلهم على الله، أتوا به في صورة الإنكار بناء على ما هو معروف من استحماق الكفار إياهم في توكلهم على الله، فجاءوا بإنكار نفي التوكل على الله»[٢].

❖ ❖ ❖

كذلك ورد الاستفهام (بمن) في قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (الروم: ٢٩).

---

(١) دلائل الإعجاز: ١١٤.

(٢) التحرير والتنوير : ٢٠٤/١٣، وانظر روح المعاني : ٢٨٧/١٣.

فالاستفهام (بمن) في قوله (فمن يهدي من أضل الله...) خرج عن معناه الحقيقي إلى معـــنى النفي.

يقول ابن عاشور: «فمن يهدي» «اسم استفهام إنكاري بمعنى النفي»[(١)]، فلا يستطيع أحد هداية أحد من البشر ما لم يقدر الله له ذلك، فمنهم من قدر الله له الهداية، ومنهم مـــن قـــدر لـــه الضلال، وطبع على قلبه.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ٨٨/٢١.

٤- الأسرار البلاغية للنداء في آيات الهدى :

هذا النوع من الأساليب الإنشائية التي استخدمها القرآن الكريم، لما له من اختصـــاص في إيقاظ المشاعر، وتحقيق الأهداف، ولم تخل آيات الهدى من هذا النوع من الإنشاء.

وهو طلب إقبال المخاطب على المتكلم ليصغي إلى أمر ذي بال، ويغلب أن يلي النداء أمر، أو نهي ..

وقد تخرج صيغ النداء من معناها الأصلي إلى أغراض بلاغية تفهم من السياق، كالتعريض، ولفت الانتباه، والإصغاء لما سيلقى، والتأكيد.

وللنداء أدوات كثيرة وهي جميعها تستخدم في نداء القريب ما عدا الأداة (يا) فهي تستعمل للبعيد، وأحيانًا قد تحذف الأداة لسر بلاغي.

وباستقصاء أدوات النداء الواردة في آيات الهدى، وجدت أن الذكر الحكيم استعمل الأداة (يا) في مواطن، ولم يتبعها (يا أيها)، واستعمل (يا) في مواطن وأتبعها (أيها).

❖ ❖ ❖

١- النداء (بأيها) فمن ذلك :

قولـــه تعـــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

جاء النداء في قوله : (يا أيها الذين آمنوا ...) «بأطول أدوات النداء تنبهيًا لما سيلقى»[(١)]، فهذا النداء من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين يكرر فيه نهيهم عن المن والأذى؛ لأنهما يؤديان إلى ذهاب الأجر من الله تعالى. وإلى عدم الشكر من الناس. كما أن المنَّ والأذى في الإنفاق لا يليق بالنفس المؤمنة، لأنها تثير في نفس المعطي الكبر والخيلاء وغير ذلك من الصفات الذميمة، وتثير في نفس الآخر الشعور بالحقد والانتقام. وبذلك يتمزق المجتمع، وتنقطع المحبة بين الناس، فكان النداء هنا فيه تنبيه على هذه الخصلة الذميمة، وإيقاظ للنفوس المؤمنة أن تقع فيه.

❖ ❖ ❖

ومن النداء أيضًا بـ (أيها) ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ (يونس:١٠٨).

فالنداء في قوله: (يا أيها الناس) قصد به التنبيه على أنه تبليغ عن الله تعالى، فهو جدير بالتلقي، «وافتتاحها بالنداء لاستبعاد سماعهم لأهمية ما سيقال لهم، والخطاب لجميع الناس من مؤمن وكفار، والمقصود منه ابتداء المشركون، ولذلك أطيل الكلام في شأنهم، وقد ذكر معهم من اهتدى تشريفًا لهم»[(٢)].

والقرآن الكريم في مواطن يستعمل «النداء بـ (يا أيها) دون غيره؛ لأن فيه أوجهًا من التأكيد، وأسبابًا من المبالغة منها: ما في (يا) من التأكيد، والتنبيه، وما في (ها) من التنبيه، وما في

---

(١) دليل البلاغة القرآنية: ٣٥٢/١، للدكتور محمد سعد الدبل.

(٢) التحرير والتنوير : ٣٠٨/١٠.

التدرج من الإيهام في (أي) إلى التوضيح، والمقام يناسب المبالغة والتأكيد، لأن كل مـــا نـــادى الله عباده من أوامره، ونواهيه وعظاته، وزواجره، ووعده، ووعيده، ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية، وغير ذلك مما أنطق الله به كتابه – أمور عظام، وخطوب جسام، ومعان واجب عليهم أن يتيقظـــوا لها، ويميلوا بقلوبهم، وبصائرهم إليها، وهم غافلون، فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ»[١].

❖ ❖ ❖

٢– النداء بالياء :

من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ (مريم: ٤٣).

في هذه الآية «افتتح إبراهيم عليه السلام خطابه أباه بندائه مع أن الحضرة مغنية عن النداء قصـــدًا لإحضار سمعه وذهنه لتلقي ما سيلقيه إليه، وإعادة ندائه بوصف الأبوة تأكيـــد لإحضـــار الـــذهن، ولإمحاض النصيحة المستفادة من النداء الأول»[٢]. وقد تكرر النداء بقوله : (يا أبت) أربع مـــرات؛ لأن المقام اقتضاه لقبول الموعظة.

وما دام المنادى – في الحضرة – فهو قريب ؛ لكن الأداة التي استخدمت لندائه هي (يـــا) وهي لنداء البعيد، ولعل السر في إيثارها على (الهمزة) ، أو (أي) اللتين لنداء القريب هـــو قصـــد سيدنا إبراهيم تعظيم أبيه تتريلاً لبعد مكانته في نفسه منـــزلة بعد المكان الحسي.

❖ ❖ ❖

(١) معترك الأقران: ٤٤٨/١–٤٤٩، وانظر الإتقان في علوم القرآن: ٨٣/٢.
(٢) التحرير والتنوير : ١١٤/١٦.

ومما جاء فيه النداء بـ (الياء) أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ (غافر: ٢٩).

حيث وقع النداء بـ(الياء) في قوله «يا قوم» وهي لنداء البعيد، والمقصود من النداء الإصغاء لنصحه، وترقيق قلوبهم لقوله.

يقول ابن عاشور : «فناداهم ليستهويهم إلى تعضيده أمام فرعون؛ فلا يجد بدًّا من الانصياع إلى اتفاقهم، وتظاهرهم، وأيضًا فإن تشريك قومه في الموعظة أدخل في باب النصيحة، فابتدأ بنصيحة فرعون؛ لأنه الذي بيده الأمر والنهي، وثنى بنصيحة الحاضرين من قومه تحيزًا لهم من مصائب تصيبهم من جراء امتثالهم أمر فرعون بقتل موسى»[١].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ (غافر: ٣٨).

فالنداء بـ(الياء) في قوله : (يا قوم) خرج عن معناه الأصلي كما سبق إلى معنى آخر هو لفت الانتباه للإصغاء لنصيحته.

---

(١) التحرير والتنوير : ١٣٢/٢٤، وانظر الكشاف: ٣٤٤/٥، والتفسير الكبير : ٥١١/٢٧.

يقول ابن عاشور: «وابتدأ الموعظة بندائهم، وذلك ليلفت مؤمن آل فرعون أذهانهم، ويستصغي أسماعهم، وبعنوان أنهم قومه لتصغي إليه أفئدتهم. ورتب خطبته على أسلوب تقديم الإجمال ثم تعقيبه بالتفصيل....»[١].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (الصف:٥).

وقع النداء في هذه الآية بـ (الياء) في قوله : (يا قوم لم تؤذونني) ، وعبر بالياء التي لنداء البعيد إيماء إلى بعدهم عن قلبه، وإن اقتربوا من جسده، علاوة على أن في هذا النداء أيضًا «التعريض بقوم آذوا النبي محمد ﷺ بالقول، أو بالعصيان، فالنداء موجه إلى المنافقين، فقد وسموا بأذى الرسول ﷺ»[٢].

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ٢٤/١٤٨-١٤٩.

(٢) التحرير والتنوير : ٢٨/١١٧.

ومن النداء المحذوف الأداة :

ما جاء في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران: ٨).

حيث بدأت الآية الكريمة بالنداء (ربنا) «الذي حذفت أداته لتدل على منتـــهى القـــرب، وصدق الرغبة في سرعة اللقاء، والمنادى (رب) بإضافته إلى ضمير المنادين يـــدل علـــى اعتـــرافهم بفضله عليهم، وربوبيته لهم، وفي ذلك حسن توصل إلى استجابته لهم»[١].

وهذا الدعاء والنداء يتساوق تمامًا مع قائليه وهم الراسخون في العلم الذين يطلبون من الله تعالى أن يحفظهم من الزيغ بعد الهداية، ويهبهم الثبات على الإيمان.

❖ ❖ ❖

(١) دليل البلاغة القرآنية: ٣٨٧/١.

٥- الأسرار البلاغية للتمني في آيات الهدى :

التمني: طلب الشيء المحبوب الذي لا يُرجى حصوله، إمــا لكونــه مســتحيًلا، أو بعيــد الحصول، والأداة الأصلية للتمني (ليت)، وقد يستعمل بدًلا منها (هل ، ولعل، ولو) ، ولكل منــها مقام، وغرض بلاغي يتناسب مع دلالتها في الكلام.

ولم ترد (ليت) في آيات الهدى، وإنما ورد التمني بـــ (لو).

❖ ❖ ❖

ومن التمني بلو :

قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴾ (القصص : ٦٤).

حيث جاء التمني بـــ (لو) التي خرجت عن معناها الأصلي، وهو الامتناع إلى معنى التمني.

وذلك لأن المشركين حين شاهدوا العذاب تمنّوا لو أهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق حـــتى يخلصوا من العذاب.

وقد أفاد التمني التحسر على المشركين ، يقول الإمام ابن عاشور : «وفعل كانوا حينئذ في موقعه الدال على الاتصاف بالخبر في الماضي، وصيغة المضارع في (يهتدون) لقصــد تجــدد الهـــدى المتحسر على فواته عنهم، فإن الهدى لا ينفع صاحبه إلا إذا استمر إلى آخر حياته»(١).

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ١٦١/٢٠.

وفي نهاية هذا المطاف أود أن أشير إلى أن القرآن الكريم قد استخدم أسلوب الإنشاء الطلبي بفروعه الخمسة في آيات الهدى، وهي الأمر ، والنهي، والتمني، والاستفهام، والنداء.

وسواء كان الإنشاء على حقيقته أم خرج إلى أغراض بلاغية تفهم من سياق الآيات جـــاء التعبير القرآني على أكمل وجه، وأبهى صورة متسقاً ومتناسقًا مع غيره من التعـــبيرات بالغًـــا قمـــة الإعجاز الذي لا يضاهى، ولا يقدر على انتحائه، والتوصل لعلاه أحد..

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

المبحث السابع : القصر في آيات الهدى

القصر في آيات الهدى :

القصر هو أحد الأساليب البلاغية التي اشتملت عليها آيات الذكر الحكيم، فتجلى لنا في أبهى صوره، وأبلغ بيان، وهو «فن دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد، غزير الأسرار»(١).

وللقصر أقسام متعددة منها :

١- قصر الصفة على الموصوف، وهذا يأتي قصرًا حقيقيًّا، وقصرًا إدعائيًّا، وإضافيًّا.

٢- قصر الموصوف على الصفة، وهذا يأتي قصرًا حقيقيًّا بحيث لا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى- إذا كان القصر حقيقيًا- أو إلى صفة أخرى معينة- إذا كان القصر إضافيًّا.

وللقصر طرق عديدة معلومة استقصاها البلاغيون المتأخرون في كتبهم.

وقد جاء القصر في آيات الهدى ببعضها، فجاء بطريق النفي والاستثناء، وبطريق إنما، وبطريق التقديم، وبضمير الفصل، وبتعريف الطرفين.

وقد تأملت آيات الهدى، فوجدت أن أفضل السبل لدراسة القصر فيها هي عرضها على حسب طرق القصر الاصطلاحية التي اتفق عليها البلاغيون.

وأبدأ أولاً بدراسة القصر في الآيات التي تحتوي على طريق واحد، ثم دراسة الآيات التي تحتوي على أكثر من طريق .

---

(١) من بلاغة النظم العربي: ٢/٨، للدكتور عبدالعزيز عرفه.

١ -النفـــــــــي والإستثناء:

من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٦).

حيث وقع القصر (بما – وإلا) في قوله: (وما يضل به إلا الفاسقين)، وهو قصر صفة علـــى موصوف، أي قصر صفة الفاسقين على اليهود، وهو قصر حقيقي إدعائي، وفصَّل القول في ذلـــك ابن عاشور فقال: «إنما كان محمل الفاسقين على اليهود كان القصر حقيقيًّا إدعائيًّا ، أي يضل بـــه كثيرًا، وهم الطاعنون فيه، وأشدهم ضلالاً هم الفاسقون، ووجه ذلك: أن المشـــركين أبعـــد عـــن الاهتداء بالكتاب؛ لأنهم في شركهم، وأما اليهود فهم أهل كتاب، وشأنهم أن يعلموا أفانيَن الكتب السماوية، وضرب الأمثال، فإنكارهم إياها غاية الضلال فكأنه لا ضلال سواه»(١).

والسر في التعبير بالقصر هو : الرد على إنكارهم أن الله ضرب الأمثال للناس؛ لأن اليهود عندما ضرب الله الأمثال بالصغير من الأحياء والكبير، وهي الأمثال التي سبقت قالوا: (الله أجل من أن يضرب هذه الأمثال)، فاستخدم القرآن أسلوب القصر لتكذيب اليهود، (وما – وإلا) تستخدم في الأمور التي فيها مجال للشك والإنكار. وفيه أيضًا إيجاز ، فحوى أسلوب القصر أكثر مـــن ســـر بلاغي هنا كما ترى.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير: ٣٦٧/١.

ومن ذلك أيضًا ما جـاء في قولـه تعـالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم: ٤).

ورد أسلوب القصر هنا (بما – وإلا) في قوله: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه).

حيث قصر صفة المخاطبة التي يضطلع بها كل رسول على الموصوف وهو لسـان قـومهم المرسل إليهم لا بلسان قوم آخرين، وهو قصر إضافي، وهو من قصر الصفة على الموصوف.

والسر في التعبير بالقصر هو الرد على المشركين؛ لأن فريقًا منهم قالوا: هلا أنزل القـرآن بلغة العجم، وقد بين الله أنه ما أرسل من رسول إلا بلسان قومه المرسل إلـيهم لا بلسـان القـوم الآخرين، وهذا من رحمة الله بعباده، واختيار هذا الأسلوب أكد المعنى.

وبهذا يكون القصر هنا قصر قلب، ومعلوم أن القصر الاضافي ثلاثة أقسام إفراد، وقلـب، وتعيين، فالإفراد يكون إذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره.

والقلب إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي أُثبت بالقصر.

والتعيين إذا كان المخاطب مترددًا في الحكم بين المقصور عليه وغيره.

وهنا القصر قصر قلب كما ظهر من السياق بوضوح.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جـاء في قولـه تعـالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(النحل: ٦٤).

حيث وقع أسلوب القصر (بما – وإلا) في قوله: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾ وهو قصر موصوف على صفة، وهو قصر حقيقي ادعائي. حيث قصر القرآن الكريم على صفة التبيين لما اختلف فيه المشركون من الدين والأحكام فتقوم عليهم الحجة ببيان ذلك، فقصر القرآن على تلك الصفة بالرغم من أن له صفات وفوائد أخرى كثيرة لأن السياق يقتضي ذلك.

وفائدة هذا الأسلوب هو إدخال التسلية على الرسول ﷺ؛ لأن الله سبحانه وتعالى بين له أنه أنزل عليه القرآن الكريم ليبين للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والشرك والهدى والضلال، وليس عليه هدايتهم. كما أن في أسلوب القصر تمكينًا وتقريرًا لعلة إنزال القرآن الكريم.

يقول العلامة ابن عاشور: «والإتيان بصيغة القصر في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ ﴾ لقصد الإحاطة بالأهم من غاية القرآن وفائدته التي أنزل لأجلها، فهو قصر ادعائي ليرغب السامعون في تلقيه وتدبره من مؤمن وكافر كل بما يليق بحاله حتى يستووا في الاهتداء، ثم إن هذا القصر يُعرض بتنفيذ أقوال من حسبوا من المشركين أن القرآن أنزل لذكر القصص، لتعليل الأنفس في الأسماء ونحوها حتى قال مضلهم: أنا آتيكم بأحسن مما جاء به محمد آتيكم بقصة (رستم) و(إسفنديار)، فالقرآن أهم مقاصده هذه الفوائد الجامعة لأصول الخير، وهي كشف الجهالات والهدى إلى المعارف الحق، وحصول أثر ذينك الأمرين، وهو الرحمة الناشئة عن مجانبة الضلال، واتباع الهدى»[1].

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير: ١٤/١٩٥-١٩٦.

٢- القصـــــــر بإنمــــــــــا :

ومن ذلك قوله تعــالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران: ٢٠).

حيث وقع القصر في هذه الآية (بإنما) في قوله : (فإنما عليك البلاغ...).

فقصر على الرسول ﷺ تبليغ الرسالة، وليس عليه الهداية، وهو من قبيل قصر الموصـــوف على الصفة، قصرًا إضافــيـــــًا.

والسر في مجيء أسلوب القصر هو التأكيد على أن الرسول ﷺ قد بلغ الرسالة على أكمل وجه وأبلغه، كما أفاد أسلوب القصر تسليته ﷺ حيث كان يحرص على إيمان قومه، ويتـــألم لعـــدم استجابتهم. ومعلوم أن (إنما) تستخدم فيما لا ينكر ولا يشك فيه، فجاءت (إنما) هنا في موقعها بدقة تامة، لأنه لا يوجد أحد ينكر أن الرسول ﷺ إنما هو مبلغ فحَسب، وهداية المعونة والتوفيق تكـــون على رب العالمين.

وهذا القصر يندرج تحت قصر التعيين؛ لأن الله سبحانه لقن نبيه محمد ﷺ ما يرد به علـــى أهل الكتاب إذا جادلوه أو خاصموه ليحسم الأمر معهم، ومع غيرهم من المشركين، فقد بيَّن لهـــم الدلائل، فإن أسلموا فقد عرفوا طريق الهدى واتبعوه، وأن أعرضوا، فليس عليـــك إلا أن تـــبلغهم رسالة الله.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (الرعد : ٧).

حيث جاء أسلوب القصر في هذه الآية (بإنما) في قوله تعالى: (إنما أنت منذر) فقصر على الرسول ﷺ صفة الإنذار، وهو قصر موصوف على صفة قصرًا إضافيًا.

والتعبير بإنما هنا هو المناسب لأحوال المشركين الذين طلبوا آية حسية كبرى على صحة نبوته، فقصر سبحانه وتعالى – وظيفة النبي على الإنذار والتبليغ وليس عليه غير ذلك.

يقول الشوكاني : «وجاء في (إنما أنت منذر) بصيغة الحصر لبيان أنه ﷺ مرسل لإنذار العباد، وبيان ما يحذرون عاقبته، وليس عليه غير ذلك، وقد فعل ما هو عليه، وأنذر أبلغ إنذار، ولم يدع شيئاً مما يحصل به ذلك إلاَّ أتى به وأوضحه وكرره، فجزاه الله عن أمته خيرًا»(١). وهذا القصر يندرج تحت قصر القلب لأن الداعي منه هو الرد على المشركين، وقلب زعمهم الفاسد.

وهذا المعنى بعينه ورد بهذا الطريق أيضًا مع اختلاف الصياغة في أكثر من آية. في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (النمل: ٩٢).

---

(١) فتح القدير : ٩٠/٤، للشوكاني.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النور: ٥٤).

❖ ❖ ❖

كذلك ورد القصر (بإنما) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (التوبة: ٣٧).

حيث جاء أسلوب القصر (بإنما) في قوله تعالى: (إنما النسي زيادة في الكفر). فقصر الموصوف وهو (النسيء) على صفة (الزيادة في الكفر)، والمقصور عليه مع إنما هو المؤخر دائماً. فالنسيء التأخير، ويقصد به هنا ما كان يفعله أهل الجاهلية، إذْ يحلون أحد الأشهر الحرم، فيقاتلون فيه، ثم يتفقون على جعل أحد أشهر الحلِّ محرمًا مكانه ذلك العام، ليجعلوا عدة الشهور الحرم أربعة كما أمر الله، وهذا زيادة في الكفر، لأنه تحليل ما حرم الله، وتحريم ما حلله.. كفر آخر مضموم إلى كفرهم القديم، والسر في التعبير بالقصر ذم المشركين من تصرفهم بشرع – الله عز وجل – حسب أهوائهم، وتغييرهم أحكام الله، وذلك أن العرب كانوا أصحاب حروب وإغارات، وكانت الحرب محرمة عليهم في الأشهر الحرم، فيشق عليهم تركها فيجعلونها في شهر حرام، ويحرمون شهرًا آخر بدلاً منه.

يقول ابن عاشور: «وصيغة القصر في قوله : (إنما النسيء زيادة في الكفر) تقتضي أنه لا يعدو كونه من أثر الكفر لمحبة الاعتداء والغارات، فهو قصر حقيقي، ويلزم من كونه زيادة في الكفر

أن الذين وضعوه ليسوا إلا كافرين، وما هم بمصلحين، وما الذين تابعوهم إلا كافرون كذلك وما هم بمتقين»[١].

وعبر بأداة القصر (إنما)؛ لأنها اختصت من بين أدوات القصر أنها تفيد التعريض؛ لأن المقصود إبطال النسيء والتشنيع على فاعله، والتعريض بهم.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ١٠/١٩١.

٣- التقديم :

ومن طرق القصر أيضًا تقديم ما حقه التأخير، وله صور عديدة كتقديم الخبر على المبتدأ، أو تقديم الجار والمجرور، أو تقديم الظرف، أو تقديم الفاعل على فعله، أي الخبر الفعلي، والتقديم لا بد أن يكون مشيراً إلى هدف ومغزى، فيكون الجزء المقدم هو الأساس الذي يدور عليه التقديم.

ومما ورد من ذلك في آيات الهدى :

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٢).

حيث جاء القصر هنا بتقديم ما حقه التأخير، فقد قدم الجار والمجرور (عليك) على المسند إليه (هداهم)، وهو قصر موصوف على صفة، وهو من قبيل القصر الإضافي.

والمعنى : ليس عليك أن تهديهم بأكثر من الدعوة والإرشاد، إذ لا هادي لمن يضله الله عز وجل. يقول ابن عاشور: «وتقديم ظرف (عليك) على المسند إليه (هداهم) إذا أجري على ما تقرر في علم المعاني من أن تقديم المسند الذي حقه التأخير يفيد قصر المسند إليه على المسند»(١).

أي ليس عليك الهداية إنما عليك يا محمد البلاغ، لأن البلاغ، والإرشاد هو مهمة النبي ﷺ، أما هداية التوفيق فهي لله عز وجل.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ٣/٧٠.

ومما ورد من ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ (الرعد: ٣١).

فقد وقع القصرُ في هذه الآية بتقديم ما حقه التأخير، حيث قدم الخبر (لله) في قوله : (لله الأمر) على المبتدأ (الأمر)، وذلك لقصد القصر والاختصاص والمعنى لله الأمر، لا لغيره، وهو قصر حقيقي تحقيقي.

والسر في التعبير بالقصر هو الردُّ على مشركي قريش الذين طالبوا النبي محمداً ﷺ بمعجزة غير القرآن الكريم تثبت نبوة النبي ﷺ ، «فلو ثبت أن كتابًا يُقرأ، فتتحرك به الجبال من أماكنها، أو تتصدع به الأرض، أو تخاطب به الموتى، لكان ذلك هو القرآن»[(١)]؛ ولكنهم معاندون، ولله وحده الأمر كله في المعجزات وجزاء الجاحدين، وله في ذلك القدرة الكاملة.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب: ٤).

---

(١) التحرير والتنوير : ١٤٣/١٣.

جاء القصر هنا بتقديم اسم الجلالة (الله) على المسند الفعلي في قوله تعالى: (والله يقول الحق)، وتقديم الضمير (هو) العائد على لفظ الجلالة على المسند الفعلي في قوله : (وهو يهدي السبيل)، وهو قصر قلب، وهذا ما حكاه ابن عاشور فقال : «الإخبار عن اسم الجلالة وضميره بالمسنديين الفعليين إفادة قصر القلب أي : هو يقول الحق لا الذين وضعوا لكم تلك المزاعم، وهو يهدي السبيل لا الذين أضلوا الناس بالأوهام»[١].

والسر في التعبير بالقصر هو «التنبيه على بطلان مزاعم الجاهلية، فكما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، فكذلك لا يمكن أن تصبح الزوجة المُظَاهَرُ منها أمًا، ولا الولد المتبنَّى ابنًا، لأن الأم الحقيقية هي التي ولدته، والابن الحقيقي هو الذي وُلد من صلب الرجل، فكيف يجعلون الزوجات المظاهر منهن أمهات؟ وكيف يجعلون أبناء الآخرين أبناًء لهم، مع أنهم ليسوا من اصلابهم؟»[٢].

وقد ورد القصر في سياق الحديث عن بعض التشريعات الإلهية التي تنظِّم حياة الأسرة والمجتمع تنظيمًا دقيقًا، وأبطلت بعض تقاليد وعادات الجاهلية مثل (التبني، والظهار، وإدعاء قلبين لإنسان). فأفاد التأكيد على هذه المعاني.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ٢١/٢٦٠.

(٢) صفوة التفاسير : ٣/٩٤٣.

ومن ذلك أيضًا ما ورد في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣).

حيث جاء القصر عن طريق تقديم المسند إليه وهو اسم الجلالة (الله) على الخبر الفعلي لإفادة القصر في قوله تعالى: (الله يجتبي إليه من يشاء).

يقول ابن عاشور: «وتقديم المسند إليه وهو اسم الجلالة على الخبر الفعلي لإفادة القصر ردًّا على المشركين الذين أحالوا رسالة بشر من عند الله، وحين أكبروا أن يكون الضعفة من المؤمنين خيرًا منهم»[(١)]، وهو قصر قلب؛ لأنه قلب معتقدهم وما يزعمونه، وقصر القلب من قبيل القصر الإضافي، وهو اعتقاد المخاطب عكس الحكم الذي أُثبت بالقصر.

والسر في التقديم بيان كمال قدرة الله عز وجل، ونفاذ مشيئته، أي أن الله بإرادته وحكمته يصطفي ويختار لرسالته من يشاء من عباده، ويهدي إلى الحق من ينيب إليه، وليس ذلك لأحد من خلقه. كما أفاد أسلوب القصر تسلية الرسول ﷺ بأن من قومه من سيجيبيه.

يقول ابن كثير : «هو الذي يقدر الهداية لمن يستحقها، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد»[(٢)].

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ٢٥/٥٥.
(٢) تفسير ابن كثير : ٧/١٩٥.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الزخرف: ٤٠).

ورد القصر هنا بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله : (أفأنت تسمع) والمعنى: ليس عليك إلا البلاغ، وليس عليك هداية المشركين؛ لأنهم كالصم والعمي .

يقول ابن عاشور: «ولما كان حال الرسول ﷺ في معاودة دعوتهم كحال من يظن أنه قادر على إيصال التذكير إلى قلوبهم نزل منزلة من يظن ذلك ، فخوطب باستفهام الإنكار، وسلط الاستفهام على كلام فيه طريق قصر بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي مع إيلاء الضمير حرف الإنكار، وهو قصر مؤكد، وقصر قلب، أي أنت لا تسمعهم، ولا تهديهم بل الله يسمعهم ويهديهم إن شاء»[(١)].

فالسر في التعبير بالقصر التأكيد على أن الهداية بيد الله تعالى. وهو تسلية للرسول ﷺ ونهيه أن يضيق صدره بسبب إعراضهم المستمر؛ لأنه كان يجد ويجتهد في دعاء قومه، وهم لا يزيدون إلا تصميمًا على الكفر، وتماديًا في الغي.

❖ ❖ ❖

---

(١) التحرير والتنوير : ٢١٦/٢٥.

٤-القصر بضمير الفصـــــــل :

وقد جاء من ذلك قولــه تعــالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام: ٧١).

حيث جاء أسلوب القصر في هذه الآية بتعريف الطرفين، وضمير الفصل في قوله: (قــل إن هدى الله هو الهدى). وهو قصر قلب؛ لأن المشركين قالوا للنبي ﷺ اعبد آلهتنا زمنا، ونعبد إلهــك زمنًا، وكانوا يزعمون أن دينهم هدى.

«فاجتمع في الآية أربعة مؤكدات، لأن القصر بمنــزلة مؤكدين إذ ليس القصر إلا تأكيــدًا على تأكيد، وضمير الفصل تأكيد، و(إن) تأكيد. فكانت مقتضى حــال المشــركين المنكــرين أن الإسلام هدى»[١].

والسر في كل هذه التأكيدات هو إقامة الحجة، وتوبيخ للمشركين الذين عبدوا الأصــنام، والإنكار عليهم أن يطلبوا من الرسول الكريم الرجوع عن دينه بعد أن هداه الله إليه، فلا هداية إلا هداية الله عز وجل.

❖ ❖ ❖

ومن القصر بضمير الفصل ما جاء في قوله تعــالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام: ١١٧).

---

(١) تفسير أبي السعود: ١٥٠/٣، وانظر روح المعاني: ٢٥٧/٧، والتحرير والتنوير : ٣٠٣/٧.

وقع القصر في هذه الآية بضمير الفصل في قوله : (هو أعلم)، فقصر المسند على المسند إليه.

فالعلم بالضالين والمهتدين مقصور على الله تعالى لا يشاركه فيه غيره، وقد أفاد القصر هنا التأكيد على ذلك، وهو قصر إضافي من قبيل قصر الصفة على الموصوف.

وتدل هذه الآية الكريمة على أن «الله لا يعزب عن علمه أحد من الضالين، ولا أحد من المهتدين، وأن غير الله قد يعلم بعض المهتدين وبعض المضلين، ويفوته علم كثير من الفريقين، وتخفى عليه دخيلة بعض الفريقين»[(١)].

والسر في التعبير بالقصر هو إثبات صفة العلم الكامل بأمر الضالين والمهتدين لله عز وجل، لا يشاركه فيها أحد؛ لأن المشركين أثبتوها لآلهتهم.

يقول ابن عاشور ووجه هذا القصر : «أن الناس لا يشكون في أن علمهم بالضالين والمهتدين علم قاصر، لأن كل أحد إذا علم بعض أحوال الناس تخفى عليهم أحوال كثير من الناس، وكلهم يعلم قصور علمه، ويتحقق أن ثمة من هو أعلم من العالم منهم؛ لكن المشركين يحسبون أن الأعلمية وصف لله تعالى ولآلهتهم، فنفى بالقصر أن يكون أحد يشارك الله في وصف الأعلمية المطلقة»[(٢)].

وهذا القصر يندرج تحت قصر التعيين؛ لأن المخاطبين وهم المشركون يزعمون أن العلم ينطبق على المولى عز وجل، والآلهة، فنفى علم الآلهة وتعين أن يكون للمولى عز وجل.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٩/٨، وانظر نظم الدرر : ٧١١/٢.

(٢) التحرير والتنوير : ٢٩/٨.

كما ورد هذا الأسلوب بعينه ولكن السياق مختلف في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ (النجم: ٣٠).

جاء أسلوب القصر بضمير الفصل في قوله: (هو أعلم)؛ لتأكيد هذا العلم.

وهو قصر حقيقي تحقيقي، وهو من قبيل قصر الصفة على الموصوف.

فقصر العلم بحال المضلين والمهتدين على الله وحده؛ لأن النبي ﷺ كان يحتمل أذى المشركين رجاء أن يؤمنوا، فلما لم يؤمنوا فكأنه قال: تحملي لإيذائهم وقع هباءً. أي: أنت لا تعلم دخائلهم فلا تتحسر عليهم.

والسر في التعبير بالقصر هو تسلية الرسول ﷺ إذ كان حريصًا على إيمان قومه، وفي ذلك وعد للمؤمنين، ووعيد وتوبيخ للمشركين لتسميتهم الملائكة بنات الله، وإعراضهم عن القرآن الكريم، وتكالبهم على الحياة الدنيا. وقدم سبحانه (من ضل) على (من اهتدى)، لأن الحديث السابق واللاحق معظمه في المشركين الذين عبدوا من دون الله أصنامًا لا تنفع ولا تضر.

لكن لماذا قال المولى عز وجل في الأنعام (هو أعلم من يضل) بالمضارع، وهنا قال (هو أعلم بمن ضل)؟ ولماذا قال في الأنعام (أعلم بالمهتدين) باسم الفاعل، وفي النجم أتى بالفعل الماضي الخماسي (بمن اهتدى).

أجاب الكرماني عن السر في ذلك بقوله: «﴿ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ ﴾ (الأنعام:١١٧)، وفي (ن والقلم): ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (القلم:٧)، بزيادة الباء ولفظ الماضي، لأن إثبات الباء هو الأصل كما في (ن والقلم) وغيرها من السور، لأن المعنى لا يعمل في المفعول به، فنوى الباء، وحيث

حذفت أضمر فعل يعمل فيما بعده. وخصت هذه السورة بالحذف موافقة لقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾(الأنعام: ١٢٤).

وعدل هنا إلى لفظ المستقبل؛ لأن الباء لما حذفت التبس اللفظ بالإضافة تعالى الله عن ذلك، فنبه بلفظ المستقبل على قطع الإضافة، لأن أكثر ما يستعمل لفظ (أفعل) من يستعمله مع الماضي، نحو: أعلم من دب ودرج، وأحسن من قام وقعد، وأفضل من حج واعتمر، فتنبه فإنه (من) أسرار القرآن؛ لأنه لو قال : أعلم من ضل بدون الباء مع الماضي لكان المعنى: أعلم الضالين»[١].

كما أنه عبر باسم الفاعل المهتدين للإشارة إلى أن الهداية صفة سابقة ثابتة لهم في أنفسهم.

وعبر في سورة النجم بالفعل الخماسي (اهتدى) إيماء إلى أن للرسول ﷺ هاديًا يرشده ويدله على الصراط السوي.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (سبأ: ٦).

جاء أسلوب القصر بضمير الفصل في قوله : (هو الحق)، وهو قصر إضافي من قبيل قصر الموصوف على الصفة، فقصر القرآن على أنه حق، والمعنى: «ليس الحق إلا ذلك»[٢].

---

(١) أسرار التكرار في القرآن: ٧٤، للكرماني.

(٢) تفسير الرازي : ٣٩٨/١٢.

وضمير (هو) «فصل يفيد حصر الحق في القرآن حصرًا إضافيًّا، أي مالا يقوله المشركون مما يعرضون به القرآن، ويجوز أن يفيد قصرًا حقيقيًّا إدعائيًّا أي قصر الحقية المحض عليه؛ لأن غيره من الكتب خلط حقها باطلها»(١).

فقد أفاد ضمير الفصل علاوة على القصر، تفخيم شأن القرآن الكريم الذي يراه الذين أوتوا العلم (وهم مؤمنوا أهل الكتاب، وقيل هم أصحاب محمد ﷺ، وقيل جميع المسلمين، وهو الأصح لعمومه)(٢) أنه الحق الذي لا مرية فيه، وأنه الهادي وحده إلى صراط العزيز الحميد.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ١٤٥/٢٢.

(٢) تفسير القرطبي : ٢٦١/١٤.

٥- القصر بتعريف الطرفين :

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٩٧).

فقد وقع القصر في هذه الآية بتعريف الطرفين المسند إليه (هو)، والمسند (الذي) في قوله: (وهو الذي) وهو قصر حقيقي تحقيقي، وهو قصر موصوف على صفة . يقول ابن عاشور: «فلذلك صيغ القصر بطريق تعريف المسند والمسند إليه؛ لأن كون خلق النجوم من الله، وكونها مما يهتدى بها لا ينكره المخاطبون، ولكنهم لم يجروا على ما يقتضيه من إفراده بالعبادة»[١].

والسر في التعبير بالقصر هو الاستدلال على وحدانيته سبحانه وتعالى، وقدرته المطلقة الباهرة حيث أشار السياق السابق إلى أنه فالق الحب والنوى، والإحياء، والإماتة والتقدير والتدبير لحركة الكواكب والنجوم، وتقلب الليل والنهار.

وعبر بالضمير، ولم يقل (الله الذي) لأنه تقدم ذكره في الآيات السابقة التي تتحدث عن قدرة الله الباهرة في الكون، وعبر باسم الموصول الذي للإشارة إلى أن ما بعدها وهو الصلة أمر ثابت مستقر لا يشك فيه، ولا يجرؤ أحد أن يدعيه.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣).

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٩٣/٧.

ورد القصر هنا عن طريق تعريف الطرفين في قوله: (هو الذي أرسل).

وهو من قبيل قصر الموصوف على الصفة، قصر حقيقي تحقيقي. أي هو لا غيره أرسل رسوله بهذا النور، فكيف يترك معانديه يطفئونه.

والسر في التعبير بالقصر تأكيد الله سبحانه وعده بإتمام نوره. وتبين كيفية هذا النور الذي تكفل الله بإتمامه وحفظه، فهذه الآية بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(التوبة: ٣٢).

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر: ١٨).

حيث جاء أسلوب القصر في هذه الآية بتعريف الطرفين في قوله: (أولئك الذين هداهم الله)، فقصر الهداية على المؤمنين الذين أرشدهم الله لدينه، وهم أصحاب العقول السليمة.

«وهو قصر صفة على موصوف، قصر إضافي، قصر تعيين أي دون الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم»[١]. وفي قوله : (وأولئك هم أولوا الألباب) قصر آخر بتعريف الطرفين السابق.

والسر في مجيء القصر بهذا الطريق هو الإشارة لتميز المشار إليهم وهم (المؤمنون) أكمل تمييز؛ لأجل ما اتصفوا به من الصفات المذكورة قبل اسم الإشارة، وهي اجتنابهم عبادة الأصنام مع الإنابة لله تعالى، واستماعهم كلام الله عز وجل، كما أفاد أسلوب القصر استدعاء الذهن لتلقي هذا

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٦٦/٢٣.

الخبر، وأكد هذا الاستدعاء بجعل المسند إليه اسم إشارة. كما أشير إلى رسوخ هـذه الصـفات في عقولهم «بذكر ضمير الفصل مع كلمة (أولوا) الدالة على أن الموصوف بها ممسك بما أضيفت إليـه كلمة أولوا، وبما دل عليه تعريف الألباب من معنى الكمال، فليس التعريف فيه تعريف الجنس؛ لأن جنس الألباب ثابت لجميع العقلاء، وأشار إعادة اسم الإشارة إلى تميزهم بهذه الخصـلة مـن بـين نظرائهم وأهل عصرهم. وفيه تنبيه على أن حصول الهداية لا بد له من فاعل وقابـل، فأشـير إلى الفاعل بقوله تعالى: هداهم الله، وإلى القابل بقوله: هم أولوا الألباب، وفي هذه الجملة من القصر ما في قوله : أولئك الذين هداهم الله»(١).

❖ ❖ ❖

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٦٧/٢٣.

ثانيًا: الآيات التي اجتمع فيها أكثر من طريق للقصر :

وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنعام: ٩٠).

وقع القصر في هذه الآية بثلاثة طرق :

الأول : تعريف الطرفين في قوله : (أولئك الذين هدى الله).

الثاني: التقديم في قوله : (فبهداهم اقتده).

الثالث: بالنفي والاستثناء في قوله : (إن هو إلا ذكرى للعالمين).

ففي تعريف الطرفين المسند والمسند إليه في قوله : (أولئك الذين هدى الله) قصر جنس الذين هداهم الله على المذكورين تفصيلاً وإجمالاً؛ لأن المهتدين من البشر لا يعدو أن يكونوا أولئك المُسَمَّيْنَ، ومن آبائهم وذرياتهم، وإخوانهم فإن من آبائهم آدم وهو الأب الجامع للبشر كلهم، فأريد بالهدى هدى البشر، أي الصرف عن الضلالة، فالقصر حقيقي»[١]. والمقصود بأولئك الذين هدى الله : الأنبياء الذين سبقوا محمد ﷺ .

كما دل قوله : (هدى الله) دليل على أنهم مخصوصون بالهدى؛ لأنه لو هدى جميع المكلفين لم يكن لقوله : (أولئك الذين هدى الله) فائدة تخصيص[٢].

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٥٥/٧.

(٢) انظر التفسير الكبير : ٥٧/١٣، بتصرف يسير.

أما طريق القصر الثاني في الآية فكان التقديم في قوله: (فبهداهم اقتـــده)، وتقـــديم الجـــار والمجرور على الفعل يفيد تخصيص هداهم بالاقتداء*(١).

والسر في التعبير بالقصر هو «الاعتناء بذكر حظ محمد ﷺ من هدى الله بعد أن قدم قبلـــه ذكر الأنبياء، وهديهم إشارة إلى علو منـــزلة محمد ﷺ وأنها منـــزلة جديرة بالتخصـــيص بالـــذكر حيث لم يذكر مع الأنبياء المتقدمين؛ وأنه جمع هدى الأولين وأكملت له الفضائل، وجمع له ما تفرق من الخصائص والمزايا العظيمة؛ فلا يليق به الاقتداء بِهُدى هو دون هُداهم»(٢).

أما طريق القصر الثالث في الآية فهو النفي والاستثناء في قوله : (إن هو إلا ذكر للعالمين).

حيث وقع القصر (إن – وإلا) وهو قصر موصوف على صفة حيث قصر القرآن الكـــريم على صفة الذكرى والموعظة والتذكير للخلق كافة الموجودين عند نزوله، ومن سيوجد مـــن بعـــد، وهو من قبيل القصر الإضافي.

والسر في التعبير بالقصر هو التأكيد على عموم دعوة النبي ﷺ لجميـــع الخلـــق، و«جعـــل الدعوة ذكرى للعالمين؛ لأن دعوته ﷺ عامة لسائر الناس، وقد أشعر هذا بأن انتفاء سؤال الأجـــر عليه لسببين:

أحدهما: أنه ذكرى لهم ونصح لنفعهم، فليس محتاجًا لجزاء منهم.

---

(١) فتح القدير: ٤٤٢/٢. *«والاقتداء طلب موافقة الغير في فعله، وقيل المعنى: اصبر كما صبروا، وقيل اقتد بهم في التوحيد، وإن كانت الشرائع مختلفة، وفيه دلالة على أنه ﷺ مأمور بالاقتداء بمن قبله من الأنبياء، فيما لم يرد عليه فيه نص».

(٢) التحرير والتنوير : ٣٥٥/٧.

ثانيهما: أنه ذكرى لغيرهم من الناس وليس خاصًّا بهم»[(١)]. وقد افتتح كلامه بما يدل على أهمية ما يقول فقال : (قل لا أسئلكم عليه أجرًا).

وقد لاحظت في هذه الآية كثرة لأساليب القصر، ولكن بطرق مختلفة فما هو السر في ذلك؟

أقول – والله أعلم – السر هو تقرير ما وهبه الله تعالى لمن شاء من عباده من هدايات وكمالات لا يقدر على عطائها إلا هو، وهؤلاء الأنبياء الثمانية عشر الذين وردت أسماؤهم في الآيات السابقة، والذين آتاهم الكتاب والحكم والنبوة هم الذين هداهم الله هداية كاملة، فاهتد بهداهم. وأخبر قومك إنك لا تسألهم أجرًا على إبلاغ رسالة ربك، فهذا القرآن ما هو إلا ذكرى للعالمين الذين يتذكرون.

كما أن التعبير بالقصر يفيد الإيجاز، وتقرير الكلام السابق، وتمكينه في الذهن لدفع ما فيه من إنكار وشك.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

احتوت هذه الآية على أسلوبي قصر .

(١) التحرير والتنوير : ٣٦١/٧.

الأول : التقديم:

في قوله : ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ .

جاء أسلوب القصر هنا بتقديم ما حقه التأخير، فقدم المجرور (له) على المبتدأ (ملك) وهو قصر موصوف على صفة، وهو من قبيل «القصر الإضافي للرد على المشركين»[١].

والمعنى: إن ملك السماوات والأرض له سبحانه لا لغيره مما يعبده المشركون.

والسر في التعبير بالقصر هو التقرير القاطع أنه لا يوجد إلا إله واحد وهو الله سبحانه وتعالى، وفي هذا ثناء ومدح للمولى عز وجل بأنه هو المتصرف في العالم كله؛ لأنه لو وجد إله آخر لحصل التعارض، وفسد العالم كله. وفي هذا إثبات أن للعالم إلهًا عالماً قادرًا.

الثاني : النفي والاستثناء:

في قوله : ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ .

جاء أسلوب القصر بـ (لا – وإلا)، وهو قصر حقيقي تحقيقي. لتحقيق صفة الوحدانية لله عز وجل.

والسر في التعبير بالقصر هو التأكيد على ألوهيته عز وجل، وأنه لا يشابهه أحد. وأنه القادر على إحياء خلقه وإماتتهم، ومن كان كذلك فهو القادر على إرسال الرسل إلى خلقه، وفي هذا إثبات أن إله العالم واحد منزه عن الشريك والضد والنّد.

وعلى كلا طريقي القصر سواء التقديم أو النفي والاستثناء كان المراد تحذير الناس جميعًا الذين جحدوا نبوءة محمد ﷺ، وزعموا أنه لا رسول بعد موسى، واستكبروا دعوة محمد، واعتقدوا

(١) التحرير والتنوير : ٩/١٤٠.

أن موسى لا يشبهه رسول، فذكروا بأن الله مالك السماوات والأرض بيده الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء، وبأن الله تعالى لا يشابهه أحد في ألوهيته.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعـــالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٨).

حيث حوت هذه الآية أسلوبين من أساليب القصر.

الأول: بتعريف جزأي الجملة.

الثاني: الفصل باسم الاشارة.

ففي الأول جاء القصر بتعريف جزأي الجملة في قوله: (فهو المهتدي)، «وهو قصر حقيقـــي ادعائي باعتبار الكمال، واستمرار الاهتداء إلى وفاة صاحبه»[١].

فقصر الاهتداء على من هداه الله تعالى، والمعنى : «من يهد الله أي يخلق فيه الاهتداء علـــى الوجه المذكور فهو المهتدي لا غير كائنًا من كان»[٢].

والسر في التعبير بالقصر إفادة هذا الأسلوب تعظيم شأن الاهتداء من قبل الله عز وجـــل، وأنها هداية ربانية.

والأسلوب الثاني هو الفصل باسم الإشارة في قوله ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾.

(١) التحرير والتنوير :١٨١/٩.
(٢) تفسير أبي السعود : ٦٩/٣.

فطريق القصر هو الفصل باسم الإشارة، يقول ابن عاشور: «وزيد في جانب الخاسرين الفصل باسم الإشارة (أولئك) لزيادة الاهتمام بتمييزهم بعنوان الخسران تحذيرًا منه، فالقصر فيه مؤكد»[١].

والسر في التعبير بالقصر هو التأكيد على أن الهداية بيد الله تعالى، ومن أعرض عن الله تعالى أعرض الله عنه.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة: ١٨).

في هذه الآية أسلوبا قصر أولها (بإنما) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾.

حيث قصر تحقق عمارة المساجد على المؤمنين الجامعين للكمالات العلمية والعملية، ومن عمارتها: تزينها بالفرش، وتنويرها بالسرج، وإدامة العبادة والذكر، ودروس العلم فيها، وصيانتها، فهو قصر موصوف على صفة قصرًا إضافيًا.

---

(١) التحرير والتنوير : ٩/٨١.

ويغلب على (إنما) هنا أنها بمثابة الجواب عن سؤال يقتضيه السياق قبلها صريحًا لإن إقصاء المشركين عن العبادة آثار سؤالاً في نفوس السامعين من هم الأحقاء بأن يعمروا المساجد، فكانت هذه الجملة مفيدة جواب هذا السائل.

وأرى أيضاً أن السر في التعبير بالقصر هو التعريض بالمشركين، واليهود والنصارى، وفي التعبير (بإنما) «وسيلة مؤدبة للتأثير، والوصول إلى الغرض المقصود من غير أن تذكر الطرف الآخر»[(١)].

يقول ابن عاشور : «ومجيء صيغة القصر فيها مؤذن بأن المقصود إقصاء فرق أخرى من أن يعمروا مساجد الله، غير المشركين الذين كان إقصاؤهم بالصريح، فتعين أن يكون المراد من الموصول، وصلته خصوص المسلمين؛ لأن مجموع الصفات المذكورة في الصلة لا تثبت لغيرهم، فاليهود والنصارى آمنوا بالله واليوم الآخر لكنهم لم يقيموا الصلاة ولم يؤتوا الزكاة؛ لأن المقصود بالصلاة والزكاة المعهودتان بهذين الاسمين والمفروضتان في الإسلام»[(٢)].

❖ ❖ ❖

وطريق القصر الثاني هو: النفي والاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ حيث قصر خشية المؤمن على الله وحده، وهو من قصر الصفة على الموصوف قصرًا إضافيًّا.

يقول ابن عاشور: «وقصر خشيتهم على التعلق بجانب الله تعالى بصيغة القصر ليس المراد منه أنهم لا يخافون شيئًا غير الله، فإنهم قد يخافون الأسد ويخافون العدو، ولكن معناه إذا تردد الحال

---

(١) من بلاغة القرآن : ١٢٤.

(٢) التحرير والتنوير : ١٤١/١٠، وانظر تفسير أبي السعود: ٥١/٣، وانظر روح المعاني: ١٣٦/١٠.

بين خشيتهم الله وخشيتهم غيره قدموا خشية الله على خشية غيره كقوله آنفًا أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه (التوبة: ١٣) فالقصر إضافي باعتبار تعارض خشيتين»[(١)].

والسر في التعبير بالقصر هو الإيماء إلى وجوب انحصار الخوف والخشية على الله تعالى، وفي هذا تعظيم للمولى عز وجل.

وهكذا استبان من تحليل أسلوبي القصر في هذه الآية أن القصر بطريق (النفي والاستثناء) لا يشبه القصر (بإنما)، وأن لكل طريق دلالة مغايرة، وإلا لما كان القرآن الكريم، وهو كلام الله المنزل يعبر بأسلوبين مختلفين في نفس الآية، وذلك لأن طريق النفي والاستثناء يستعمل في أمور يجهلها المخاطب، وتكون مجالًا للشك والإنكار، ويحتاج فيها إلى تأكيد، (وإنما) أسلوب تقرير وإثبات، وتستعمل في مقام يعلمه المخاطب، ولا يجهله، وفي مقام التعريض، وهو أحسن مواقع إنما، والذكر الحكيم يضع كل طريق في موضعه الأحق به.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ (المدثر: ٣١).

هذه الآية اشتملت على أربعة أساليب قصر كلها جاءت بطريق (النفي والاستثناء) .

---

(١) التحرير والتنوير : ١٤٢/١٠.

أولها في قوله: ﴿وَمَاجَعَلْنَآأَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّامَلَٰٓئِكَةً﴾. وقع القصر (بما – وإلا)، وهو قصر قلب؛ لرد اعتقاد أبي جهل*(١)، والمراد بأصحاب النار خزنتها، أي ما جعلنا خزنة النار من نوع إلا من نوع الملائكة، وجعلهم الله ملائكة لوجوه:

«أحدها: ليكونوا بخلاف جنس المعذبين؛ لأن الجنسية مظنة الرأفة والرحمة، ولذلك بعث الرسول المبعوث إلينا من جنسنا ليكون رأفة ورحمة بنا.

وثانيها: أنهم أبعد الخلق عن معصية الله تعالى، وأقواهم على الطاعات الشاقة.

وثالثها: أن قوتهم أعظم من قوة الجن والإنس»(٢).

فجاءت «صيغة القصر تفيد قلب اعتقاد أبي جهل وغيره ما توهموه، أو تظاهروا بتوهمه أن المراد تسعة عشر، فطمع أن يخلص منهم هو وأصحابه بالقوة»(٣). وهو قصر موصوف على صفة.

والسر في التعبير بأسلوب القصر هو الرد على المشركين، وخاصة أبو الأشد بن أسيد الجمحي الذي قال لما سمع قول الله تعالى: ﴿وَمَآأَدْرَىٰكَ مَاسَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَاتُبْقِى وَلَاتَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (المدثر: ٢٧–٣٠)، قال لقريش ساخرًا مستهزئاً أنا أكفيكم سبعة عشر، وأكفوني أنتم اثنين، فلذلك جاء أسلوب القصر بالنفي للرد على المشركين، والتأكيد على أن خزنة النار لم يكونوا بشرًا ولا جنّا حتى لا يرحموا بني جنسهم، فلذا جعلهم ملائكة.

---

(١) واعتقاد أبو جهل هو أنه لما سمع قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال لقريش: ثكلتكم أمهاتكم إن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدَّهْمُ، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فقال تعال: ﴿وَمَاجَعَلْنَآأَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّامَلَٰٓئِكَةً﴾ تفسير الطبري : ٢٩/٢٤.

(٢) التفسير الكبير : ٧٠٩/٣٠.

(٣) التحرير والتنوير : ٣١٤/٢٩.

وثاني أساليب القصر في هذه الآية : القصر (بما – وإلا) في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ .

جاء القصر (بما – وإلا) ، وهو قصر (موصوف) وهو كون عدد خزنة جهنم تسعة عشر على (الصفة) وهي كون هذا العدد فتنة، واختبار للذين كفروا، وقد زادهم هذا الامتحان جحودًا وضلالًا. وهذا العدد إنما صار سببًا لفتنة الكفار من وجهين:

«الأول: أن الكفار يستهزئون، ويقولون لم لم يكونوا عشرين، وما المقتضى لتخصيص هذا العدد بالوجود؟

الثاني : أن الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب أكثر خلق العالم من الجن والإنس من أول ما خلق الله إلى يوم القيامة؟ وأما أهل الإيمان فلا يلتفتون إلى هذين السؤالين»[١].

وهذا من قصر القلب لأن «الاستثناء المفرغ وقع قصر قلب للرد على الذين كفروا إذْ اعتقدوا أن عدهم أمر هين، أي ما جعلنا ذكر عدهم لعلة، وغرض إلا لغرض فتنة الذين كفروا»[٢].

والسر في التعبير بالقصر هو انتزاع الاستهزاء من أعماق المشركين الذين يستهزئون بعدد خزنة جهنم، واستخدم القرآن الكريم (ما – وإلا)؛ لأنها تستخدم في مجال الشك والإنكار، والرد على المنكرين المستهزئين كما هنا.

(١) التفسير الكبير : ٧١٠/٣٠.
(٢) التحرير والتنوير : ٣١٥/٢٩.

وثالث أساليب القصر في الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

وقع القصر هنا أيضًا (بما – وإلا)، فقصر صفة العلم بجميع المخلوقات التي من جملتها الملائكة المذكورين هنا على الموصوف، وهو الله سبحانه وتعالى، فهو قصر حقيقي تحقيقي.

يقول العلامة أبو السعود : «إذْ لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات، والوقوف على حقائقها وصفاتها، ولو إجمالاً فضلاً عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة»(١).

وقد جاء القصر بهذا الأسلوب؛ لأنه من أقوى أساليب القصر، والكلام يلقى فيه إلى المنكر، لذا وجب الإتيان به مؤكدًا في أقوى صورة وأتمها، للدلالة على علم الله وإحاطته بكل شيء.

ويقول الإمام ابن كثير : «أي ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى، لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط، كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة ومن الفلاسفة اليونانيين»(٢).

ورابع أساليب القصر في الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ .

حيث وقع القصر (بما – وإلا) ، فقصر الموصوف وهي «سقر» أي النار على صفة الذكرى والموعظة للبشر.

وأفاد التعبير بالقصر أن من يتذكر حر النار وسعيرها، وشدة عذابها من شأنه أن يخلص العبادة لله وحده، وأن يقدم في دنياه العمل الصالح الذي ينفعه في آخرته، واستخدم (النفي والاستثناء) لأن الآية واردة في سياق المنكرين، وهم كفار قريش.

❖ ❖ ❖

(١) تفسير أبي السعود: ٦/٤٠٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٨/٢٧٠، لابن كثير.

وهكذا وجدنا أسلوب القصر في آيات الهدى«أضفى عليها حسنًا، وجمالاً لما له من الدلالة الدقيقة، والمعاني الفريدة بالإضافة إلى أنه لون من ألوان الإيجاز»[١]. كما تبين من خلال دراسة القصر في آيات الهدى أن القصر عبر عن المعاني بدقة بينة، وإيجاز واضح وتوكيد وتقرير للمراد.

وقد ورد القصر في آيات الهدى على طرق عديدة منها: (النفي والاستثناء – وإنما، وتقديم ما حقه التأخير، وتعريف الطرفين، وضمير الفصل)، وكل واحدة منها لها موضع معين، وأحوال تختلف عن غيرها كما ذكرت في الجانب التطبيقي.

كما ظهر أن آيات الهدى حوت أكثر من طريق من طرق القصر، وذلك لزيادة التأكيد، وكشف المعاني وتحديدها تحديدًا كاملاً.

❖ ❖ ❖

(١) من بلاغة النظم العربي : ٩/٢.

الفصل الثاني

المبحث الثامن : الوصل والفصل في آيات الهدى

الخصائص البلاغية للوصل والفصل في آيات الهدى:

هذا الباب من أهم أبواب البلاغة، وأدقها، بل قد جعله بعضهم البلاغة بعينها لأن من يكون بارعًا في باب الفصل والوصل لا بد أن يكون بارعًا في سائر أبواب البلاغة.

يقول الإمام عبدالقاهر الجرجاني في هذا الباب : «اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتّى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص، وإلا قومُ طبعوا على البلاغة، وأتوا فنًّا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدًا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفة الفصل من الوصل؛ ذلك لغموضه، ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة»(١).

ويقول فيه السكاكي : « وبلغ من الغموض إلى حيث قَصَرَ بعضُ أئمة علم المعاني البلاغة على معرفة الفصل والوصل، وما قصرها عليه إلا لأن الأمر كذلك، وإنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموض هذا الفن، وأن أحدًا لا يتجاوز هذه العقبة من البلاغة، إلا إذا كان خَلَّفَ سائر عقباها خَلْفَه»(٢).

---

(١) دلائل الإعجاز : ١٧٠-١٧١، لعبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: الدكتور ياسين الأيوبي.

(٢) مفتاح العلوم: ٢٥١ للسكاكي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.

والقرآن الكريم الذي خاطب العرب بأساليب القول المتنوعة لديهم كان يفصل بين المعاني ويربطها بروابط دقيقة، وكان يلون العبارة مزاوجًا بين فصل ووصل ثقة منه بفهم المخاطب، أو مراعاة منه لمقتضى الحال.

وهو في كل هذا يرمي إلى إبراز جمال المعنى لتحقيق كمال الفائدة، فحين يصف القرآن المشركين، أو يصور الثواب والعقاب، أو الهدى أو الضلال، أو يتحدث عن الرسول ﷺ ، أو غيرها من المعاني التي ترد في آيات الهدى يتخذ الوسائل المختلفة من فصل ووصل، والتي تبرز كل طاقاتها من إثارة الخيال والعواطف.

فالوصل والفصل وسيلة من وسائل إبراز الجمال مع غيره من الأساليب، فقد يفصل القرآن بين معنيين، ويربط بينهما متخذًا الإيضاح وسيلة لإبراز جمال المعنى، فيعرضه واضحًا جليًّا أمام المخاطب ليتدبره، أو يتخذ الإيجاز وسيلة في عرضه كيلا يتشتت الذهن في استيعاب المعنى، أو يحاول تثبيته وتقريره لأهميته، أو يعرضه في نسق ملفت مثير.

فالمرتقى إلى هذا الفن عسير، فهو المحك في البلاغة، وقد تجلى هذا الفن في القرآن الكريم على وجه الإعجاز، وقد اجتهد في بيان أسراره المجتهدون، ولي وقفات حول الفصل والوصل في آيات الهدى.

أدعو المولى القدير أن يلهمني الحق والصواب في طرحها.

❖ ❖ ❖

ومعلوم أن الوصل هو عطف بعض الكلام على بعض، والفصل تركه.

والوصل بين الجمل يكون في ثلاثة مواضع :

١- «أن تكون الجملة الأولى لها موقع من الإعراب، وأريد إعطاء الثانية هذا الحكم الإعـــرابي، وكان هناك مناسبة، ولا مانع من الوصل، وهذا النوع لم يتوقف عنده البلاغيون كثيرًا.

٢- أن تتفق الجملتان خبرًا، أو إنشاًء – لفظًا ومعنى، أو معنى فقط – مع وجود المناسبة بينـــها، وليس هناك مانع من الوصل، وهذا يقع بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب، وهـــو أدق أنـــواع الوصل، وللبلاغيين في هذا وقفات طويلة.

٣- أن يكون بين الجملتين كمال الإنقطاع*(١) مع إيهام الفصل خلاف المقصود»(٢).

❖ ❖ ❖

(١) لم أجد له شاهد في آيات الهدى، بل في القرآن الكريم كله، كما أنه ليس له شاهد من فصيح الشعر أو النثر، وإنما يستشهد بقصة أبي بكر مع بائع الثياب.

(٢) انظر بغية الإيضاح : ٧٤/٥٦/٢ بتصرف.

أولاً : الوصل بالواو :

فمن الموضع الأول في آيات الهدى:

الوصل للإشراك في الحكم الإعرابي :

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الحج: ٤).

حيث وقع الوصل في هذه الآية (بالواو) في قوله : (ويهديه)؛ حيث عطفت الواو جملة (ويهديه) على جملة (يضله) الواقعة خبرًا (لأنَّ)، فاكتسبت حكمها الإعرابي، ومن ثم فقد اتفقتا في الخبرية لفظًا ومعنى، وأخبرتا عن مصير هذا المجادل المتبع للشيطان، وأسندت الأفعال فيها إلى الشيطان، فهو الفاعل لذلك، والمفعول فيهما واقعَ على المجادل، وجعل ضلال الشيطان للمجادل سببًا لهدايته إلى النار. فكان العطف عطفًا للمسبب على السبب، وأتى بالفعلين على صفة المضارعة الدالة على التجدد الاستمراري، وأن هذا دأب الشيطان مع هذا وأمثاله، واتفاق الجملتين في المضارعية من مظاهر حسن الوصل بينهما.

وبلاغة الوصل تتمثل في تأكيد وتقرير أن المجادل بالباطل المتبع للشيطان لا تثمر ولايته له إلا لطريق الضلال والنار، وهذا تهكم واضح به لا شك .

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه:١٢٣).

حيث عطف جملة (ولا يشقى) على جملة (فلا يضل)، وقد اتفقتا في الحكم الإعرابي؛ لأن الأولى واقعة في جواب الشرط، والثانية معطوفة عليها، وبلاغة الوصل هنا أبرزت هذين المعنيين بوضوح شديد، فقد أمر الله تعالى آدم وزوجته حواء بالهبوط إلى دار الدنيا، والدنيا دار تكليف وعمل، فمن اهتدى بهداية الله، وبرسوله وبكتبه فقد فاز، ولا يضل عن الصواب في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

وقد أخبرتا أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين، فمن اتبع كتاب الله، وامتثل أوامره، وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال، ومن عقابه فالعطف هنا كان من قبيل السبب على المسبب، والإتيان بالفعلين على صيغة المضارعة، واشتراكهما في المسند إليه، كل هذا من محسنات الوصل.

❖ ❖ ❖

ومن الموضع الثاني للوصل في آيات الهدى:

وهو أن تتفق الجملتان خبرًا مع وجود المناسبة بينهما:

ورد في ذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٧).

حيث وقع الوصل بالواو بين جملة «(أولئك عليهم صلوات ورحمة من ربهم) وجملة (وأولئك هم المهتدون)؛ وذلك لاتحاد الجملتين في الخبرية»[(١)].

(١) دليل البلاغة القرآنية: ٢١٩/١.

حيث أخبرتا عن الجزاء والعاقبة الذي بشر الله سبحانه وتعالى به الصابرين المذكورين قبلُ، فقد بشرهم بمغفرة ذنوبهم، وبرحمة منه، وإنهم المهتدون إلى سعادتهم وكمالهم.

وأتى بالجملتين اسميتين؛ للدلالة على الثبات على هذا الأمر، وفي هذا ما فيه من الرضا والرضوان عليهم من الله عز وجل، كما أن اتفاق الجملتين في الاسمية مِنَ المظاهر التي حسنت الوصل بينهما .

ومن يتأمل في بلاغة النظم المصاحب يلحظ التفخيم والتعظيم للصابرين، فقد عبر عنهم باسم الإشارة البعيد، للإشارة إلى علو مرتبتهم. كما جمع الصلوات لدلالة على كثرتها وتنوعها، وعطف عليها الرحمة للمبالغة في غفران الذنوب ومحوها.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وقع الوصل بين قوله : «(إذ كنتم أعداء...) وبين قوله: (وكنتم على شفا حفرة من النار..)؛ وذلك لاتحاد الجملتين في الخبرية»[(١)].

فقد أمر الله تعالى المؤمنين بالتمسك بدينه وقرآنه، وما أمرهم به من الألفة والمحبة والاجتماع، ونهاهم عن التفرق، وطلب منهم أن يذكروا نعمته عليهم إذ ألفّ بين قلوبهم، وآخى

(١) دليل البلاغة القرآنية: ١/٥٠٤.

بينهم بعد العداوة المستحكمة، والفرقة التي كانت بين الأوس والخزرج، فقد كانوا على شفا النار بسبب كفرهم وضلالهم، فهداهم الله، وأنقذهم منها بالإسلام.

ومن محسنات الوصل بين الجملتين الإتيان بالفعلين على صيغة الماضي كما اشتركا في أن المسند إليه فيهما واحد، وهم (الأوس والخزرج)، وهذا كله من محسنات الوصل.

وقيمة الوصل هنا تتجلى في التنفير من الفرقة والاختلاف في الدين، وتذكيرهم بالنعمة العظمى التي أنعم بها على العرب، وهي نعمة الوحدة، والتجمع بعد التفرق والتشرد.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم: ٤).

وقع الوصل هنا بين جملة (ويهدي من يشاء) وجملة (يضل من يشاء)، وقد اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى، وبينهما جهة جامعة للعطف، وهي الطباق بين الهدى والضلال، كما اشتركتا في كون المسند إليه فيهما واحدًا، وهو الله عز وجل، وليس هناك مانع من العطف، ويسمى هذا الوصل (التوسط بين الكمالين)..

وهذا الوصل يكشف بوضوح عن أن أمر الهداية والضلالة لأي كائن مقصور على المولى عز وجل، وليس للرسل هداية المعونة والتوفيق البتة بل لهم فحسب هداية الدلالة والبيان والإرشاد، كما قال تعالى مخاطباً نبيه محمدﷺ ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ (الغاشية: ٢٢).

❖ ❖ ❖

ومن الموضع الثاني للوصل في آيات الهدى:

أن تتحد الجملتان إنشاء كما في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(آل عمران: ٧٣).

«وقع الوصل بين قوله : (ولا تؤمنوا إلا لمن اتبع دينكم...) وقوله من الآية السابقة: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ ﴾ (آل عمران: ٧٢). وذلك لاتحاد الجمل في الإنشائية، ما بين أمر ونهي»(١)، وسياق الآيتين يحكي عن طائفة من أهل الكتاب كانت تريد إضلال المؤمنين حيث قالوا لإخوانهم : آمنوا بالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ واتبعه فيه المؤمنون أول النهار، واكفروا آخره لعلكم تستطيعون فتنتهم ببث الريب والشك فيهم، وقالوا أيضًا: لا تذعنوا إلا لمن تبع دينكم...

وسر الوصل هنا هو الكشف عن صفات أهل الكتاب من المكر والخداع، وفضح أمرهم حيث كانوا حريصين على إضلال المؤمنين.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا: أن تتفق الجملتان إنشاء لفظًا ومعنى مع وجود المناسبة:

كما في قوله تعالى: ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ (الصافات: ٢٢-٢٤).

---

(١) دليل البلاغة القرآنية: ٤٧٥/١.

وقع الوصل بين جملة (احشروا) وجملة (فاهدوهم) وجملة (وقفوهم).

وقد وقع العطف في قوله: (فاهدوهم) «بفاء التعقيب إشارة إلى سرعة ورودهم على النار عقب حشرهم، (وقفوهم) أمر بإيقافهم في ابتداء السير بهم لما أفاده الأمر من الفور بقرينة فاء التعقيب التي عطفته»[١].

والجمل المعطوفة هي (احشروا – اهدوهم– قفوهم)، وجميعها جمل إنشائية لفظًا ومعنى، واشتركت في المسند إليه، وهم المأمورون بذلك (ملائكة العذاب) . كما أنها جمل فعلية، وجاءت الأفعال على صيغة الأمر، وليس هناك مانع مع العطف، وهذا يسمى (التوسط بين الكمالين).

ومن عجيب نظم القرآن في هذه الآية أن معنى الهداية في قوله (فاهدوهم) ليس معناه الإرشاد، وإنما السوق إلى جهنم، وهذا أسلوب تهكمي في الهداية.

وسر الوصل هنا هو بيان قدرة الله – عز وجل – على حشر الذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله تعالى وأزواجهم، وأشباههم، وما كانوا يعبدون من أصنام وأوثان .

كما أدى الوصل نكتة أخرى وهي تبكيت المشركين الذين عبدوا الأصنام، لأنها لا تنفع ولا تضر.

❖ ❖ ❖

---

(١) التحرير والتنوير : ١٠٢/٢٣.

ثانيًا: أسرار الوصل بغير الواو :

من ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ (الشعراء: ٧٥-٨١).

فقد عطف هنا «السقي على الإطعام بالواو إرادة للجمع بينهما، وتقديم أحدهما على الآخر جائز، إذْ لا ترتيب فيهما، ثم عطف (يشفين) بالفاء، لأن الشفاء يعقب المرض، وتنبيهًا على عظم المنَّة بالعافية بعد المرض من غير تراخ، ثم عطف الإحياء بعد الإماتة بـ(ثم)؛ لأن الإحياء بعد الإماتة إنما يكون بمهلة وتراخ، ولو عطفت هذه الآية بعضها على بعض بالواو لتم المقصود، ولكن الذي ورد به التنزيل أدخل في المعنى، وأعجب في النظم، وأليق ببلاغة القرآن وفصاحته»[(١)].

وبلاغة الوصل تتمثل في تأكيد نسبة الهداية والإطعام والسقيا والشفاء إليه تعالى وفي تعبيره عن الهداية بلفظ المضارع إشارة إلى تجدد هدايته كل حين سواء كان في المنافع الدينية أو الدنيوية.

❖ ❖ ❖

---

(١) الطراز : ٤٢/٢.

ومن مواضع الفصل في آيات الهدى:

الفصل لكمال الاتصال:

وهو أن تتحد الجملتان اتحادًا تامًّا بحيث تنـــزل الثانية من الأولى منـــزلة نفسها، وذلك في ثلاثة مواضع :

أ – أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى تأكيدًا لفظًّيا، أو معنويًّا.

ب – أن تكون الجملة الثانية بدلا من الأولى – بدل كل، أو بعض، أو اشتمال.

جـ– أن تكون الجملة الثانية بيانًا للأولى وإيضاحًا لها.

- وسوف أعرض لهذا المواضع الثلاثة في آيات الهدى.

❖ ❖ ❖

ومن مواطن الموضع الأول :

قوله تعالى :﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(البقرة: ١–٢).

في هذه الجملة فصلت جملة (لا ريب فيه) عما قبلها لكمال الاتصال، حيث كانـــت جملـــة (ذلك الكتاب) مفيدة لكماله، وجملة (لا ريب فيه) مفيدة لنفي الريب عن الكتاب الكامل. فكـــان الفصل لإفادتها التأكيد المعنوي والتقرير؛ لأنه «لما بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصـــوى من الكمال بجعل المبتدأ (ذلك)، وتعريف الخبر (باللام) كان عند السامع قبل أن يتأملـــه مظنـــة أن يرمى به جزافًا من غير تحقق فأتبعه (لا ريب فيه) نفيًا لذلك»[١].

---

(١) الإيضاح: ٦٢/٢.

والفصل هنا أبلغ من الوصل؛ لما فيه من إبراز صفة الكمال للقرآن الكريم لا يتطرق الشك إليه. كما أن في الآية تناسقًا قويًّا بين الجمل المفصولة، وقد قال عنها الزمخشري كما أشرنا أنه أصيب بترتيبها مفصل البلاغة.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (المنافقون: ٦).

وقع الفصل بين جملة (لن يغفر الله لهم) وجملة (سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) لكمال الاتصال؛ لكون الثانية توكيدًا للأولى توكيدًا معنويًا.

والفصل هنا زاد الأسلوب جزالة وفخامة؛ ووقع موقعًا سديدًا، وأشعرنا بتلاحم الجمل وتماسكها بدون رابط خارجي، وهي قيمة من قيمة الفصل الكبرى، وميزة من ميزاته الدقيقة.

❖ ❖ ❖

الموضع الثاني: لكمال الاتصال:

أن تكون الجملة الثانية بدلاً من الأولى – بدل اشتمال.

كما في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (يس : ٢٠-٢١).

فصلت جملة (اتبعوا من لا يسألكم) عن جملة (اتبعوا المرسلين).

وذلك لأن «الثانية بمنزلة بدل الاشتمال من الأولى، لأن المراد من الأولى حمل المخاطبين على اتباع الرسل، والجملة الثانية أوفى بهذا، لأن معناها: لا تخسرون شيئًا من دنياكم وتربحون صحة دينكم، فيكون لكم جزاء الدنيا والآخرة»(١)، والفصل كما نرى أبلغ وأدق من الوصل؛ لابرازه قوة الربط بين الجملتين لقوة المعنى بينهما.

❖ ❖ ❖

الموضع الثالث: أن تكون الجملة الثانية بيانًا للأولى، وإيضاحًا لها :

كما في قوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ (طه: ٤٧).

فصلت جملة (قد جئناك بآية من ربك؛ لأنها بيان لجملة (إنا رسولا ربك) . فكانت الأولى إجمالًا، والثانية بيانًا. و«فيها معنى التعليل لتحقيق كونهما مرسلين من الله بما يظهره الله على يد أحدهما من دلائل الصدق، وكلا الغرضين يوجب فصل الجملة عن التي قبلها»(٢).

❖ ❖ ❖

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب: ٤).

---

(١) الإيضاح : ٦٥/٢.

(٢) الكشاف: ٨٥/٤، وانظر روح المعاني : ٩٠/١٩، والتحرير والتنوير: ٢٢٩/١٦.

فصلت جملة (ذالكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل). عما قبلها (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه...)؛ لأنها بيانًا لها.

يقول ابن عاشور: « وجملة (ذالكم قولكم بأفواهكم...) استئناف اعتراضي بين التمهيد، والمقصود من التشريع كما تقدم من الجمل الثلاث التي نفت جعلهم ما ليس بواقع واقعاً، ولذلك فصلت الجملة لأنها تتنزل منزلة البيان بالتحصيل لما قبلها»(١).

وفي الفصل تأكيد على بطلان أقوال المشركين. فكأن أقوالهم لا اعتبار لها، فهي كأصوات البهائم، كما عُلم من تقيد أقوال المشركين (بالأفواه) أنه قول كاذب لا يطابق الواقع. فلهذا حسن الفصل لأنه أبلغ وأوجز.

كما أفاد أسلوب الفصل إبراز هذا المعنى إبرازًا جليًا ليتدبره المشركون.

❖ ❖ ❖

٢- شبه كمال الاتصال في آيات الهدى :

وهو أن تكون الجملة الثانية جوابًا عن سؤال يفهم من الأولى، فتفصل الثانية عن الأولى، كما يفصل الجواب عن السؤال، لما بينهما من الاتصال.

وهذا النوع من الفصل هو الأكثر ورودًا في آيات الهدى.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (البقرة: ٥).

---

(١) التحرير والتنوير : ٢٥٩/٢١.

وقع الفصل بين جملة (أولئك على هدى من ربهم) وما قبلها في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة: ٤) للاستئناف البياني وكأنه قيل: ما للمتصفين بهذه الصفات ؟ فأجيب «أولئك على هدى من ربهم».

فهذه الجملة وقعت جوابًا لسؤال مقدر نشأ من الجملة السابقة في قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة: ٣-٤).

وهذا ما يسمى في البلاغة بشبه كمال الاتصال.

وفي الفصل ربط للجمل برباط لطيف دقيق كان له أثر حسن على المعاني كساها جمالًا ورونقًا.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ٨٨) .

فصلت جملة (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) عما قبلها، لأنها استئناف بياني نشأ عن اللوم والتعجيب الذي في قوله : (فما لكم في المنافقين فئتين)؛ لأن السامعين يترقبون وجه اللوم، ويتساءلون عمَّا ذا يتخذون نحو هؤلاء المنافقين.

يقول ابن عاشور : «دل الاستفهام الإنكاري المشوب باللوم على جملة محذوفة هي محل الاستفهام البياني، وتقديرها: إنهم قد أضلهم الله، أتريدون أن تهدوا من أضل الله، بناء على أن قوله:

(والله أركسهم) ليس المراد منه أنه أضلهم، بل المراد منه أساء حالهم، وسوء الحال أمر مجمل يفتقر إلى البيان، فيكون فصل الجملة فصل الاستئناف»[(١)].

كما أكسب الفصل الآية فخامة وجزالة؛ لأنها نزلت في اختلاف المؤمنين من أصحاب الرسول ﷺ في طائفة من المنافقين أظهروا الإسلام وهم ضليعون في موالاة الكافرين، فرأى بعض أصحاب الرسول حربهم، والضرب على أيديهم وإنهاء نفاقهم، ورأى آخرون تركهم، والصبر عليهم، فلما اشتد الخلاف في شأنهم أنزل الله هذه الآية .

❖ ❖ ❖

ومما ورد من ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ١٠٢).

حيث فصلت جملة (قل نزله روح القدس من ربك...) عن جملة ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ١٠١).

«وذلك لأن في قوله (قل) استئناف مبني على سؤال مقدر، وهذه الآية جواب عن قولهم (إنما أنت مفتر)، فلذلك فصل فعل (قل) لوقوعه في المحاورة، أي قل لهم: لست بمفتر، ولا القرآن بافتراء بل نزله روح القدس من الله. وفي أمره بأن يقول لهم ذلك شد لعزمه لكيلا يكون تجاوزهم الحد في البهتان صارفا إياه عن محاورتهم»[(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير : ٥/١٥٠-١٥١.

(٢) روح المعاني : ١٤/٣٤٣، وانظر التحرير والتنوير : ١٤/٢٨٤.

والسر في الفصل الرد على افتراء الكفار، واتهامهم، للرسول عليه الصلاة والسلام بافتراء القرآن الكريم واختلاقه من لدنه، فأمره سبحانه وتعالى أن يخبرهم بأن القرآن نزل بواسطة الوحي من رب العالمين، وليس هذا من كلام أحد من البشر.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾(الكهف: ١٧).

جملة (ذلك من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) فصلت عما قبلها «لأنها استئناف بياني لما اقتضاه اسم الإشارة من تعظيم أمر الله »[١]. فوضع الشمس العجيب أثار في أنفسهم سؤالاً، فكان جوابه أن (ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد)، فلذلك وقع الفصل لشبه كمال الاتصال.

والفصل أبلغ لا شك من الوصل؛ لأن الجمل التحمت برباط داخلي، وتماسكت من ذات نفسها؛ وذلك لأن الآية وضحت قدرة الله وعنايته بأوليائه، ومؤيدي دينه، ولذا جعل الله سبحانه وتعالى الشمس في وضع عجيب يسره لهم بحكمته؛ ليكونوا داخل الكهف بحالة اعتدال، فلا ينتاب البلى أجسادهم. وذلك من آيات قدرة الله تعالى.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ٢٧٩/١٥.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣).

فصلت جملة (الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) عن سابقتها. لأنها أثارت في نفوس المشركين سؤالًا، وهذا ما يسمى بشبه كمال الاتصال.

لأن جملة «(الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينب» استئناف بياني جواب عن سؤال من يسأل : كيف كبرت على المشركين دعوة الإسلام؛ بأن الله يجتبي من يشاء، فالمشركون الذين لم يقتربوا من هدى الله غير مجتبين إلى الله إذ لم يشأ اجتباءهم أي لم يقدر لهم الاهتداء. ويجوز أن يكون ردًّا على إحدى شبههم الباعثة على إنكارهم رسالته بأن الله يجتبي من يشاء ولا يلزمه مُراعاة عوائدكم في الزعامة والاصطفاء»[(١)].

يقول أبو السعود : هو «استئناف واردٌ لتحقيق الحق، وفيه إشعار بأنَّ منهم من يجيب إلى الدعوة أي الله يجتلبُ إلى ما تدعوهم إليه من يشاء أن يجتبيه إليه، وهو من صرف اختياره إلى ما دُعي إليه كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ أي: يقبل إليه حيثُ يمدُّه بالتوفيق والألطاف»[(٢)].

❖ ❖ ❖

(١) التحرير التنوير : ٢٤/٥٥.

(٢) تفسير أبي السعود : ٦/٧٥.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (الزمر: ٣).

فصلت جملة (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) عما قبلها؛ لأنها أثارت «في نفوس السامعين سؤالًا عن مصير حالهم في الدنيا من جراء اتخاذهم أولياء من دونه، فيجاب بأن الله لا يهدي من هو كاذب كفار، أي يذرهم في ضلالهم ويمهلهم إلى يوم الجزاء بعد أن يبين لهم الدين فخالفوه»[١]. فالله لا يوفق للهدى، ولا يرشد للحق من كان كاذبًا على ربه مبالغًا في كفره، فلذلك ترك العطف بينهما لما بينا.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر: ٢٣).

فصلت جملة (الله نزل أحسن الحديث...،) عن جملة ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزمر: ٢٢).

---

(١) التحرير التنوير : ٣٢٣/٢٣ بتصرف يسير.

يقول ابن عاشور مفصلاً ذلك : «مضمون هذه الجملة هو أن القرآن يلين قلوب الذين يخشون ربهم؛ لأن مضمون الجملة السابقة يثير سؤال سائل عن وجه قوة قلوب الضالين من ذكر الله، فكانت جملة (الله نزل أحسن الحديث) إلى قوله : (من هاد) مبينة أن قساوة قلوب الضالين من سماع القرآن إنما هي لرين في قلوبهم وعقولهم لا لنقص في هدايته»[١].

وفي جملة الفصل تعظيم وتفخيم القرآن الكريم أشرف الكتب السماوية وَعُلوه على جميع ما سبقه؛ لأنه كتاب تشابهت معانيه وألفاظه في بلوغ الغاية في الإعجاز، فعرض أسلوب الفصل هذا كله في نسق ملفت مثير، ليحاول تثبيته وتقريره.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ (النجم: ٣٠).

فصلت جملة (ذلك مبلغهم من العلم) عن جملة ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾(النجم: ٢٩).

«لأن الأولى استئناف بياني بين به سبب جهلهم بوجود الحياة الآخرة؛ لأنه لغرابته مما يسأل عنه السائل، وفيه تحقير لهم وازدراء بهم بقصور معلوماتهم، وهذا الاستئناف وقع معترضًا بين الجمل وعلتها في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾»[٢].

---

(١) التحرير التنوير : ٢٣/٣٨٤.

(٢) فتح القدير : ٥/١٥٩، وانظر التحرير والتنوير : ٢٤/١١٨.

والسر في الفصل هو تقرير جهل المشركين، وإتباعهم مجرد الظن، وتسلية لرسول الله بأن لا يتعب نفسه في دعوة من أصر على الضلالة، فإن الله قد علم حال الفريق الضال، والفريق المهتدي.

❖ ❖ ❖

وفي ختام هذا المبحث نقول أن المقياس الحقيقي لقبول الفصل أو الوصل . هو أن تؤدي العبارة – في إطار السياق العام – الغرض من صياغتها في إيصال المعنى إلى المخاطب في أوضح صورة وأحلاها، وفي كل هذا يراعي دائمًا عقول المخاطبين بمختلف استيعابهم، وإثارة أنفسهم بمختلف نزعاتها وميولها، وكذا عواطفهم وأذواقهم.

وعليه فالوصل أتى في آيات الهدى للتشابه والانسجام، والمناسبة بينها، وليفهم القارئ إنما وُصل بين الجُمل سواء بالواو أو غيرها لغرض يقصده المتكلم من وراء ذلك الوصل في توضيح المناسبة، أو الصلة الرابطة للجمل، كتوضيح ارتباط جملة السبب بالمسبب، أو بيان أن الجمل الموصولة ناسبت في وصف حدث بعينه، واستكملته للقارئ.

وكذلك الحال مع الفصل فهو يتآزر مع الوصَل لإبراز جمال المعنى في أبهى صورة، فالفصل في موطنه الأحق به يكون أبلغ من الوصل ، ويزيد الأسلوب جزالة وفخامة، ويُضفي عليه حسنًا وقوة وتأثيرًا، وقد يتطلب التناسب الداخلي للجمل فصلها؛ لأنه أقوى من وصلها ..

لذا فإن معرفة مواطن الوصل والفصل في القرآن الكريم تكشف لنا جانبًا من جوانب إعجاز القرآن الكريم، وبلاغته، وفصاحته، وبيانه.

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

المبحث التاسع : الإيجاز والإطناب في آيات الهدى

أولاً: إيجاز القصر في آيات الهدى:

الأسلوب القرآني أعظم أسلوب، وأتقنه، فقد وقفت العقول حيارى أمام إعجازه وبلاغته، ولا عجب، فهو كلام لا يصدر عن بشر، وإنما هو قول رب البشر سبحانه وتعالى انتخبت ألفاظه بدقة لا تجد فيه كلمة إلا ولها وقعها في النفس، ودورها في أداء المعنى، ومن سماته الكبرى أنه يعطي المعاني العظيمة الكثيرة في ألفاظ قليلة، ولذا فإن هذا الفن جُعل هو البلاغة بعينها حتى قيل: «البلاغة الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل»[١].

ولكل واحد من الإيجاز والإطناب «موضع يكون فيه أولى من الآخر، لأن الحاجة إليه أشد، والاهتمام به أعظم»[٢].

وقد ورد الإيجاز في آيات الهدى، بطريقيه المعروفين في كتب البلاغة، وهما: (الإيجاز بالحذف)، وهذا النوع من الإيجاز قد سبق الحديث عنه في الكلام عن مبحث الحذف في آيات الهدى، فلا أعيد الحديث عنه هنا.

أما النوع الثاني: وهو إيجاز القصر، فورد أيضًا في آيات الهدى، وهذا النوع «له في البلاغة موقع عظيم، دقيق المجرى، صعب المرتقى....»[٣]، وحصره في كم معين من الشواهد القرآنية غير ممكن؛ لأن الألفاظ القليلة تتفجر منها شحنات نفسية، ودلالات كثيرة تبرز المطلوب، وتشق عنه بوضوح، ولا يقدر كل أحد على تحديده بسهولة ، ومن ثم سأحاول البيان عن ذلك قدر الإمكان.

---

(١) الصناعتين : ١٤.

(٢) النكت في إعجاز القرآن: ٧٢.

(٣) الطراز: ٢/١١٩.

وقد طالعت هذه الآيات تكرارًا ومرارًا، واستطعت الوقوف على بعض الآيات الـتي ورد فيها الإيجاز بالقصر .

❖ ❖ ❖

من ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٢).

حيث وقع إيجاز القصر في قوله: (هدى للمتقين)؛ لأن كلمة المتقين يدخل تحتـها «الـذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى، ويرجون رحمته في التصديق بمـا جـاء بـه، والمؤمنين الذين يتقون الشرك، وقيل الذين يتقون ما حرم الله علـيهم، والـذين يجتنبـون كبـائر الإثم»[١]، فالتقوى: «اسم جامع لكل ما تجب الوقاية منه»[٢].

وسر جمال إيجاز القصر هو الاختصار؛ «لأن المتقين مهتدون، وصاروا مـتقين باسـتفادتهم الهدى من الكتاب، والمراد بالهدى الثبات والدوام عليه، أو أراد الفريقين واقتصر على المتقين؛ لأنهم الفائزون بمنافع الكتاب»[٣].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعـالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة:١٣٧).

---

(١) تفسير ابن كفير : ١٦٣/١، بتصرف يسير.

(٢) إعراب القرآن وبيانه: ٢٥/١.

(٣) الكشاف: ١٨/١-١٩.

حيث وقع إيجاز القصر في قوله : (فسيكفيهم الله)؛ لأن هذه الجملة يدخل تحتها معاني منها: أي يكفيك الله إيذاء ومكر يهود بني قريظة، وبني النضير.

ومعنى : «كفايتهم كفاية شرَّهم، وشقاقهم فإنهم كانوا أهل تعصب لدينهم، وكانوا معتضدين بأتباع وأنصار، وخاصة النصارى منهم، وكفاية النبي كفاية لأمته؛ لأنه ما جاء لشيء ينفع بذاته»(١).

يقول الزمخشري : «هذا ضمان من الله لإظهار رسول الله ﷺ عليهم، وقد أنجز وعده بقتل بني قريظة وسبيهم، وإجلاء بني النضير»(٢).

وفي التعبير بالإيجاز هنا اختصار واضح لألفاظ قليلة ذات معاني كثيرة، ومن ثم أفادت الجملة تحقيق وعد الله لرسوله ﷺ بأنه يكفيه سوء شقاقهم، وجاءت السين هنا لتحقيق الوعد.

❖ ❖ ❖

من ذلك كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (آل عمران: ٢٠).

حيث وقع إيجاز القصر في قوله : (أسلمت وجهي لله)، فهي جملة قصيرة جامعة لمعاني كثيرة تبرز كنه الإسلام.

(١) التحرير والتنوير : ٧٤١/١.
(٢) الكشاف : ١٣٩/١.

وسر جمال الإيجاز هنا الاختصار، وتحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير؛ لأن تحت معنى (إسلام النفس) معانٍ جمة هي جماع الإسلام منها: «تمام العبودية لله تعالى، وإخلاص العمل لله تعالى، وإخلاص القول لله تعالى، وامتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه على لسان الرسل الصادقين، وألا يجعل لنفسه حكمًا مع الله فيما حكم به، فلا يتصدى للتحكم في قبول بعض ما أمر الله، ونبذ البعض ، وأن يكون متطلبًا لمراد الله مما أشكل عليه فيه، والإعراض عن الهوى المذموم في الدين، وعن القول فيه بغير سلطان، وأن تكون معاملة أفراد الأمة بعضها بعضًا وجماعاتها، ومعاملتها جارية على مراد الله تعالى، والتصديق بما غُيب عنا مما أنبأنا الله به من صفاته، ومن القضاء والقدر، وأن الله هو المتصرف المطلق»(١).

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢).

حيث وقع إيجاز القصر في كلمة (أولئك لهم الأمن)، فكلمة الأمن يدخل تحتها كل أمر محبوب، فقد انتفى بها أن يخافوا فقرًا، أو موتًا، أو جورًا، أو زوال نعمة، أو غير ذلك.

وجمال الإيجاز تحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير كما تبين.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ٤/٢٠٣-٢٠٤، وانظر تفسير أبي السعود: ٢/١١٧، وروح المعاني: ٣/١٧٤، بتصرف يسير.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ (الحج: ٢٤).

حيث وقع إيجاز القصر في قوله: (وهدوا إلى الطيب من القول)؛ لأن هذه الكلمة يراد بها معانٍ عدة منها : «الشهادة، وقول كل طيب، والطريق المحمود في دين الله تعالى إلى طريق الإسلام الذي شرع للخلق، والطريق الموصل إلى الجنة»(١)، وغير ذلك كثير.

وسر جمال الإيجاز هو إثارة العقل، وتحريك الذهن، وإمتاع النفس في كيفية تأتي هذه المعاني الكثيرة في هذه الجملة القصيرة.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا﴾ (فاطر: ٤٢).

وقع إيجاز القصر في قوله : (إحدى الأمم)؛ لأن هذه الكلمة يراد بها جميع الأمم ذات الدين، وعبر بلفظ (إحدى الأمم) عن جميع الأمم ذات الدين، ليأتي على مقالة كل فريق مع الإيجاز.

فالمقصود إما الأمة النصرانية، وإما اليهودية، أو الصائبة، وجاء «التعبير عنها بـ(إحدى الأمم) إبهامًا لها يحتمل أن يكون إبهامًا من كلام المقسمين تجنبًا لمجابهة تلك الأمة بصريح التفضيل عليها، ويحتمل أن يكون إبهامًا في كلام القرآن على عادة القرآن في الترفع عما لا فائدة في تعيينه إذ المقصود أنهم أشهدوا الله على أنهم إن جاءهم رسول يكونوا أسبق من غيرهم اهتداء، فإذا هم لم

(١) تفسير الطبري : ١٢٠/١٧، وانظر روح المعاني : ١٣٧/١٩، والبحر المحيط: ٣٦١/٦.

يشموا رائحة الاهتداء، ويحتمل أن يكون فريق من المشركين نظّروا في قسمهم بهدي اليهود، وفريق بهدي النصارى، وفريق بهدي الصائبة، فجمعت عبارة القرآن ذلك بقوله: (من إحدى الأمم)»[١].

ففي التعبير بهذه الكلمة اختصار واضح، وفي طياتها معان عدة.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣).

وقع إيجاز القصر في قوله : (أحسن الحديث)؛ لأن هذه الكلمة يدخل تحتها معاني كثيرة أبان عن ذلك الزمخشري فقال: «أحسن الحديث يدل على أن يكون أحسن الحديث بحسب لفظه، أو بحسب معناه، فمن جهة اللفظ أن يكون لأجل الفصاحة والجزالة، وبحسب النظم في الأسلوب، وإما أن يكون أحسن الحديث لأجل المعنى، وفيه وجوه منها أنه كتاب منزه عن التناقض، واشتماله على الغيوب الكثيرة في الماضي والمستقبل، وأن العلوم الموجودة فيه كثيرة جدًا»[٢]، فالتعبير بهذا الإيجاز يحصل منه معنى كثير بلفظ يسير.

❖ ❖ ❖

---

(١) التحرير والتنوير: ٣٣٢/٢٢، وانظر التفسير الكبير : ٢٤٦/٢٦.

(٢) الكشاف: ٣٠٠/٥، وانظر التفسير الكبير : ٤٤٢/٢٦.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ (النجم: ٢٣).

وقع إيجاز القصر في قوله: (الظن)؛ لأنه «حينما يبين سبحانه أن هذه الأصنام حجارة لا تنفع ولا تضر عبر بلفظ (الظن) الذي حمل في طياته معاني كثيرة، وهذا التفنن في معاني الظن في القرآن يشير إلى وجوب النظر في الأمر المظنون حتى يلحقه المسلم بما يناسبه من حسن أو ذم على حسب الأدلة»[١].

وأصل « الظن الاعتقاد غير الجازم، ويطلق على العلم الجازم إذا كان متعلقًا بالمغيبات، وكثر إطلاقه في القرآن على الاعتقاد الباطل، وهو المراد هنا بقرينة عطف (وما تهوى الأنفس)»[٢].

فالمشركون مستمرون على اتباع الظن والهوى في حال أن الله أرسل إليهم رسولاً بالهدى وهنا تعجب من حالهم.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الصف: ٧).

حيث وقع إيجاز القصر في قوله: (ومن أظلم)؛ لأنه يشمل جميع أنواع الظلم بهذا اللفظ؛ لأن «أشد الناس ظلمًا ممن يدعي إلى الإسلام الذي يوصله إلى سعادة الدارين، لكنه يضع موضع

---

(١) التفسير الكبير : ٢٥١/٢٨.

(٢) التحرير والتنوير: ١٠٩/٢٧.

الإجابة الافتراء على الله عز وجل بتكذيب، وإثبات المنفي أي لا أظلم من ذلك»[١]، فشمل وعـم جميع أنواع الظلم بهذا اللفظ.

وجاء اسم الإسلام «علمًا للدين الذي جاء به النبي ﷺ، وهو جامع لما فيـه خـير الـدنيا والآخرة، فكان ذكر هذا الاسم في الجملة زيادة في تشنيع حال الذين أعرضوا عنه، أي وهو يدعى إلى ما فيه خيره، وبذلك حق عليه وصف أظلم»[٢].

❖ ❖ ❖

وأيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾(النازعات: ١٩).

حيث وقع إيجاز القصر في قوله: (فتخشى)، ويدخل تحتها معاني كثيرة.

فقد عبر سبحانه بلفظ الخشية، وهي تدل على معانٍ كثيرة قد نحتاج إلى صفحات لشرحها، ففي الاقتصار على ذكر الخشية إيجاز بليغ؛ لأنها تشمل الخشية من الله تعالى، والخوف من الوقـوع فيما حرمه ونهى عنه، وهي أمور كثيرة دل عليها بهذا اللفظ.

يقول الزمخشري: «الخشية ملاك كل خير، فالخشية: الخوف، وإذا أطلقت في لسان الشرع يراد بها خشية الله تعالى»[٣].

وفي هذا تسلية للرسول ﷺ بذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعـون الجبـار، عـلاوة علـى الاختصار الكامن في طيات الفعل، وهو خطاب موجه لأفصح العرب قاطبة، ومعه أمته ﷺ.

---

(١) روح المعاني: ١٢٩/٢٨.

(٢) التحرير والتنوير: ١٢٩/٢٨.

(٣) الكشاف: ٣٠٧/٦، وانظر التفسير الكبير: ٤٠/٣١، والتحرير والتنوير: ٧٨/٣٠.

ثانيًا: الإطناب في آيات الهدى:

وكما تجلى إعجاز القرآن الكريم في أسلوب (الإيجاز) نجده يتجلى كذلك في استخدامه للإطناب، وهذا النوع من البلاغة «كثير المحاسن، واسع الخطو لطائفه بديعة، ومداخلة دقيقة»[(١)].

وهو كما يقول الرماني: «الإطناب كمن سلك طريقًا بعيدًا لما فيه من النزهة الكثيرة والفوائد العظيمة، فيحصل في الطريق إلى غرضه من الفائدة على نحو ما يحصل له بالغرض المطلوب»[(٢)].

وقد جاء الإطناب في آيات الذكر الحكيم على أروع أسلوب، وأفصح بيان، وجاءت بعض أنواعه في آيات الهدى كما يتضح مما يلي:

❖ ❖ ❖

١- الإيضاح بعد الإبهام، أو الإجمال بعد التفصيل:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ (غافر: ٣٨-٣٩).

وردت هذه الآية في سياق متابعة نصح مؤمن آل فرعون لقومه، حيث طلب منهم اتباعه والاقتداء به؛ ليرشدهم إلى طريق الصلاح، ومعنى الهدى في قوله: (أهدكم) أرشدكم، ويلاحظ من هذا السياق أن مؤمن آل فرعون «رتب خطبته على أسلوب الإجمال ثم تعقيبه بالتفصيل، فابتدأ بقوله: (اتبعون أهدكم سبل الرشاد)، وسبيل الرشاد مجمل، وهو على إجماله مما تتوق إليه النفوس،

---

(١) الطراز: ٢/٢٢٤.

(٢) النكت في إعجاز القرآن: ٧٢.

فربط حصوله باتباعهم إياه مما يقبل بهم على تَلَقِّي ما يفسر هذا السبيل، ويسترعي أسماعهم إلى ما يقوله إذ لعله سيأتيهم بما ترغبه أنفسهم إذ قد يظنون أنه نقح رأيه، ونخل مقاله»[١]، وفي هذا تعريض بفرعون وقومه، وبيان أن سبيلهم هو سبيل الغي والضلال.

يقول أبو السعود: «أجمل لهم أوّلا ثم فسر، فافتتح بذم الدنيا، وتصغير شأنها؛ لأنها الإخلاد إليها رأس كل شر، ومنه تتشعب فنون ما يؤدي إلى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الآخرة..»[٢].

٢- التكرار. ويأتي لدواعي بلاغية منها:

١-تأكيد المعنى في النفس والاهتمام بشأنه:

وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٢).

ففي هذه الآية أعيد الحديث عن الإنفاق بصيغ مختلفة للاهتمام بشأنه لما له من الثواب العظيم.

كما كرر الفعل (تنفقوا) ثلاث مرات في الآية لمزيد الاهتمام بمدلوله، «وجيء به مرتين بصيغة الشرط عند قصد بيان الملازمة بين الإنفاق والثواب، وجيء به مرة في صيغة النفي والاستثناء، لأنه قصر الخبر بمعنى الإنشاء، أي النهي عن أن ينفقوا إلا لابتغاء وجه الله»[٣].

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير: ١٤٩/٢٤، وانظر روح المعاني: ١٠٦/٢٤.
(٢) تفسير أبي السعود: ٣٦/٦.
(٣) التحرير والتنوير: ٧٢/٣.

٢- كما يأتي التكرار لإبراز كمال العناية بالأمر والاهتمام به:

وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النور: ٥٤).

حيث «كرر الأمر بطاعة الرسول بعد الأمر بطاعة الله في قوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾؛ لإبراز كمال العناية به، والإشعار باختلافهما حيث أن المقول الأول نهي بطريق الرد والتبكيت، وفي الثاني أمر بطريق التكليف والتشريع»(١).

وفي هذا التكرير منه تعالى تأكيد على وجوب الطاعة للرسول ﷺ، ففي الإطاعة بلوغ الهداية.

❖ ❖ ❖

٣- ويأتي التكرار أيضًا لتقرير المعنى:

وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: ٢٤).

نظمت هذه الآية في سياق إقرار المشركين بأن الله هو الرازق، واستدراج لهم في قوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، وهو من الكلام المنصف.

---

(١) فتح القدير: ١٨/٤٠، وانظر روح المعاني: ٢٩٤/١٨، والتحرير والتنوير: ٢٨١/١٨.

«وأعيد الأمر بالقول في قوله تعالى: (قل) لتقرير المعنى، ولزيادة الاهتمام بالمقول، فإن أصل الأمر بالقول في مقام التصدي للتبليغ دال على الاهتمام»[١]، وتكرار ذلك الأمر زيادة في الاهتمام، وتثبيت المعنى في النفس.

❖ ❖ ❖

٤- كما يأتي لزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة، ليكمل تلقي الكلام بالقبول:

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (غافر: ٣٨-٣٩).

حيث كرر مؤمن آل فرعون (نداء) قومه بقوله: (يا قوم)، وفي ذلك «زيادة التنبيه لهم، وإيقاظ عن سنة الغفلة، وفيه أنهم قومه وعشيرته ونصيحتهم عليه واجبة»[٢].

❖ ❖ ❖

(١) الكشاف: ٥/٣٧٥.

(٢) تفسير سيد طنطاوي: ١/٣٧٠٥.

٣- التذييل :

وهو «تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد، وهو ضربان: ضرب لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بإفادة المراد، وتوقفه على ما قبله، وضرب يخرج مخرج المثل»(١).

«وللتذييل في الكلام موقع جليل، ومكان شريف خطير؛ لأن المعنى يزداد انشراحًا، والمقصد اتضاحًا، وقال بعض البلغاء: للبلاغة ثلاثة مواضع، الإشارة، والتذييل، والمساواة، وينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة، والمواقف الحافلة؛ لأن تلك المواطن تجمع البطيء الفهم، والبعيد الذهن، والثاقب القريحة، والجيد الخاطر، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد تؤكد للذهن اللقَن. وصح للكليل البليد»(٢).

❖ ❖ ❖

أوّلا: شواهد التذييل الذي جرى مجرى المثل:

وذلك في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ٢١٣).

(١) بغية الإيضاح: ١٢٢/٢.
(٢) الصناعتين: ٣٧٣.

في هذه الآية بين المولى عز وجل أن الاختلاف بين الناس غير مختص بهذا الزمان، بل كان في الأزمنة المتقادمة، فإنهم كانوا في أمة واحدة على الحق، ثم اختلفوا، وكان اختلافهم بسبب البغـي، والتحاسد، والتنازع في طلب الدنيا.

وقد وقع التذييل في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وذلك «لبيان أن فضل الله يعطيه من يشاء، وهذا إجمال وتفصيله أن حكمة الله اقتضت أن يتأخر تمام الهدى إلى وقت مجيء شريعة الإسلام لما تهيأ البشر بمجيء الشرائع السابقة لقبول هذه الشريعة، فكانـت الشـرائع السابقة تمهيدًا وتهيئة لقبول دين الإسلام، ولذلك صـدرت هذه الآيـة بقولـه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾»[(١)].

وهذه الجملة وما قبلها دليل واضح على أن هداية العبد إنما تكون من الله عز وجل وحـده لمن يشاء له الهداية، «وتكرار اسم الله في قوله: والله يهدي جاء على الطريقة الفصحى الـتي هـي استقلال كل جملة، وذلك أولى من أن يفتقر بالإضمار إلى ما قبلها من مفسر ذلك المضمر»[(٢)].

❖ ❖ ❖

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(البقرة: ٢٥٨).

---

(١) التحرير والتنوير: ٣١٢/٢، وانظر روح المعاني: ١٥٥/٢، وأبي السعود: ١٥٨/٣.
(٢) تفسير البحر المحيط: ٣٣٤/٢.

نظمت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن قصة النمرود الملك الذي طغى وتجبر، وادعى الربوبية، وعارض إبراهيم عليه السلام في ربوبية الله.

وقد وقع التذييل في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ «وجرى هذا الكلام مجرى الحجة على مضمون الجملة الماضية، أو المثال لها، وإنما انتفى هدي الله القوم الظالمين؛ لأن الظلم حائل بين صاحبه وبين التنازل إلى التأمل في الحجج، وإعمال النظر فيما فيه النفع، إذ الذهن في شاغل عن ذلك بزهوه وغروره، والآية دليل على جواز المجادلة، والمناظرة في إثبات العقائد، والقرآن مملوء بذلك»[١].

ومعنى: والله لا يهدي القوم الظالمين أي: «لا يهدي أهل الكفر إلى حجة يدحضون بها حجة أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة؛ لأن أهل الباطل حججهم داحضة»[٢]، والتذييل هنا كما ترى واقع موقع المثل، فهو جملة مستقلة عما سبقها.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

---

(١) التحرير والتنوير: ٣/٣٤، وانظر روح المعاني: ٣/٣١.

(٢) تفسير الطبري: ٥/٤٣٧.

وقد نظمت هذه الآية في سياق الترغيب في الصدقات، وهنا نبه سبحانه وتعالى إلى ما يبطل أجرها، وهو المن والأذى، وهذا تعريض بالكفار حيث من خصائصهم الرياء والمن والأذى، ولا بد للمؤمنين أن يجتنبوا تلك الخصال الذميمة.

وقد وقع التذييل هنا في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ . و«هذا التذييل مسوق لتحذير المؤمنين في تسرب أحوال الكافرين إلى أعمالهم، فإن من أحوالهم المن على من ينفقون، ولا بد للمؤمنين أن يجتنبوها»(١). وهذا التذييل مقرر لمضمون ما قبله.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٨).

فبعد أن ضرب الله عز وجل المثل للمنسلخ من الدين الخارج منه؛ ليتعظ بذلك الضالون، بَيَّن هنا أسباب الهدى والضلال، فمن يوفقه الله للإيمان والخير واتباع شرعه وقرآنه فهو المهتدي، ومن يخذله ولا يوفقه إلى الخير واتباع القرآن فهو الخاسر.

حيث وقع التذييل في قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ ﴾، وهذا «تذييل للقصة والمثل، وما أعقبا به من وصف حال المشركين، فإن هذه الجملة تحصل ذلك كله، وتجري مجرى المثل، وذلك أعلى أنواع التذييل، وفيها تنويه بشأن المهتدين وتلقين للمسلمين للتوجه

---

(١) التحرير والتنوير: ٣/٥٠، انظر روح المعاني: ٣/٥٧.

إلى الله تعالى بطلب الهداية منه، والعصمة من مزالق الضلال، أي فالذين لم يهتدوا إلى الحق بعد أن جاءهم دلت حالهم على أن الله غضب عليهم فحرمهم التوفيق»(١).

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما ورد في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (النحل: ١٠٧).

حيث نظمت هذه الآية الكريمة في سياق الرد على المشركين الذين اتهموا الرسول ﷺ بالافتراء، وقد توعدهم الله هنا بحرمانهم التوفيق للهداية عقوبة لهم على اختيارهم الكفر، وإصرارهم عليه، وقد أبان عن ذلك بوضوح قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾، خرج مخرج المثل «لما في صيغة (القوم لكافرين) من العموم الشامل للمتحدث عنهم وغيرهم؛ وذلك إشارة إلى الكفر بعد الإيمان أو إلى الوعيد المذكور بأنهم استحبوا الحياة الدنيا وآثروها على الآخرة»(٢).

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير: ١٨٠/٩، وانظر روح المعاني: ١٧١/٩.

(٢) تفسير أبي السعود: ١٤٣/٤، وانظر روح المعاني: ٣٥٣/١٤، والتحرير والتنوير: ٢٩٦/١٤.

ثانيًا: التذييل الذي لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بإفادة المراد وتوقفه على ما قبله:

وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (غافر: ٣٣).

وردت هذه الآية في سياق ما دار من كلام في مجلس فرعون على لسان مؤمن آل فرعون، وها هو هنا يحذرهم إذا تولوا مدبرين معرضين عن الإيمان بموسى عليه السلام، فلن يكون لهم عندئذ عاصم يمنعهم من عقابه سبحانه وتعالى. وقد وقع التذييل في آخر الآية تعقيباً على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أي « من أضله الله عن طريق الحق بسبب سوء استعداده، واستحبابه العمى على الهدى، فما له من هادٍ يهديه إلى الطريق المستقيم»[١]، وهي جملة لا تستقل بنفسها تمامًا في إفادة المراد بل متوقفة على ما قبلها بوضوح.

وفي«إسناد الإضلال والإغواء إلى الله أن يكون قد خلق نفس الشخص وعقله خلقًا غير قابل لمعاني الحق والصواب، ولا ينفعل لدلائل الاعتقاد الصحيح، وأراد من هذه الصلة العموم الشامل لكل من حرمه الله التوفيق، وفيه تعريض بتوقعه أن يكون فرعون وقومه من جملة هذا العموم، وآثر لهم هذا دون أن يقول: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ﴾ (الزمر:٣٧)، لأنه أحس منهم الإعراض، ولم يتوسم فيهم مخائل الانتفاع بنصحه وموعظته»[٢].

---

(١) التفسير الوسيط: ٣٧٠٢/١.

(٢) التحرير والتنوير: ١٣٧/٢٤-١٣٨.

ومن هذا الضرب أيضًا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾. (الزمر: ٢٣).

هذه الآية وردت في سياق الحديث عن صفات أحسن الحديث، حيث مدح الله عز وجل كتابه بأكثر من صفة، وفي آخرها جاء قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾، وهو «تذييل لما سبق، وتأكيد له. أي من خلق سبحانه فيه الضلال لإعراضه عما يرشده إلى الحق بسوء استعداده، (فما له من هاد) يخلصه من ورطة الضلال»[١].

❖ ❖ ❖

(١) روح المعاني: ٣٨٤/٢٣، وانظر التحرير والتنوير : ٣٩٢/٢٣.

٤- الاعتـــــــــراض :

وهو «أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين في المعنى – بجملة أو أكثر – لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإيهام.

ويأتي الاعتراض لأغراض بلاغية منها: التنبيه على أمر، والإشــارة إلى أنّ مــا وقــع بــه الاعتراض قد حصل مضمونه، والتبرك، والاستعطاف، والتعظيم، والــدعاء والتقريــر في نفــس السامع»(١).

من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٧٣).

فقد وقع الاعتراض في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ حيث اعترضت هذه الجملــة بين جملتين من كلام اليهود، فهم يوصون بعضهم أن لا يأتمنوا لأحد إذا لم يكن يهوديا. هــذا هــو الجزء الأول، وأما الجزء الثاني، فهو في ذلك اعتراف بنبوة محمد ﷺ، وفي هذه الوصية التي يتواصون بها منتهى الجحود، والكفر والحسد للرسول ﷺ، والمسلمين سواء بسواء»(٢).

(١) بغية الإيضاح: ١٢٩/٢، وانظر البلاغة العربية: ٥٢٧/١-٥٢٨.

(٢) الجدول في الإعراب: ٢١٨/٣.

يقول ابن عاشور في قوله : ﴿إن الهدى هُدى الله﴾ «كلام مُعترض أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يقول لهم. كناية عن استبعاد حصول اهتدائهم ، وأن الله لم يهدهم، لأن هُدَى غيره أي محاولته هدى الناس لا يحصل منه المطلوب، إذا لم يقدره الله»(١).

❖ ❖ ❖

كما يأتي الاعتراض للتنويه بذكر الأنبياء .

وذلك في قوله تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنعام: ٨٤).

في هذه الآية ذكر تعالى منة أخرى منَّ بها على إبراهيم عليه السلام، وهي أنه وهبه إسحاق ويعقوب بعد كبر سنه، وأنه تعالى هدى كلاً منهم الوالد والولد والحفيد.

وقد وقع الاعتراض في قوله تعالى: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ أي كل هؤلاء هديناهم يعني إسحاق ويعقوب، ولم يبعث الله بعد إبراهيم عليه السلام نبيًا إلا من ذريته. وفائدة «ذكر هديهما التنويه بإسحاق ويعقوب، وأنهما نبيان نالا هدى الله كهديه إبراهيم، وفيه أيضًا إبطال للشرك، ودَمْج لقريش ومشركي العرب، وتسفيه لهم بإثبات أن الصالحين المشهورين كانوا على ضد معتقدهم»(٢).

❖ ❖ ❖

---

(١) التحرير والتنوير : ٢٨١/٣.

(٢) التحرير والتنوير : ٣٣٧/٧.

٥- التكميـــــــــــل :

ويسمى الاحتراس ، وهو «أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه»[(١)].

وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ (سبأ: ٥٠).

حيث وقع الاحتراس في قوله : ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾، وفي ذلك يقول ابـــن عاشور هو : «كالاحتراس من أن يكون حالُه مقتصرًا على فرض كونه مظنة الضلال مع ما فيه من الاعتراف بنعمة الله»[(٢)]، وذلك لأن المشركين كانوا يشكون في دعـــوة الرســـول، فـــأمره الله أن يخاطبهم بما يقطع عليهم كل طريق للتشكيك في دعوته، وبما يوصلهم إلى طريق السعادة والهداية لو كانوا يعقلون.

❖ ❖ ❖

٦- الإيغــــــــــال :

هو «ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ، وكثير من البلاغيين يجعلونه مختص بالشعر، ولا يختص بالنظم»[(٣)].

---

(١) بغية الإيضاح : ١٢٥/٢.

(٢) التحرير والتنوير : ٢٤٠/٢٢.

(٣) بغية الإيضاح: ١٢٠/٢-١٢٢.

ولكني وجدت هذا في بعض آيات الهدى في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يس: ٢١-٢٢).

فقوله : (وهم مهتدون) إيغال؛ «لأنه يتم المعنى بدونه لاهتداء الرسل قطعًا، والغرض منه زيادة الحث على اتباع المرسلين»[١].

وجملة (وهم مهتدون) «تضمنت بموقعها بعد التي قبلها ثناء على المرسلين وعلى ما يدعون إليه، وترغيبًا في متابعتهم»[٢].

هذا ، وقد مثل القزويني بهذه الآية في الإيضاح، للإطناب المسمى بالإيغال.

يقول القزويني : إنه «لا يختص بالنظم، ومُثِّل بقوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ »[٣] (يس : ٢١).

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (النمل: ٧٩-٨١) .

حيث وقع الإيغال في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ ؛ لأنه يتم المعنى بدونه.

(١) بغية الإيضاح: ١٢٢/٢.
(٢) فتح القدير : ٥١٨/٤، وانظر التحرير والتنوير : ٣٦٧/٢٢.
(٣) بغية الإيضاح: ١٢٢/٢.

وفائدة هذا الإيغال «الإشارة إلى أن الأصم إذا كان مواجهًا لمن يدعوه كان قادرًا على إدراك أنه يدعوه، من تحريك فمه وحركات جسده عند التكلم، لكنه إذا كان مدبرًا مبتعدًا لم يسمع صوتًا ، ولم يدرك حركة دالة عليه، وفيه هنا أيضًا مراعاة كون المتحدث عنهم صُمًّا صممًا معنويًّا بكفرهم، وعدم إيمانهم، وهؤلاء قد يسمعون بعض سماع دون أن يؤثر فيهم حالة المواجهة، فإذا ولوا مدبرين لم يسمعوا شيئًا، فأفاد هذا الإيغال معاني نفسية»[(١)].

❖ ❖ ❖

وفي نهاية التطواف في هذه الرحلة التي عشناها مع الإيجاز والإطناب في آيات الهدى نجد أن هذين الفنيين البلاغيين وردا في أروع نظم، وأفصح بيان سواء كان في إيجاز القصر، أو الإطناب بأنواعه المختلفة من تكرار بعض المعاني، أو تفصيل بعد إجمال، أو إيغال أو تعريض.

وكل وقع في موقعه الأخص به الذي لا يقدر بشر على مراعاته بوجوهه المختلفة الدقيقة، وفرق بين كلام الخالق سبحانه وكلام المخلوق.

❖ ❖ ❖

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٧٩/٢.

الفصل الثالث

الخصائص البلاغية للصور البيانية في آيات الهدى

ويتضمن ثلاثة مباحث هي :

١ – التشـــــبيه.

٢ – الـــمــــجـــاز:

أ – المجاز المرسل .

ب – الاستعارة.

٣– الكناية والتعريض .

الفصل الثالث

المبحث الأول : التشبيه في آيات الهدى

الفصل الثالث

المبحث الأول : التشبيه في آيات الهدى

التشبيه فن من أروع فنون البلاغة، وأقربها رحمًا بالخاطر، وهو نزهة القارىء، ومتعة السامع، وهو تلك الريشة السحرية التي تضفي ظلالا رائعة على الصورة، فتنقلها من عالم الخيال إلى عالم الحس والواقع، فتخرج في أبهى حلة، وأروع زينه.

يقول عنه صاحب (الطراز): «واعلم أن التشبيه هو بحر البلاغة، وأبو عذرتها، وسرها ولبابها وإنسان مقلتها»[١].

وذكر أساطين البلاغة وفرسانها: « أن الغاية الرئيسة من التشبيه أن يمثل الغائب الخفي الذي لا يُعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد، ومن هنا يكشف التشبيه المعنى، ويوضح المراد، ويمثل الشيء بما هو أحسن وأعظم، وأبلغ منه، فيكون ذلك الحسن مكتسبًا من الغلو والمبالغة»[٢].

والتشبيه في اصطلاح البلاغيين هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى معين بأداة من أدوات التشبيه لتقرير المعنى وتأكيده.

وبداهة لكل تشبيه أركان أربعة هي: المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، وقد تذكر كلها في التشبيه، وقد يحذف بعضها لغرض بياني.

والتشبيه والتمثيل «في اللغة لفظان مترادفان على معنى واحد، ولكنهما في اصطلاح البيانيين يخالف كل منهما الآخر»[٣].

---

(١) الطراز: ٣٢٦/١.

(٢) سر الفصاحة: ٢٤٦، وانظر معترك الأقران: ٢٦٩/١، والطراز : ٢٧٧/١.

(٣) البيان في ضوء أساليب القرآن: ٣٣، عبدالفتاح لاشين.

وأول من فرق بينهما شيخ البلاغيين الإمام عبدالقاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، فقد بحث التشبيه بحثًا مستفيضا مستوفيًا، وفرق بين التشبيه والتمثيل، وميز التمثيل فجعله أخص، وبين مواقع التمثيل، وأثره في النفوس، وعلله النفسية في فصل لم يسبق به من ذلك قوله : «التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني كساها أبهة، وأكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، فإن أردت أن تعرف ذلك، فتعهد الفرق بين أن تقول: فلان يكد نفسه في قراءة الكتب ولا يفهم منها شيئًا، وتسكت، وبين أن تتلو الآية : ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ (الجمعة: ٥) .

والمقام يطول بنا لو تتبعنا ما ذكره البلاغيون عن التشبيه والتمثيل جملة، وما يهمني هنا بعد تأمل التشبيهات في آيات الهدى أن أذكر أنها وردت على قسمين: الأول التشبيهات المفردة، والثاني: التشهبيات التمثيلية . وبعد حصر كلا القسمين في آيات الهدى وجدت أن التشبيه التمثيلي كان الأكثر ورودًا من التشبيهات المفردة بوجه عام أما التشبيهات المفردة فأكثرها التشبيه البليغ، وهو ما حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه، ثم المرسل وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه.

وأبدأ أولاً بعرض التشبيهات المفردة بمختلف تفريعاتها ثم التمثيلية.

أولاً: التشبيهات المفردة في آيات الهدى :

١- التشبيه البليغ : هو ما حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه .

وورد ذلك في قوله تعالى : ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٤٦).

حيث وقع التشبيه في قوله تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ ، وهو تشبيه بليغ، حيث حذفت الأداة والوجه للمبالغة.

فقد شبه الله تعالى الإنجيل الذي آتاه لعيسى عليه السلام بالنور والهدى، فهو هداية للناس إلى الحق الذي متى اتبعوه سعدوا في الدنيا والآخرة، وهو ضياء يكشف لهم ما التبس عليهم من أمور دينية ودنيوية، والمراد بالنور كونه بياناً للأحكام الشرعية ولتفاصيل التكاليف.

والغرض من هذا التشبيه هو تعظيم الكتاب المقدس الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام .

وحذف الأداة يجعل المشبه عين المشبه به بلا تفاوت، وهذا أدعى للمبالغة والتوكيد.

يقول محي الدين : «وحذف الأداة ليكونا نفس الإنجيل للمبالغة»[١].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٨).

في هذه الآية تشبيه بليغ في قوله : (ينظرون إليك)، والتقدير : وتراهم كأنهم ينظرون إليك.

قال ابن عاشور: معنى (ينظرون إليك) : «على التشبيه البليغ؛ لأن صور كثير من الأصنام في الجاهلية كانت على صور الأناسي، وقد نحتوا لها في وجوهها عيونًا تشبه عيون الأناسي، وهذا دليل على عجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السمع؛ لأنك ترى هذه الأصنام كأنها تنظر إليك بواسطة العيون الصناعية؛ ولكنها في الواقع لا تبصر»[٢].

(١) إعراب القرآن وبيانه: ٤٩٢/٢، وانظر الجدول في الإعراب: ٣٧٦/٦.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٢٥/٩.

ويقول الزمخشري: «لأنهم صوّروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليـــه، وهم لا يدركون المرئي»[١].

ولم يذكر أحد من المفسرين الذين راجعتهم أن في الآية تشبيها بليغا إلا ابن عاشور، وهـــو محق ولذا فأنا أؤيد ابن عاشور فيما ذهب إليه.

والغرض من هذا التشبيه هنا هو توبيخ المشركين، وآلهتم أعظم توبيخ حيث أثبتت الأدلـــة المنطقية، ووسائل الحس والمشاهدة أن هذه الأصنام لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرا، فكيف ســـوغت لهم عقولهم هذه الانتكاسة؟

وحذف الأداة ووجه الشبه من التشبيه يفيد المبالغة والتوكيد؛ لأن المشبه يصير عين المشـــبه به بلا تفاوت، وهذا النوع من التشبيه يحتل المكان الأسمى بين أنواع التشبيه الأخرى.

وجمال التشبيه هنا يتمثل في كون الصورة التي دل عليها التشبيه أكثر بيانًا، وأوضح دلالة، وأدق أداءً من الكلمات التي تدل بوضعها اللغوي على المعنى مباشرة دون استخدام التشبيه.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (النمل: ٨٠-٨١).

حيث وقع التشبيه في قوله : (لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء) وقوله: (وما أنـــت بهادي العمي).

(١) الكشاف: ٢/٣٢٦.

فشبه الله المشركينَ بالعمي الذين فقدوا البصر، ولم يميزوا بين طريق الهدى والضلال؛ وذلك لأنهم لم ينتفعوا بهذه الحواس فصاروا كالفاقدين لها، وقوله : (إذا ولَّوا مدبرين) «لتتمـيم التشـبيه، وتأكيد نفي السماع. أي : أعرضوا عن الحق إعراضا تامًا، وأدبروا عن الاستماع إلى الرسول ﷺ، فإن قلت ما معنى (مدبرين) والأصم لا يسمع صوتا سواء أقبل أو أدبر؟ قلت: هو تأكيد ومبالغـة وقيل: إن الأصم إذا كان حاضرًا قد يسمع برفع الصوت، أو يفهم بالإشارة، فإذا ولى لم يسمع ولم يفهم، ومعنى الآية إنه لفرط إعراضهم عما يدعون إليه كالميت الذي لا سبيل إلى سماعه، وكالأصـم الذي لا يسمع، ولا يفهم»[1].

والغرض من التشبيه : «هو تشنيع حالهم الموصوفة بالصفات السابقة الذكر، ويعرف عنـد البلغاء تكرير التشبيه»[2]، وفي حذف الأداة ووجه الشبه قوة في المعنى، ومبالغة فيـه؛ لأن المشـبه يصير عين المشبه به، وفي التعبير بالتشبيه أيضًا ذم وتحقير للمشركين الذين طعنوا في القرآن الكريم.

٢- التشبيه المرسـل :

هو ما ذكرت فيه أداة التشبيه.

وورد من ذلك قـوله تعـالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ (المدثر: ٣١).

---

(١) تفسير الخازن: ٨٦/٥، وانظر تفسير ابن عجيبه: ٤٠٠/٤، وانظر الوسيط: ٣٢٧٣/١.

(٢) الإبداع البياني: ٣٧، وانظر التحرير والتنوير: ٣٦/٢٠، والكشاف: ١٠٩/٥، وتفسير النسفي: ٢٣/٣.

وقع التشبيه في قوله : (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) فالكاف في قوله: (كذلك) أداة تشبيه بمعنى مثل، واسم الإشارة(ذلك) يشير إلى المشبه به الذي تضمنه الكلام السابق من استيقان أهل الكتاب، وازدياد المؤمنين إيمانًا، واستنكار الكافرين، ومن في قلوبهم مرض لهذا العدد المستغرب من جعل خزنة جهنم تسعة عشر.

يقول القرطبي: «كذلك يضل الله عن الجنة من يشاء ويهدي إليها من يشاء»[١]، ويقول البغوي : «أي كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة، وهدى من صدق كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء»[٢]، فالمشبه محذوف لوضوحه، ولدلالة السياق عليه.

يقول الصابوني: «أي مثل ما أضل الله أبا جهل وأصحابه يضل الله عن الهداية والإيمان من أراد إضلاله، ويهدي من أراد هدايته»[٣]، وهو من التشبيه المرسل المجمل، حيث ذكرت الأداة ولم يذكر وجه الشبه.

ووجه الشبه هو «السببية في اهتداء من يهتدي، وضلال من يضل في أن كلاً من المشبه والمشبه به جعله الله سببا وإرادة لحكمة اقتضاها علمه، فتفاوت الناس في مدى إفهامهم فيه بين مهتد ومرتاب مختلف المرتبة في ريبه، ومكابر كافر وسيء فهمٍ كافر»[٤].

والغرض من التشبيه «تقريب المعنى المعقول، وهو تصرف الله سبحانه بخلق أسباب الأحوال العارضة للبشر إلى المعنى المحسوس المعروف في واقعة الحال تعليمًا للمسلمين، وتنبيهًا للنظر في

---

(١) تفسير القرطبي: ٨٢/١٩.
(٢) تفسير البغوي: ٢٧١/٨، وانظر تفسر الجلالين: ٣٧/٢، وتفسير أبي السعود: ٤٠٧/٦.
(٣) تفسير الصابوني: ١٤٢٢/٣.
(٤) التحرير والتنوير: ٣١٨/٢٩.

تحصيل ما ينفع نفوسهم»[١].

وفي التعبير بالتشبيه تعريض بالمشككين في عدد خزنة جهنم، وفضل الذكر الحكيم استخدام التشبيه ليبين الغاية من ذكر هذا العدد أوضح بيان، فالله تعالى جعل عدد الزبانية تسعة عشر ليتيقن أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى أن هذا الرسول حق، فإنه جاء بما يطــابق كتبــهم الســماوية المنــزلة على الأنبياء قبله، فإن فيها عدد خزنة جهنم تسعة عشر، ولكي يــزداد المــؤمنين إيمانــاً وتصديقاً حين يرون موافقة أهل الكتاب لهم.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير: ٣١٨/٢٩.

ثانيًا: التشبيهات التمثيلية المركبة في آيات الهدى:

١–تشبيه مركب معقول بمركب محسوس:

وورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

ذكر الله عز وجل في هذه الآية الكريمة لكيفية إبطال الصدقة بالمن والأذى مثلين:

الأول : في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ .

حيث شبه الله عز وجل بعض المتصدقين المسلمين الذين يتصدقون طلبا للثواب، ويعقبون صدقاتهم بالمن والأذى بالذي ينفق ماله رئاء الناس أي : المنفقين الكافرين الذين ينفقون أموالهم لا يطلبون من إنفاقها إلا الرئاء، والمدح إذ هم لا يطلبون أجر الآخرة. والمشبه معقول، والمشبه به محسوس.

ووجه الشبه : « عدم الانتفاع مما أعطوا بأزيد من شفاء ما في صدورهم من حُبِّ التَّطَاوُلِ على الضعفاءِ، وشفاء خُلُقِ الأَذى الْمُتطبِّعِينَ عليه دون نفع في الآخرة»[١].

المثل الثاني في قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾.

---

(١) التحرير والتنوير: ٤٨/٣.

حيث شبه هنا حال المنفق ماله في الصدقة رياء وسمعة، بحال الحجر الأملس، وقد غطته قشرة رقيقة من التراب يظنه الناظر صالحـًا للزرع والإنبات لكن وابل المطر إذا نزل لم يلبث أن يزيل هذه القشرة، فيبدو الحجر على حقيقته ليس صالحـًا للزراعة أو الانبات.

ووجه الشبه : حالة الشيء تبدو للرائي حسنة، ولكن نهايته سيئة، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن وجه الشبه هو: «الأمل في حالة تَغُرُّ بالنفع ثم لا تلبثُ أَلاّ تَأْتي لآملها بما أملَهُ، فخابَ أملُهُ. ذلك أن المؤمنين لا يخلون من رجاء حصول الثواب لهم من صدقاتهم، ويكثر أن تعرض الغفلة للمتصدق، فيتبع صدقته بالمن، والأذى»[١]. وهو تشبيه مركب معقول بمركب محسوس.

وفائدة التشبيه هنا التنفير من المن والأذى؛ لأنه سبحانه شبه حال المتصدق المتصف بهما في إبطال عمله بسببها بحال المنافق المرائي الذي ينكشف أمره مثل الحجر الأملس.

والغرض من التشبيه تقريب صورة المشبه إلى ذهن المتلقي؛ لأن المشبه به أكثر وضوحا من المشبه، وفي ذلك الحث على الإنفاق لوجه الله تعالى، فيبارك الله له فيما أنفق، والتحذير من الإنفاق طلبًا للشهرة والثناء، والتعريض بالرياء والمنّ، والأذى؛ لأن هذه من صفات الكفار التي لا بد للمؤمنين أن يجتنبوها.

وجاء التعبير (بالصفوان) دون (الحجر الأملس)، وذلك لدلالة لفظ الصفوان على الصفاء، وأنه لا مسام له يمكن أن تدركه العين، وهذا يتناسب مع سياق الآية في بيان زوال أجرهم؛ لأن الشيء عندما يكون ناعمًا، ويأتي عليه المطر ينزل ما عليه.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير: ٤٩/٣، وانظر الإبداع البياني في القرآن الكريم: ٤٨، والبحر المحيط: ٢٢٤/١.

ومن هذا النوع أيضًا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام: ٧١).

يصور القرآن في هذه الآية «حال من يشرك بالله بعد التوحيد، بحال من أضلته الشياطين في الصحراء، وله أصحاب يدعونه إلى الهدى، وينادونه ائتنا، وهو بين هذا الاستهواء، وهذا الدعاء حيران لا يدري أي الفريقين يجيب، وهو تشبيه معقول بمحسوس»(١).

والتشبيه في هذه الآية من الممكن فك أجزائه يقول ابن عاشور: و«هذا التركيب صالح للتفكيك بأن يشبه كل جزء من أجزاء الهيئة المشبهة بجزء من أجزاء المشبهه بها، بأن يشبه الارتداد بعد الإيمان بذهاب عقل المجنون، ويشبه الكفر بالهيام في الأرض، ويشبه المشركون الذين دعوهم إلى الارتداد بالشياطين، وتشبيه دعوة الله الناس للإيمان، ونزول الملائكة بوحيه بالأصحاب الذين يدعونه إلى الهدى»(٢).

(وأرى أن هذا التشبيه من قبيل تشبيه العقلي الحقيقي بالعقلي الوهمي).

ووجه الشبه : التحول المذموم، والرجوع إلى الهزيمة والعجز، وفائدة التشبيه: هو تشنيع حالة المرتد عن دينه، وتقبيحه.

وجاء التعبير بـ (استهوته) دون (ذهب عقله وهواه)؛ لدلالة لفظ استهوته على ذهاب عقله وهواه؛ و«العرب يقولون: استهوته الشياطين، إذا اختطفت عقله فسيرته كما تريد، ويقولون أيضًا: استهامته الجن إذا طلبت هُيَامَهُ بطاعتها، وقوله : (في الأرض) متعلق باستهوته؛ لأنه يتضمن

---

(١) البيان في ضوء أساليب القرآن: ٤٦.

(٢) التحرير والتنوير: ٧/٣٠٢-٣٠٣، وانظر تفسير البيضاوي: ٢/١٦٦، والكشاف: ٢/١٥٣، والدر المنثور: ٤/٧٩، والخازن : ٤/٤٠٦.

معنى ذهبت به وضل في الأرض. وذلك لأن الحالة التي تتوهمها العرب استهواء الجن يصاحبها التوحش وذهاب المجنون على وجهه في الأرض رَاكبًا رأسه لا ينتصح لأحد، كما وقع لكثير من مجانينهم ومن يزعمون أن الجن اختطفتهم»(١).

٢- تشبيه هيئة معقولة بهيئة متخيلة:

وورد ذلك في قوله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام : ١٢٥).

جاء التشبيه في قوله ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

حيث شبه الله عز وجل صدر الكافر في نفوره من الإيمان، وثقله عليه بمن تكلف ما لا يطيقه، وهو كالصاعد إلى السماء الذي يضيق تنفسه في الصعود، وذلك لأنه يخالف الجاذبية الأرضية، والذي يصعد يحتاج إلى قوة ليتحرك إلى أعلى، فالصعود يحتاج جهدًا أكثر وطاقة أكبر، فإذا ضاق صدره لم يعد قادرًا على التنفس بطريقة مريحة، «وهذا تشبيه هيئة معقولة بهيئة متخيلة؛ لأن صعود السماء غير واقع»(٢).

قال الإمام الطبري رحمه الله «هذا مثل ضربه الله لقلب الكافر في شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه، مثل امتناعه عن الصعود إلى السماء، وعجزه عنه؛ لأنه ليس في وسعه»(٣).

---

(١) التحرير والتنوير: ٧/٣٠١-٣٠٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٨/٦٠.

(٣) جامع البيان للطبري : ١٢/١٠٢.

وسر التعبير بقوله : (كأنما يصعد في السماء) لأن «هذا من تمام التمثيل، أي يجعل صدره ضيقًا شديد الضيق، شبهه مبالغة في ضيق صدره، بمن يعلو ويرتفع في طبقات الجو، حتى تكاد نفسه تزهق، وروحه تتمزق، وتكاد تخرج من جلدها، وتأتيه عوارض الاختناق من قلة الأكسجين، وهذه حقيقة علمية يعرفها رواد الفضاء....»(١).

وفائدة هذا التشبيه التمثيلي تقرير صفة المشبه في ذهن السامع والتأثير في العواطف فترغب أو ترهب، ومن أجل هذا كان للمشركين نصيب وافر من التشبيه الذي يصور وقع الدعوة على قلوبهم تصويرا واضحًا.

❖ ❖ ❖

٣- تشبيه محسوس مجهول بمحسوس معلوم:

وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ (يونس: ٤٥).

وقع التشبيه في قوله : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ ﴾حيث شبه حال المشركين المنكرين يوم البعث والجزاء بحال من لم يلبث إلا ساعة أي مدة قصيرة من النهار، فهذا الخطب الجليل وهو (الحشر) قد أنساهم مكثهم تحت التراب.

يقول القرطبي في ذلك : «أي كأنهم لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة من النهار، أي قدر ساعة يعني أنهم استقصروا طول مقامهم في القبور لهول ما يرون من البعث دليل قولهم لبثنا يومًا أو بعض

---

(١) الإبداع البياني في القرآن الكريم: ٩٢، للصابوني، وانظر التعبير القرآني: ٤٣، للسامرائي، ومن بلاغة القرآن: ١٥٧، لأحمد بدوي.

يوم، وقيل : إنما قصُرت مدة لبثهم في الدنيا من هول ما استقبلوا إلا مدة كونهم في القبر، ورأوا أن طول أعمارهم في مقابلة الخلود كالساعة»(١).

ويقول الألوسي : «ليس المراد من التشبيه ظاهره كما قيل، وقد صرح في شرح المفتاح أن التشبيه كثير ما يذكر، ويراد به معانٍ آخر يترتب عليه، فالمراد إما التأسف على عدم انتفاعهم بأعمارهم، أو تمني أن يطول مكثهم قبل ذلك حتى لا يشاهدوا ما شاهدوه من الأهوال، فمآل الجملة في الآخرة نحشرهم متأسفين، أو متمنين طول مكثهم قبل ذلك، ويجوز أن يراد نحشرهم مشبهين في أحواله الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا، ولم يتقلب في نعميها إلا يسيرا ، فإن من أقام بها دهرًا، وتمتع بمتاعها، لا يخلو عن بعض آثار نعمه، وأحكام بهجة منافيه لما بهم من رثاثة الهيئة، وسوء الحال. وإليه ذهب بعضهم، والظاهر إنه تكلف لإبقاء التشبيه على ظاهره، والأول أولى كما لا يخفى، وأيها كان، ففائدة التشبيه كنار على علم»(٢).

وأنا أرجح قول القرطبي لأن المشبه هو حالهم يوم البعث، وأداة التشبيه كأن المخففة، فهو تشبيه محسوس مجهول أو غيبي بمحسوس معلوم.

وفائدة التشبيه: تقريب هذه الصورة إلى الذهن، وتصوير الحالة النفسية للمبعوثين وتقرير عقيدة البعث والجزاء، وبيان بأن المكذبين بلقاء الله خاسرون لا محالة، ولم يكونوا موفقين لإصابة الرشد مما فعلوا من تكذيبهم بلقاء الله؛ ولذلك أتى بحرف التحقيق (قد)..

وجاء التعبير بالساعة دون عشية؛ وذلك لدلالة لفظ (الساعة) على المدة القصيرة من النهار التي لا تتسع تلك المدة من النهار إلا للتعارف فيما بينهم، وخصت الساعة بكونها من النهار؛ لأنها

---

(١) الكشاف: ٢٤٩/٢، وانظر البحر المحيط: ١٦٣/٥.

(٢) روح المعاني: ١٩/٨.

أعرف من ساعات الليل، وهذا التعارف يكون لتوبيخ، وافتضاح لقول بعضهم لبعض أنت أضللتني، وأغويتني، وهذا يتناسب مع سياق الآية.

❖ ❖ ❖

ومن هذا اللون أيضًا ما ورد في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ (النور: ٣٥).

حيث وقع التشبيه في قوله تعالى : ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ الآية، وهو تشبيه تمثيلي.

حيث شبه صفة نوره العجيبية الشأن في الإضاءة والسطوع بمشكاة وهي الفتحة الصغيرة في الجدار دون أن تكون نافذة فيه، وهذه المشكاة فيها سراج ضخم ثاقب تشع منه الأنوار، واختار المصباح؛ لأن وجوده في المشكاة يكون أجمع لنوره، وأحصر لضيائه، فيبدو قويا متألقا.

يقول أبو السعود: «شبه نور الله الذي وضعه في قلب عبده المؤمن بالمصباح الوهَّاج في كوة داخل زجاجة تشبه الكوكب الدريَّ في الصفاء والحسن...»[(١)]، وسُمي تمثيلاً؛ لأن «وجه

(١) تفسير أبي السعود: ٥/٥٠، وانظر تفسير ابن عجيبة، والسمرقندي: ٣/١١٦، والصابوني: ٢/٨٠٠.

الشبه منتـــزع من متعدد، وهو من روائع التشبيه»[١].

والمراد أن النور الذي شبه به الحق «نور متضاعف قد تناصر فيـــه المشـــكاة، والزجاجـــة والمصباح، والزيت حتى لم تبق بقية مما يقوي النور، واختلفوا في هذا التشبيه هل هو تشبيه تمثيلي أي مركب قصد فيه تشبيه جملة بجملة من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء بل قصد تشبيه هـــداه وإتقانـــه صنعته في كل مخلوق على الجملة بهذه الجملة من النور الذي تتخذونه، وهو أبلـــغ صـــفات النـــور عندكم، أو تشبيه غير تمثيلي أي غير مركب قصد فيه مقابلة جزء بجزء»[٢].

يقول ابن عاشور في هذه « الآية تمثيل لهيئة إرشاد الله المؤمنين بهيئة المصباح الذي حُفَّتْ به وسائل قوة الإشراق، فهو نور الله لا محالة، وإنما أوثر تشبيهه بالمصباح الموصـــوف بمـــا معـــه مـــن الصفات دون أن يشبه نوره بطلوع الشمس بعد ظلمة الليل لقصد إكمال مشابهة الهيئة المشبه بهـــا بأنها حالة ظهور نور يبدو في خلال ظلمة، فتنقشع به تلك الظلمة في مساحة يراد تنويرها ودون أن يشبه بهيئة بزوغ القمر في خلال ظلمة الأفق لقصد إكمال المشابهة؛ لأن القمر يبـــدو، ويغيـــب في بعض الليلة بخلاف المصباح الموصوف»[٣].

وأبدع الكرخيُّ في تحديد هذا التشبيه التمثيلي فقال : «... ومثل الله نوره أي معرفتـــه في قلب المؤمن بنور المصباح دون نور الشمس مع أن نورها أتم؛ لأن المقصود تمثيل النور في القلـــب، والقلب في الصدر، والصدر في البدن بالمصباح، والمصباح في الزجاجة، والزجاجة في القنديل، وهذا التمثيل لا يستقيم إلا فيما ذكر، أو لأن نور المعرفة له آلات يتوقف هو على اجتماعها كالـــذهن،

---

(١) تفسير الصابوني: ٨٠٠/٢.

(٢) إعراب القرآن وبيانه: ٦٠٩/٦، وانظر الجدول في الإعراب : ٢٦٥/١٨.

(٣) التحرير والتنوير : ٢٣٤/١٨-٢٣٥.

والفهم والعقل واليقظة وغيرها، ولأن نور الشمس يشرق متوجهاً إلى العالم السفلي، ونور المعرفة يشرق متوجهًا إلى العالم العلوي كنور المصباح، ولكثرة نفع الزيت وخلوصه عما يخالطه غالبًا وقع التشبيه في نوره دون نور الشمس مع أنه أتم من نور المصباح»(١).

ويلاحظ هنا أن المشبه أكمل وأتم في وجه الشبه من المشبه. يقول الصعيدي: «ومن التشبيه ما يكون المشبه فيه أتم من المشبه به، لأن الغرض منه بيان الحال لا تقريره»(٢).

وفائدته تقريب صورة هذا المثل الذي ضربه الله للإيمان، وقلب عبده المؤمن، ومن هو أهل للهداية، ومن ليس لها بأهل إلى الفهم، فقد صور هذا التشبيه المعنوي في صورة محسوسة؛ لترسيخها في الأذهان، وتثبيتها في أعماق النفس، فيصير الإيمان راسخًا في القلب، وهذا من مزايا القرآن الكريم في تصوير المعاني والمعقولات بصور الماديات والمحسوسات.

❖ ❖ ❖

ومن صور التشبيه التمثيلي قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الملك: ٢٢).

حيث وقع التشبيه في قوله تعالى : ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي﴾ وهذا تمثيل رائع لحال المؤمن والكافر ، حيث شبه سبحانه المؤمن في تمسكه بالدين الحق، ومشيه على منهجه بمن يمشي في الطريق المعتدل ليس فيه ما يتعثر به، وشبه الكافر في ضلاله بمن يمشي في الطريق الوعر

(١) إعراب القرآن وبيانه: ٦٠٩/٦-٦١٠.
(٢) بغية الإيضاح : ٣٦/٢.

الذي فيه حفر وارتفاعات، وانخفاضات، فيعثر ويسقط على وجهه، وكلما تخلص من عثرة وقع في الأخرى.

فالمذكور في الآية المشبه به، والمشبه محذوف لدلالة السياق عليه، فالسياق في هذه الآية الكريمة ما زال في مطلب هداية كفار قريش، فلذلك عبَّر القرآن لكريم باسم التفضيل (أهدى) المسلوب المفاضلة، وفي حذف المشبه إكساب المعنى قوة وفخامة في الأسلوب.

والغرض من التشبيه لفت أنظار الناس إلى التفكر والاعتبار، وتوبيخ للمشركين على جهالاتهم وطغيانهم.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما ورد في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الجمعة: ٥).

التشبيه هنا ورد في قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ حيث شبه الله عز وجل اليهود الذين لم ينتفعوا بما في التوارة من الدلالة على الإيمان بمحمد ﷺ والبشارة به، بالحمار الذي يحمل أسفارًا، وهي الكتب العظام؛ لأنها تسفر عما فيها من المعاني إذا قرئت، فهو يحملها، ولا يدري ما فيها، فهو يمشي بها، ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره، من الكد والتعب، وكل من علم ولم يعمل بعلمه، فهذا مثله.

ووجه الشبه كما قال القزويني : «حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه»[1]. فالحمار يمشي في طريقه، وهو لا يحس بشيء مما يحمله على ظهره إلا بالكد

(١) الإيضاح: ٢/٢٩.

والتعب، وكذلك اليهود قرأوا التوراة وحفظوها، ولم يعملوا بها، وهو تشبيه تمثيلي، وأداة التشبيه: الكاف.

والغرض من التشبيه التحقير والإهانة والتوبيخ بالبلادة إذا الحمار يُعرف بها.

يقول الإمام ابن كثير : «يقول – تعالى – ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة، فلم يعملوا بها إن مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا، فهو يحملها حملاً حسيًا، ولا يدري ما عليها، وكذلك هؤلاء لم يعملوا بمتقضى ما في التوراة بل أولوه وحرفوه، فهم أسوأ من الحمار؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها، ولهذا قال تعالى في آية أخرى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [(١)] (الأعراف: ١٧٩).

وهذا التشبيه كما يقول القزويني من التشبيه البعيد الغريب الذي «لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر لخفاء وجهه في بادىء الرأي»[(٢)]، وسبب خفائه ندرة حضور المشبه به في الذهن عند حضور المشبه لبعد المناسبة بينهما .

وختم المولى عز وجل الآية بقوله : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لبيان الأسباب التي أدت إلى عدم توفيق الله تعالى لهم، فهم ظلموا أنفسهم بأن آثروا الغنى على الرشد، والعمى على الهدى.

❖ ❖ ❖

(١) تفسير القرآن العظيم: ١١٧/١٨، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير.

(٢) الإيضاح: ٥٦/٢.

مما سبق اتضح لنا أن التشبيه بنوعيه التمثيلي وغير التمثيلي وردا في آيات الهدى، كما رأينا أن التشبيه فيها قد بلغ الذروة، وارتقى القمة في اختيار ألفاظه الدقيقة المصورة الحية، سواء المستمدة من عناصر الطبيعة، والمستوحاة من الواقع، أو المتخيلة، فهو كما شاهدنا يوضح المعنى، ويثبته في الذهن، ويكسبه تأكيدًا، ويقرب الصورة للذهن، فيصور المعاني والمعقولات بصور المرئيات والمحسوسات، وذلك لأن بلاغة التشبيه تنحصر في إيجاد علاقات جديدة بين الأشياء.

❖ ❖ ❖

الفصل الثالث

المبحث الثاني : المجـــاز

أ- المجاز المرســل .

ب - الاستعـــــارة

الفصل الثالث

المبحث الثاني : المجــــــــاز

٢- المجــــــــاز :

أ – المجاز المرسل في آيات الهـــــدى :

المجاز المرسل هو أحد أنواع المجاز اللغوي، وقد أشار القدماء إلى هذا النوع من المجاز.

يقول ابن قتيبة: «العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بســبب من الآخر أو مجاورًا لها أو مشاكلاً»(١).

وعرَّفه القزويني بقوله: « هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه، وما وضع له ملابسة غير التشبيه»(٢)، وبذلك أخرج القزويني المجاز المرسل من باب التشبيه.

وسُمِّي مرسلاً، لأن الإرسال في اللغة الإطلاق، والمجاز الاستعاري مقيد بادّعاء أن المشبه من جنس المشبه به، والمرسل مطلق ومحرر من هذا القيد . وقيل : «إنما سُمَّي مرسًلا لإرساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة، بل ردد بين علاقات بخلاف المجاز الاستعاري، فإنه بعلاقة واحدة هي المشابهة»(٣).

وذكر السيوطي هذا النوع من المجاز تحت عنوان (المجاز في المفرد) بعد أن عدَّ (المجاز العقلي) مجازًا في التركيب ، وذكر أنواعه»(٤).

وأهم علاقات المجاز المرسل : السببية، والمسببية، والكلية، والجزئية، واعتبار ما ســيكون، والمحلية والحالية، والآلية والاشتقاق.

---

(١) تأويل مشكل القرآن: ١٠٢، لابن قتيبة ، تحقيق: السيد صقر.

(٢) الإيضاح: ٣٩٧/٢، وانظر التلخيص: ٢٩٥.

(٣) حاشية الدسوقي : ٢٩/٤، لمحمد بن أحمد الدسوقي.

(٤) الإتقان في علوم القرآن: ٧٥٦/٢ وما بعدها.

وقد تتبعت صور المجاز المرسل وعلاقاته المختلفة في آيات الهدى، فاستبان لي مجيء بعض علاقات المجاز المرسل في آيات الهدى على النحو الآتي :

❖ ❖ ❖

١- علاقة السببية:

ومعناها: «أن يكون اللفظ المذكور سببًا في المعنى المراد، وهي تسمية المسبب باسم السبب»(١).

وورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(الأعراف: ٢٠٣).

حيث ورد المجاز المرسل في قوله : (هذا بصائر).

و«البصائر جمع بصيرة، والبصيرة هي من الإبصار، وأصلها ظهور الشيء وبيانه حتى يبصر الإنسان فيهتدي»(٢).

وفي هذا الإطلاق مجاز مرسل من باب تسمية (السبب باسم المسبب)(٣)، فالسبب كون القرآن بصائر العقول به يبصر الإنسان الحق، ويدرك الصواب، وقال الرازي : « أصل البصيرة الإبصار، ولما كان القرآن سببًا لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة، والمعاد، أطلق عليه لفظ البصيرة تسمية للسبب باسم المسبب»(٤).

---

(١) الإيضاح: ٨٣/٢.

(٢) انظر: تفسير الرازي: ٣٤٥/٧، والتحرير والتنوير: ٢٣٨/٩، والسمرقندي: ١٧٤/٢ .

(٣) تفسير الزمخشري : ٣٣٠/٢ ، وانظر تفسير أبي السعود: ٨٩/٣، والألوسي: ٤٩٣/٦، والبيضاوي: ٣٥٩/٢. ونظم الدرر : ٣٢٩/٣.

(٤) تفسير الرازي : ٣٤٥/٧.

ولو جاء الأسلوب على حقيقته لقال: هذا القرآن فيه حجج، وبراهين ظاهرة لكم، ولكنه أتى بالمجاز؛ لأن فيه تأدية المعنى المراد بألفاظ أقل مما تؤديه الحقيقة في قوله: هذا بصائر، وجعلها جمعًا؛ إشارة إلى أن في «القرآن أنواعاً من الهدى على حسب النواحي التي يهدي إليها من تنوير العقل في إصلاح الاعتقاد، وتسديد الفهم في الدين، ووضع القوانين للمعاملات والمعاشرة بين الناس، والدلالة على طرق النجاح والنجاة في الدنيا، والتحذير من مهاوي الخسران»[(١)].

وفي ختم المولى الآية بقوله : (لقوم يؤمنون) «إيذان بأن كون القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة إلى الكل، وبه تقوم الحجة على الجميع، وأما كونه هدى ورحمة، فمختص بالمؤمنين إذ هم المقتبسون من أنواره، والمغتنمون بآثاره»[(٢)].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (النحل : ٩).

فقصد السبيل : «مصدر قصد بمعنى إقامة السبيل، أو تعديل السبيل، وليس مصدر (قصدته) بمعنى أتيته، وهو مصدر يوصف به»[(٣)].

والمجاز في لفظ السبيل حيث أطلق السبيل، وهو الطريق، وأريد منه ما «يأتيه الناس من الأعمال من حيث هي موصلة إلى دار الثواب»[(٤)]، أو دار العقاب؛ لأن سبيل الهدى تحصل به

(١) التحرير والتنوير : ٢٣٨/٩.
(٢) تفسير أبي السعود : ٨٩/٣.
(٣) تفسير اللباب : ٨٤/١٠، وانظر الدر المصون: ٢٨١٣/١.
(٤) التحرير والتنوير : ١١٢/١٤.

السعادة الأبدية، وعلاقة المجاز هنا هي السببية، لأن السبيل المستقيم سبب لدخول الجنة، والسبيل المعوج الجائر سبب لدخول النار.

ويقول أبو السعود إن (قصد السبيل) استعارة وليس بمجاز «يقال سبيل قصد وقاصد، أي مستقيم على طريقة الاستعارة»(١).

لكن الرأي الراجح عندي أن لفظ السبيل مجاز مرسل، وليس استعارة لأن المقصود واضح، وهو بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه إلى الحق الذي هو التوحيد بنصب الأدلة، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب لدعوة الناس إليه، فلفظ السبيل سببًا عن المعنى المراد إما دخوله الجنة أو النار.

❖ ❖ ❖

ووردت علاقة السببية أيضًا في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (الفتح: ٢٠).

حيث ورد المجاز المرسل في قوله : (وكف أيدي الناس..).

والكف : «منع الفاعل من فعل أراده أو شرع فيه، وهو مشتق من اسم الكف التي هي اليد؛ لأن أصل المنع أن يكون دفعًا باليد، ويقال: كف يده عن كذا إذا منعه من تناوله بيده»(٢).

فإطلاق الكف هنا «مجاز على الصرف أي : قدر الله كف أيدي الناس عنكم، بأن أوجد أسباب صرفهم عن أن يضروكم بسوء سواء نووه أو لم ينووه»(٣).

---

(١) تفسير أبي السعود : ١٠٠/٤.

(٢) تفسير الطبري : وانظر تفسير الخازن: ٤٣٩/٥، وتفسير حقي ١٢/١٤.

(٣) التحرير والتنوير: ٧٨/٢٦.

وعلى ذلك فالكف مجاز مرسل لعلاقة السببية ، حيث ذكر الكف الذي هو سبب في الضر والنفع كما تكون اليد كذلك.

وبلاغة المجاز تظهر في تصوير المعنى المجازي خير تصوير وأدقه، حيث ذكر الله تعالى أفضاله وإنعامه على المؤمنين المبايعين الله ورسوله بأنه أنزل السكينة عليهم، وأثابهم فتحًا قريبًا، ومغانم كثيرة، وكف أيدي الناس عنهم، والمقصود بالناس : أي «وكفّ أيدي قريش عنكم يوم الحديبية بالصلح، وقيل كفَّ أيدي أهل خيبر وأنصارهم عن قتلهم، وقذف في قلوبهم الرعب، وقال قتادة: كفَّ أيدي اليهود عن المدينة بعد خروج الرسول ﷺ إلى الحديبية وخيبر، ورجح هذا ابن جرير»[(١)].

❖ ❖ ❖

٢- علاقة المسببية:

ومعناها: «أن يكون اللفظ المذكور مسببًا عن المعنى المراد، وهي تسمية السبب باسم المسبب»[(٢)].

من ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٥).

حيث ورد المجاز المرسل في قوله : (يشرح صدره).

(١) فتح القدير : ٤٩٨/٦، وانظر التحرير والتنوير : ١٧٧/٢٦-١٧٨، وروح المعاني : ٢١٢/١٩.

(٢) الإيضاح: ٨٤/٢.

والشرح: « البسط والتوسعة، ويقال: شرح الله صدره فانشرح، والشرح: الفتح، ومنه شرحت لك الأمر، وشرحت اللحم فتحته وأصله: التوسعة»[(١)].

فاستعمل (الشرح) مجازًا في البيان والكشف، وانجلاء الأمر، ويقين النفس به، وتكون مهيأة بحلول الحق مصفاة عما يمنعه وينافيه، لأن من يرد الله أن يهديه للإيمان بالله وبرسوله، وبما جاء به من عنده يوفقه، ويشرح صدره لقبول الإيمان ويهونه عليه بفضله، وكرمه فعند ذلك يستنير الإسلام في قلبه فيضيء به، ويتسع له صدره، فالشرح مجاز عن الاتساع في قبول الحق، وهو مسبب عن ذلك فذكر المسبب وأراد السبب مبالغة.

لأنه لما نزلت هذه الآية سئل النبي ﷺ عن شرح الصدر فقال: «نور يقذفه في قلب المؤمن فيشرح له وينفسح قيل فهل لذلك أمارة قال: نعم الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت*»[(٢)].

لكن هناك من قال إن شرح الصدر «كناية وليس بمجاز لأن بعض المفسرين قالوا: كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعها منه»[(٣)]، والراجح المجاز والله أعلم.

---

(١) تفسير الطبري: ٩٨/١٢، وانظر: تفسير الزمخشري: ١٧١/٢، وأبي السعود: ٤٣٠/٢، وفتح القدير: ٤٧٥/٢، ونظم الدرر : ١٢٧/٣، وروح المعاني : ١٨/٦، والبغوي: ١٨٦/٣، والبحر المحيط: ٢٣٤/٥، والخازن: ٤٥٤/٢، والتحرير والتنوير : ٥٨/٨.

(٢) التحرير والتنوير : ٥٨/٨، وانظر تفسير الخازن : ٤٥٤/٢.

* أخرجه الطبري : (٩٨/١٢-١٠٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات: (٢٥٧/١-٢٥٨)، وقال البيهقي هذا منقطع، وانظر الدر المنثور: (٣٥٤/٣)، فقد عزاه لابن المبارك في الزهد، وعبدالرزاق، وابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وضعفه الشيخ محمود شاكر في تعليقه على الطبري.

(٣) تفسير الألوسي: ١٨/٦، وانظر تفسير البيضاوي: ٢٠٢/٢.

وبلاغة المجاز تكمن في تصوير المعنى المجازي أدق تصوير، وبخاصة من يكتب عليه الضلال يكن صدره ضيقًا شديد الضيق كأنه من الضيق يصعد إلى مكان مرتفع بعيد، فتتصاعد أنفاسه، ولا يستطيع فعل شيء بعكس من يكتب له الهداية يتسع صدره لنور الإسلام.

وبذلك تكون هذه الآية الكريمة قد تضمنت في طواياها مجازًا مرسلاً كما هنا، وتشبيهًا تمثليًّا كما سبق ذكره، وهذا مما زاد المعنى براعة، وقوة وفخامة.

❖ ❖ ❖

٣- علاقة اعتبار ما سيكون :

وهي «تسمية الشيء بما يؤول إليه»[(١)].

وورد ذلك في آيات الهدى في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٢).

حيث ورد المجاز المرسل في قوله : (للمتقين).

والمتقين : «جمع متقٍ اسم فاعل من اتقى وأصله أوتقى- بوزن - افتعل - من وقى الشيء وقاية، أي صانه وحفظه»[(٢)].

وسمى الضالين متقين «بما يصير إليه أمرهم مستقبلاً»[(٣)]، ففي لفظة المتقين مجاز مرسل لعلاقة اعتبار سيكون حيث أخبر الله عز وجل في هذه الآية أنه أنزل على رسوله كتابًا عظيمًا لا يحتمل الشك، ولا يتطرق إليه.

---

(١) بغية الإيضاح : ٨٦/٣.
(٢) التفسير الوسيط: ١٣/١، وانظر الجدول في الإعراب: ٣٣/١.
(٣) انظر البيان في ضوء أساليب القرآن: ١٥١، بتصرف يسير.

وبلاغة المجاز تتمثل في الإيجاز، «فالقرآن هدى من الضلالة، وهدى في المستقبل للذين سيتقون في المستقبل ، وتعين عليه هنا قرينة الوصف بالمصدر في (هدى) لأن المصدر لا يدل على زمان معين»[١].

❖ ❖ ❖

٤- علاقة الجزئية :

وهي «أن يكون اللفظ المذكور جزءًا من المعنى المقصود»[٢].

ومن ذلك في آيات الهدى قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (آل عمران: ٢٠).

المجاز المرسل هنا في قوله : (أسلمت وجهي لله)، حيث عبر بالجزء وهو الوجه، وأراد الكل وهو الجسد كله.

فإطلاق الجزء وهو (الوجه) في قوله : (أسلمت وجهي) وإرادة (الجسد كله) مجاز مرسل من إطلاق الجزء وإرادة الكل، أي استسلمت بكليتي لله رب العالمين.

يقول أبو السعود : «عبر بالوجه عن سائر الذات، لكونه أشرف أعضاء الإنسان، وأجمعها للحواس أي أخلصت ذاتي لله عز وجل»[٣].

---

(١) التحرير والتنوير : ١/٧٠.

(٢) البيان في ضوء أساليب القرآن: ١٤٩.

(٣) تفسير أبي السعود: ١/٣٦٦، وانظر فتح القدير : ١/٤٠٤، والألوسي: ٢/٤٥٩، والبيضاوي: ١/٣٣١. وتفسير البغوي : ٢/٢٠، والخازن : ١/٣٥٠.

وأيضًا إنما خص الوجه؛ لأن فيه البهاء والتعظيم، فإذا خضع الوجه فقد خضع لـه سـائر جوارحه، أي أخلصت عملي لله، وقصدت بعبادتي الله.

❖ ❖ ❖

٥- علاقة المحلية :

وهي « تسمية الحال باسم محله»(١) .

ومما ورد في ذلك قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(يونس : ٥٧).

فالمجاز المرسل في قوله : (الصدور).

حيث أطلق لفظ الصدور وأراد بها القلوب؛ لأن الصدور محلها، وهو مجاز مرسل من باب [إطلاق المحل وإرادة الحال] .

وذلك لأن القرآن الكريم «موعظة وهدى ورحمة للمؤمنين، وشفاء للقلوب من أمراضها كالشرك والنفاق، والجهل، وذلك لأن داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن، وسائر الأمراض القلبية»(٢).

وبلاغة المجاز في ذكر الصدر وهو موضوع القلب وغلافه للمبالغة في هداية القرآن فالله عز وجل يعلم المحل والحال ، والقلب هو : أعز موضع في الإنسان، فالقرآن مزيل لهذه الأمراض القلبية كلها؛ لأن فيه الوعظ والزجر، والتخويف، والترغيب والترهيب.

❖ ❖ ❖

---

(١) بغية الإيضاح. : ٨٧/٣.

(٢) انظر تفسير أبي السعود: ٢٧٨/٣، بتصرف، وروح المعاني: ٣٨/٨، وتفسير البغوي: ١٣٨/٤، وتفسير الخازن: ٤٠٥/٣، والتحرير والتنوير : ٢٠١/١١.

٦- علاقة الآليـــــــــة

وهي «إطلاق اسم الآلة، ويراد الأثر الناتج عنه»(١).

من ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم: ٤).

حيث ورد المجاز المرسل في قوله : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه)، أي: بلغة قومه، فأطلق اللسان وأراد اللغة إذ اللسان آلتها.

يقول القرطبي: «وحد اللسان، وإن أضافه إلى القوم؛ لأن المراد به اللغة، فهو اسم جنس يقع على القليل والكثير»(٢).

ويقول ابن كثير : «هذا من لطفه – تعالى – بخلقه: أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغتهم يفهموا عنهما ما يريدون، وما أرسلوا به إليهم»(٣).

وبلاغة المجاز تكمن في نعمة إرسال الرسل بألسنة أقوامهم ليفهموا مرادهم، وليس على الرسول هدايتهم، فالله يضل من يشاء لعدم استعداده، ويهدي من يشاء لحسن استعداده، فلا يهدي سبحانه، ولا يُضل إلا لحكمة، وفي إسناد الفعلين إلى الاسم الجليل الأعظم تفخيم شأنهما.

وهذه الآية في هذا المجاز مشهورة لدى البلاغيين، حيث تمثل بها القزويني في قوله: «العلاقة الآلية هي تسمية الشيء باسم آلته كقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ (إبراهيم: ٤). أي بلغة قومه»(٤).

❖ ❖ ❖

(١) البيان في ضوء أساليب القرآن: ١٥٣.
(٢) تفسير القرطبي : ٣٤٠/٩.
(٣) تفسير ابن كثير : ٤٧٧/٤.
(٤) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٧١، وبغية الإيضاح: ٨٦/٣، والبيان في ضوء أساليب القرآن: ١٥٣.

٧- علاقة الاشتقـــاق :

وورد ذلـــك في قولـــه تعـــالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (السجدة: ٢٣).

ورد المجاز المرسل في قوله : ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ .

فاللقاء : «اسم مصدر لقي وهو الغالب في الاستعمال دون لقى الذي هو المصدر القياسي، واللقاء: مصادفة فاعل هذا الفعل مفعوله.

وفي هذا الإطلاق مجاز، ويطلق على الإصابة كما يقال: لقيت عناء، ولقيت عرق القربـة، وهو هنا مجاز أي لا تكن في مرية في أن يصيبك ما أصابه»[(١)]، وأقيم اسم المصدر «اللقـاء» مقـام المصدر القياسي «لقى» لعلاقة الاشتقاق.

وبلاغة المجاز تكمن في توسيع اللغة، والافتتان في التعبير؛ لأن المقصود من النـهي انتفـاء الشك أي: لا تكن يا محمد في شك من لقاء الأذى كما لقيه موسى عليه السلام، ومعناه آتينا موسى مثـل ما آتيناك من الكتاب، ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي، فلا تكن في شك من أنك لقيـت مثلـه، وجعلنا الكتاب المنـزل على موسى هدى لقومه. وإنما ذكر موسى عليه السلام لقربـه مـن الـنبي ﷺ، ولكثرة إيذاء بني إسرائيل له ومخالفتهم لأمره.

❖ ❖ ❖

هذه بعض الآيات التي ورد فيها هذا فيها هذا الفن البلاغي حيث رأينا أن المجاز المرسل قد عـبر به في هذه المواطن لبيان المعنى ، وإيضاح الفكرة والإيجاز، وجاء في غاية الدقة والروعة في اختيـار العلاقة مع المبالغة المقبولة.

❖ ❖ ❖

---

(١) التحرير والتنوير: ٢١/٢٣٥.

ب) الاستعارة في آيات الهـــدى :

الاستعارة من الفنون البيانية الراقية، والتي تؤدي المعاني المطلوبة بأوجز عبارة وأجمعها، وقد تحدث أهل الفصاحة واللسن عن علو منـــزلتها، وشرف قدرها، وفاضت بمزاياها مؤلفاتهم.

يقول السيوطي : «اتفق البلغاء على أن الاستعارة أبلغ منه – أي من التشبيه – لأنها مجـــاز وهو حقيقة، والمجاز أبلغ، فإذا الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة»(١).

والأساس الذي تقوم عليه الاستعارة هو التشبيه، فالاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه المشبه أو المشبه به، فعلاقتها المشابهة دائمًا، وهي قسمان :

الأول : (استعارة تصريحية)، وهي ما صُرح فيها بلفظ (المشبه به).

الثانية : (استعارة مكنية)، وهي : ما حُذف فيها (المشبه به)، ورمز له بشيء مـــن لـــوازم معناه.

وهاتان الاستعارتان تكونان في اللفظ المفرد أما إذا جاءت الاستعارة في التركيـــب فهـــي استعارة تمثيلية؛ لأن أصلها تشبيه تمثيلي، وبتتبعي لآيات الهدى وجدت هذه الأنواع الثلاثة موجودة فيها، وأبدأ بالتصريحية ثم المكنية ثم التمثيلية.

❖ ❖ ❖

---

(١) معترك الأقران: ١/٢٨٤.

١- الاستعارة التصريحية:

هي «اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي»(١).

وقد تنوعت في آيات الهدى بين أصلية، وتبعية، ومرشحة، وتهكمية.

❖ ❖ ❖

أولاً: الاستعارة الأصلية:

وورد من ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة: ٦).

والاستعارة هنا في قوله (الصراط المستقيم).

حيث شبه الدين الحق بالصراط المستقيم، «بجامع الهداية في كل، واستعير المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية، وسميت تصريحية؛ لأن المشبه به مصرح به في الكلام»(٢)، وسميت أصلية، لأن الاستعارة في اسم جامد، وهو الصراط حسبما قرره البلاغيون.

يقول محي الدين: « شبه الدين الحق بالصراط المستقيم الذي ليس به (أدق) انحراف قد يخرجه عن حدود الاستقامة؛ لأن الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين، ووجه الشبه بينهما أن الله سبحانه وتعالى، وإن كان متعاليًا عن الأمكنة لكن العبد الطالب الوصول لا بد له من قطع المسافات، ومس الآفات ليكرم الوصول، والموافاة»(٣).

وذكر سبحانه هنا أفضل شيء يطلبه العبد من ربه، وهو هدايته إلى الطريق الذي يوصله إلى المقصود، وبلاغة الاستعارة تظهر في جعل الدين الواضح، وهو معنى عقلي أمرًا محسوسًا حيث جعله

---

(١) انظر بغية الإيضاح : ٩٠/٢، بتصرف يسير.

(٢) البيان في ضوء أساليب القرآن: ١٦٤-١٦٥.

(٣) إعراب القرآن وبيانه: ١٨/١-١٩، لمحي الدين أحمد درويش، وانظر الجدول في الإعراب: ٢٨/١.

كالطريق المستقيم، وهو معنى حسي وعدل عن التعبير المجرد إلى الرسم المصـــور؛ لإبـــراز صـــورة الصراط في ذهن السامع.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قـــوله تعـــالى: ﴿ **يَهْدِي بِهِ**[1] اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة: ١٦).

حيث وقعت الاستعارة في هذه الآية في ثلاثة موطن، وهي كلها استعارة تصريحية أصلية.

الأول في قوله: (سبل السلام) استعارة «للإسلام الذي لا يقبل من أحد عمـــلاً إلا بـــه». حذف المشبه ، واستعير بدله لفظ المشبه به ليقـــوم مقامـــه علـــى ســـبيل الاســـتعارة التصـــريحية الأصلية»[2].

الثاني في قوله : (من الظلمات إلى النور) استعارتان تصريحيتان أصليتان.«يقصـــد بـــالأولى الضلال، وبالثانية الهدى والإيمان، والعلاقة هي المشابهة، وقد حذف المشبه، واستعير بدله لفظ المشبه به، ليقوم مقامه بإدعاء أن المشبه به هو عين المشبه، وهذا أبعد مدى في البلاغة، وأدخل في بابها، ولما كان المشبه به مصرحًا سميت الاستعارة تصريحية، وسميت أصلية لأنها جارية في الاسم»[3].

---

(١) الضمير في قوله: (يهدي به) عائد على القرآن المذكور في الآية السابقة في قوله: «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين».

(٢) الإبداع البياني في القرآن لكريم: ٧٧.

(٣) إعراب القرآن وبيانه: ٤٣٥/٢، وانظر الجدول في الإعراب: ٣٠٦/٦، والتفسير المنير: ١٣١/٦.

الثالث في قوله : (صراط مستقيم) وهو مستعار «لـدين الله القـويم الـذي لا اعوجـاج فيه»[١]، وهو الدين الحق. حذف المشبه وأقيم المشبه به مقامه، وصرح بالمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، والسر البلاغي للاستعارة هو المبالغة في تفخيم شأن القرآن الكريم.

فالاستعارة أبلغ من الحقيقة في تجسيد هذه الصورة، فتضـافرت الاسـتعارات الـثلاث في توضيح مقاصد القرآن الثلاث التي وردت في الآية.

❖ ❖ ❖

ثانياً: الاستعارة التبعية في آيات الهدى:

وهذه «الاستعارة كما نص البلاغيون تجري في الأفعال والمشتقات والحروف»[٢].

وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٦).

وقعت الاستعارة التبعية في قوله :﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾.

حيث شبه «اختيار الضلالة على الهدى بالشراء بجامع ترك مرغوب عنه، وأخذ مرغوب فيه ثم استعير المشبه به للمشبه، واشتق من الشراء اشتروا بمعنى اختاروا، والقرينـة اسـتحالة المبادلـة الحقيقية بين الضلال والهدى»[٣].

وقوله : ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ «جملة تناسب الاشتراء- وهو المشبه به، فتسمى ترشيحًا، وسميت مرشحة؛ لأن الترشيح معناه التقوية، وذكر ملائم للمشبه به يبعدها عن الحقيقة، ويقوي فيها

(١) انظر الإبداع البياني في القرآن الكريم: ٧٧.

(٢) انظر بغية الإيضاح: ٢/١١٦، والإيضاح في علوم البلاغة: ٢٩١.

(٣) التحرير والتنوير: ١/٣٠٠، وانظر البيان في ضوء أساليب القرآن: ١٨٥.

دعوى الاتحاد التي هي مبنى الاستعارة، وقد عدها ابن أبي الإصبع من أجل الاستعارات»[(١)].

«والمقصود من التجارة سلامة رأس المال مع حصول الربح، ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة أخرى لبقاء الأصل، وأما إتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعًا، فهؤلاء الذين كان رأس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فأضاعوا كلتا الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق التجارة»[(٢)].

والسر البلاغي للاستعارة: « هو رسم الصورة المحسوسة بها بما يزيدها قوة تمكن لها في النفس، فقد أكمل صورة الشراء بالحديث عن ربح التجارة والاهتداء في تصريف شئونها»[(٣)].

❖ ❖ ❖

ومن الاستعارة التبعية أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾(البقرة: ١٧٥).

وقد وقعت الاستعارة في قوله : ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾، والاشتراء استبدال السلعة بالثمن.

ففي لفظ « اشتروا» استعارة تصريحية تبعية، فقد شبه اختيارهم الضلال على الهدى باشتراء الشيء بجامع ظهور النتيجة والخسران في كل ثم تنوسي التشبيه وادعي أن المشبه وهو «الاختيار»

(١) تحرير التحبير : ٩٩.
(٢) تفسير أبي السعود: ٣٨/١.
(٣) من بلاغة القرآن : ١٦٩.

فرد من أفراد المشبه به الذي هو «الاشتراء»، وداخل في جنسه ثم اشتق من «الاشتراء» اشتروا بمعنى اختاروا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية»(١).

ويظهر جمال وروعة الاستعارة في نظمها في سلك قوله : ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: ما أشد صبرهم على نار جهنم، وهو تعجيب من أمر أولئك الأشقياء من مداومتهم على المعاصي التي تفضي بهم إلى النار.

وهذه الاستعارة من ألطف وأبدع أنواع الاستعارة؛ لأن البيع والشراء يكون في التجارة، فكأنهم بمنزلة من يشتري سلعة فاسدة بمبلغ كبير من المال، ثم تظهر خسارته الفادحة، وفيها وعيد شديد لهم بسبب استبدالهم الهدى بالضلال، وبيان شناعة فعلهم.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾(الصافات: ٢٢-٢٣).

وقعت الاستعارة التبعية في قوله : ﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾، «والأصل أن تكون الهداية للدلالة على المنافع كطريق الجنة مثلا في آية الفاتحة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾. أما الهداية إلى النار والسوق إليها فليس من المنفعة»(٢).

ومن ثم فهذه استعارة تهكمية تبعية حيث «شبه جمع هؤلاء المشركين وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله بالهداية إلى طريق الجحيم»(٣).

---

(١) دليل البلاغة القرآنية: ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) البيان في ضوء أساليب القرآن: ١٨٣.

(٣) تفسير الرازي : ١١٩/١٣، وانظر تفسير القرطبي : ٧٣/١٥.

والسر البلاغي للاستعارة التهكمية هو الإهانة والتهكم، والاستهزاء، فالقرآن الكريم عند قصد التهكم والاستهزاء يؤثر استعمال ألفاظ المدح في نقائضها من الذم والإهانة.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٠).

وقعت الاستعارة في الحرف (لعل) الموضوع للترجي.

يقول الدكتور سعد الدبل : «في التعبير عن الإرادة بكلمة (لعل) الموضوعة للترجي استعارة تبعية في الحرف للدلالة على كمال العناية والهداية»[١]. لأن تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة جاء على خلاف رغبة اليهود الذين كانوا يحرصون على استمرار المسلمين في التوجه إلى بيت المقدس، فعندما حصل التحويل قاموا بإثارة البلبلة في أفكار المسلمين، وبالطعن في نبوة محمد ﷺ .

❖ ❖ ❖

ومن الاستعارة التبعية في الحروف قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ: ٢٤).

وقعت الاستعارة في الحرفين (على – في) في قوله : ﴿ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾، «فخولف بينهما في الدخول على الحق والباطل، لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركض به حين شاء، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه»[٢].

---

(١) دليل البلاغة القرآنية: ٢٠٨.

(٢) الكشاف : ٣٧٥/٥.

ويقول ابن عاشور: «وجيء في جانب أصحاب الهدى بحرف الاستعلاء (على) المستعار للتمكن تمثيلاً لحال المهتدي بحال متصرف في فرسه يركضه حيث شاء فهو متمكن من شيء يبلغ به مقصده، وجيء في جانب الضالين بحرف الظرفية المستعار لشدة التلبس بالوصف تمثيلاً لحالهم في إحاطة الضلال بهم بحال الشيء في ظرف محيط به لا يتركه يفارقه، ولا يتطلع منه على خلاف ما هو فيه من ضيق يلازمه»(١).

❖ ❖ ❖

٢- الاستعارة المكنية في آيات الهدى :

«قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسًّا أو عقلاً أجرى عليه اسم ذلك الأمر، فيسمى التشبيه استعارة بالكناية، أو مكنيًّا، وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية»(٢).

❖ ❖ ❖

وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(يونس: ٣٥).

جاءت الاستعارة المكنية في قوله تعالى: ﴿لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ .

(١) التحرير والتنوير: ١٩٣/٢٢.

(٢) بغية الإيضاح : ١٣٢/٣-١٣٣.

حيث شبه «النقل من مكان إلى آخر للأصنام بالسير، فشبه المنقول بالسائر على طريقة الاستعارة المكنية، ورمز إليه بشيء من لوازم السير وهو الهداية في قوله ﴿لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰ﴾»[(١)].

لكن هنا سؤال وهو أن الأصنام جماد لا تتصور هدايتها، ولا أن تُهْدَى، فلماذا نسب ذلك إليها؟

أجاب العلماء عن ذلك بوجوه:

الأول : «أن معنى الهداية في حق الأصنام الانتقال من مكان إلى مكان، فيكون المعنى أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان آخر إلا أن تحمل، وتنقل فبين سبحانه وتعالى عجزها، والهدي عبارة عن النقل والحركة. يقال: أهديت المرأة إلى زوجها، إذا انتقلت إليه، والهدي: ما يهدى إلى الحرم من النعم، وسميت الهدية هدية لانتقالها من شخص إلى غيره، وجاء فلان يهادي بين رجلين، إذا كان يمشي معتمدًا عليهما، لضعفه وتمايله، وإذا ثبت ذلك فالمراد أنه لا ينقل من مكان إلى مكان إلا أن يُحمل وينقل.

الوجه الثاني: أن ذكر الهداية في حق الأصنام على وجه المجاز، وذلك أن المشركين لما اتخذوا الأصنام آلهة، وأنزلوها منـزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عمن يسمع ويعقل ويعلم، ووصفها بهذه الصفة، وإن كان الأمر ليس كذلك.

الوجه الثالث : يحتمل أن يكون المراد من قوله : (هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) الأصنام، والمراد من قوله : (هل من شركائكم من يهدي إلى الحق) رؤساء الكفر والضلالة، فالله سبحانه وتعالى هدى الخلق إلى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته، وأما رؤساء

(١) التحرير والتنوير: ١٦٣/١١.

الكفر والضلالة فإنهم لا يقدرون على هداية غيرهم إلا إذا هداهم الله إلى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته أولى من اتباع غيره»[(١)].

وعلى الوجه الأول النقل من موضع إلى موضع استعارة مكنية، وأنا أرى أن المقصود هو النقل من موضع إلى آخر؛ لأن المقصود في الآية الأصنام التي لا تهدي ولا تنفع ولا تضر.

وفائدة التعبير بهذه الاستعارة أنها تصور المعنى خير تصوير، وفي هذا التصوير تهكم بهم وبيان لشدة عجزهم، فالله تعالى هو الذي يهدي إلى الحق، فهو أحق بالاتباع لا هذه الأصنام التي لا تهتدي إلا أن تُهدى.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ (مريم: ٤٣).

وقعت الاستعارة في قوله : (سويًا) أي : «مستويًا موصلاً إلى المطلوب منجيًا من المكروه، وموصًلا إلى المطالب منجيًا عن الضلال المؤدي إلى مهاوي الردى»[(٢)].

حيث «شبه إبراهيم عليه السلام بهادي الطريق البصير بالثنايا، وإثبات الصراط السوي قرينة التشبيه»[(٣)]. ثم حذف المشبه وهو هادي الطريق البصير بالثنايا وترك شيئًا من لوازمه هو الصراط السوي.

والغرض من هذا التصوير الاستعاري هو المبالغة والتفخيم لشأن الصراط السوي الذي يدعو الخليلُ إبراهيم عليه السلام أباه إليه.

---

(١) تفسير الخازن : ٣٩٧/٣، وانظر تفسير اللباب: ٤٧١/٨، والبغوي: ١٣٣/٤.

(٢) تفسير أبي السعود : ٤٥٩/٤، وانظر فتح القدير : ٤٥٩/٤.

(٣) التحرير والتنوير : ١١٦/١٦.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الحج : ٦٧).

وردت الاستعارة في قوله : ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

حيث «شبه الهدى بالطريق الموصل إلى المطلوب، ورمز إليه بالمستقيم؛ لأن المستقيم أسرع إيصالاً ، وتخيلتها (على) ، لأن دين الإسلام أيسر الشرائع في الإيصال إلى الكمال النفساني الذي هو غاية الأديان»(١).

وفائدة التعبير بهذه الاستعارة أنها تجسد الهدى وتزيده رسوخا في النفس حين تعرضه في صورة مرئية ملموسة، فيكون له الأثر البليغ في قلب وعقل القارىء والمخاطب.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير : ٣٢٩/١٧، وانظر روح المعاني : ١٣١/١٣.

٣- الاستعارة التمثيلية في آيات الهدى :

الاستعارة التمثيلية هي «اللفظ المركب المستعمل فيما شُبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه...»[(١)] والاستعارة التمثيلية لا تكون إلا تصريحية كما نص البلاغيون ، و«تكون في المركبات، أو بعبارة أخرى هي على غرار التشبيه المركب الطرفين الذي يتشكل من صورتين منتزعتين من أمرين أو عدة أمور اندمج بعضها في بعض، وتكون منها هيئة أو صورة»[(٢)].

وورد من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٤٣).

حيث وقعت الاستعارة في قوله : ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ والعقب: مؤخر القدم، والانقلاب على العقبين(استعارة تمثيلية).

فشبه «من يرتد عن دينه بمن ينقلب على عقبيه أي يعود إلى الوراء منتكسا في مشيه كمن يمشي إلى الخلف بدل المشي إلى الأمام، ثم استعير هيئة المشبه به للمشبه بجامع أن المنقلب يترك ما في يديه ويدبر عنه على أسوأ حال»[(٣)].

---

(١) الإيضاح : ٢٩٧، وانظر بغية الإيضاح: ٣/١٢٦.

(٢) بلاغة الاستعارة في ديوان الخيل في الجاهلية: ١٣٦٤، مستلة من حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، العدد /٢٦ .

(٣) تفسير الألوسي : ٢/٤١، وانظر الجدول في الإعراب: ٢/٢٩٣.

فقوله : (على عقبيه) «زيادة تأكيد في الرجوع إلى ما كان وراءه؛ لأن العقبين هما خلف الساقين أي : انقلب على طريق عقبيه، وهو هنا استعارة تمثيلية للارتداد عن الإسلام رجوعًا إلى الكفر السابق»[(١)].

وجاء التعبير بطريق الاستعارة لتخيل صورة جديدة، وعرضها في صورة مرئية ملموسة؛ لأن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة كان أمرًا عظيمًا في النفوس، فارتد قوم من المسلمين، ونافق قوم، فلهذا مثَّل الله للمرتد بحال المنقلب على عقبيه، واستثنى الذين هدى الله قلوبهم، وأيقنوا بتصديق الرسول ﷺ .

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٤).

وقعت الاستعارة في قوله : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ .

حيث شبه «عدم فهم المشركين القرآن، والاستفادة بهداه وبنوره وما دعاهم له بمن ينادي من مساحة نائية، فهو لا يسمع الصوت، ولا يفهم تفاصيله، ولا معانيه، فاستعمال النداء تنبيهًا على بعدهم عن الحق»[(٢)].

والسر البلاغي للاستعارة المبالغة في تصوير المعنى، فقد صورت الاستعارة المعرضين عن القرآن بمن ينادي من مكان بعيد ولا يفهم، كأن في أذنيه وقرًا، وعلى عينيه غشاوة، وهذا تحقير لهم

(١) التحرير والتنوير : ٢/٢٤.

(٢) انظر الجدول في الإعراب: ٣٢٠/٢٤، بتصرف يسير، وإعراب القرآن وبيانه: ٥٧٣/٨، والبيضاوي: ١١٧/١، والتحرير والتنوير : ٣١٦/٢٤.

فهذه الصورة المعنوية قد جسمت في صورة محسوسة تراها العين، وهذا يؤكـد المعـنى ويقـرره في الأذهان.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الزخرف : ٤٠).

حيث وقعت الاستعارة في قوله : ﴿تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾.

فقد «شبه سبحانه وتعالى الكفار بالصم الذين لا يسمعون، وبالعُمي الـذين لا يبصـرون، وهذا على سبيل التمثيل لهم في ضلالهم، وطغيانهم بالصُم والعُمي بطريق (الاستعارة التمثيلية)، وهي استعارة بديعة في غاية الوضوح والبيان»[١].

فمهما بذل الإنسان جهده لإسماع الأصم، أو هداية الأعمى إلى الطريق، لا يرجـع بـأي فائدة، لفقدهما حاسة السمع والبصر.

والوصف بكونهما في الضلال المبين ترشيح الاستعارة[٢]، والترشيح أقوى وأبلغ لأنه يكون بعد تمام الاستعارة.

وسر جمال الاستعارة هنا هو وصفهم بالصم والعمي وهذا أبلغ من الحقيقة، لجعل المعقـول في صورة مرئية واضحة، وفيها أيضًا تسلية من الله تعالى لنبيه عن حزنه وأسفه لإعراض قومه عـن قبول رسالته، أي لا تستطيع هداية الصم العمي الضالين فلا يضيق صدرك إن كفروا.

---

(١) الإبداع البياني: ٢٩٧، بتصرف يسير، وانظر التحرير والتنوير : ٢١٦/٢٥.

(٢) والترشيح : أي أن الاستعارة قُرنت بما يلائم المستعار منه (المشبه به). انظر البيان في ضوء أساليب القرآن: ١٨٥.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الملك: ٢٢).

ضرب الله هنا مثلاً للكافرين والمؤمنين، أو لرجلين: كافر ومؤمن فالآية اشتملت على ثلاث استعارات تمثيلية على النحو الآتي :

١- قوله : ﴿يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ «تشبيه لحال المشرك في تَقَسُّم أمره بين الآلهة طلبًا للذي ينفعه منها والشاك في انتفاعه بها ، بحال السائر قاصدًا أرضًا معينة ليس لها طريق جادة، فهو يتتبع بنيات الطريق الملتوية، وتلتبس عليه، ولا يوقن بالطريق التي تبلغ إلى مقصده ، فيبقى حائرًا متوسمًا يتعرف آثار أقدام الناس وأخفاف الإبل».

٢- وقوله : ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ شبه حال المتحير المتطلب للآثار في الأرض بحال المكب على وجهه في شدة اقترابه من الأرض.

٣- وقوله : ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾ تشبيه لحال الذي آمن برب واحد الواثق بنصر ربه وتأييده، وبأنه مصادف للحق بحال الماشي في طريق جادة واضحة لا ينظر إلا إلى اتجاه وجهه، فهو مستوي في سيره»(١).

فتضافرت هذه الاستعارات الثلاث في تجسيد المعنى، فالكافر أعمى لا يهتدي إلى الطريق بل يمشي متعسفًا فيتعثر دائمًا، وينكب على وجهه، والمؤمن صحيح البصر يمشي في طريق واضحة مستقيمة سالمًا من التعثر على وجهه.

---

(١) التحرير والتنوير: ٤٥/٢٩.

هذا؛ وهناك بعض الاستعارات التي اختلف العلماء في نوعها ما بين مكنية أو تصريحية تبعية، وقد آثرت هنا دراستها على حدة.

ومما جاء من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٤).

حيث وقعت الاستعارة في قوله : (سكت).

والسكوت في اللغة : ترك الكلام، ولكن المقصود هنا السكون كما يشير السياق، وقد استعير السكوت لسكون الغضب.

وفي استعارة السكوت للسكون أقوال ذكرها الإمام الرازي :

١-«أن هذا الكلام خرج على قانون الاستعارة كأن الغضب كان يقويه على ما فعل، ويقول له: قل لقومك كذا وكذا، وألقِ الألواح، وخذ برأس أخيك إليك، فلما زال الغضب صار كأنه سكت.

٢- القول الثاني : أن المعنى سكت موسى عن الغضب، وقلب كما قالوا: أدخلت القلنسوة في رأسي، والمعنى : أدخلت رأسي في القلنسوة.

٣- القول الثالث : المراد بالسكوت السكون والزوال، وعلى هذا جاز (سكت عن موسى الغضب)، ولا يجوز صمت ؛ لأن (سكت) بمعنى سكن، وأما صمت فمعناه سد فاه عن الكلام، وذلك لا يجوز في الغضب»[1].

فيجوز في هذه اللفظة على هذه الأقوال ثلاث استعارات :

---

(١) تفسير الرازي : ٢٥٨/٧، وانظر تفسير اللباب : ٢٠/٨.

الأولى مكنية :

حيث شبه الغضب بإنسان وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو السكوت على سببيل الاستعارة المكنية.

الثانية : تصريحية تبعية:

حيث شبه سكون الغضب وذهاب حدته بسكوت الآمر الناهي، وحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وذكر الغضب قرينة الاستعارة .

الثالثة : الاستعارة التمثيلية:

شبهت الحالة الناشئة عن الغضب بالحالة الناشئةعن إغراء مغر واستعيرت الحالة الثانية للأولى عن طريق التمثيل .

هذه هي الاحتمالات في هذه الآية، ولذا وجدنا كل مفسر يحملها على الوجه الذي يروق له من وجهة نظره.

يقول الزمخشري في قوله : (ولما سكت عن موسى الغضب).

«كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له: قُل لقومك كذا وألق الألواح وجُر برأس أخيك إليك، فترك النطق بذلك وقطع الإغراء. ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ولأنه من قبيل شعب البلاغة، وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة (ولما سكن عن موسى الغضب) لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة وطرفاً من تلك الروعة. لأن قراءة معاوية بن قرة خلت من التمثيل لأن إسناد السكون إلى الغضب لا تمثيل فيه، وفي القراءة الأولى تمثيل بتشبيه الحالة الناشئة عن الغضب بالحالة الناشئة عن إغراء مغر، واستعيرت الحالة الثانية للأولى على طريق التمثيل»[1] .

---

(١) الكشاف : ٢/٢٩٥.

ويقول ابن عاشور : «السكوت مستعار لذهاب الغضب عن موسى، شبه ثوران الغضب في نفس موسى المنشيء خواطر لأخيه ولقومه، وإلقاء الألواح حتى انكسرت، بكلام شخص يغريه بذلك، وحسن هذا التشبيه أن الغضبان يجيش في نفسه حديث للنفس يدفعه إلى أفعال يطفىء بها ثوران غضبه، فإذا سكن غضبه، وهدأت نفسه كان ذلك بمنزلة سكوت المغري، فلذلك أطلق عليه السكوت وهذا يستلزم تشبيه الغضب بالناطق المغري على طريقة المكنية فاجتمع استعارتان، أو هو استعارة تمثيلية مكنية لأنه لم تذكر الهيئة المشبه بها، ورُمز إليها بذكر شيء من روادفها وهو السكوت، وفي هذا ما يؤيد أن إلقاء الألواح كان أثر للغضب»(١).

ويقول الألوسي: «في الكلام استعارة مكنية حيث شبه الغضب بشخص ناه آمر، وأثبت له السكوت على طريق التخيل وقال السكاكي: إن فيه استعارة تبعية حيث شبه كون الغضب، وذهاب حدته بسكون الآمر الناهي، والغضب قرينتها. وقيل إن الغضب استعارة بالكناية عن الشخص، والسكوت استعارة تصريحية لسكون هيجانه وغليانه فيكون في الكلام مكنية قرينتها تصريحية لا تخيلية ، وأيا ما كان ففي الكلام مبالغة، وبلاغة لا يخفى علو شأنهما»(٢).

والراجح مما سبق أنها استعارة مكنية حيث شبه الغضب بشخص آمرٍ نَاهٍ، وأثبت له السكوت على طريق التخييل .

وهذا هو الأرجح؛ لأن التعبير القرآني هنا يشخص الغضب كأنما هو كائن حي يدفع موسى عليه السلام ويحركه، ثم تركه بعد ذلك؛ ولأن الغضب لا يتكلم لكنه لما كان بفورته دالاً على ما في نفس المغضب كان بمنزلة السكوت عما كان متكلماً به، فالاستعارة مثلت ما ليس بمرئي حتى صار مشاهدًا مرئيًا، وذلك أقوى في التأثير، وأبلغ في البيان.

---

(١) التحرير والتنوير : ١٢٢/٩.

(٢) روح المعاني: ٣٧٧/٦.

وروعة الاستعارة في هذه الآية تكمن كذلك في أنها تقبل مختلف الاستعارات ، وهذا من ثراء القرآن الكريم ، وغناه في دلالته واستعاراته الفذة البارعة.

❖ ❖ ❖

هذا ، وقد ورد في بعض الآيات أكثر من استعارة مكنية وتصريحية:

من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (التوبة: ١٠٩).

حيث ورد في هذه الآية استعارتان الأولى: مكنية ، والثانية: تصريحية تحقيقية.

ففي قوله : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ ﴾ استعارة مكنية حيث «شبهت التقوى بقواعد البناء تشبيهًا مضمرًا في النفس ودل عليه ما هو من روادفه ولوازمه، وهو التأسيس والبناء»[١].

كما حذف المشبه به ورَمز له بشيء من لوازمه وهو حرف الاستعلاء (على)، وقد ذكر في وصف بنيان المؤمنين المشبه دون المشبه به؛ لأنه هو المقصود بالذات.

❖ ❖ ❖

والاستعارة الثانية التصريحية في قوله : ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ . حيث شبه الباطل والنفاق «بشفا جرف هار في قلة الثبات ثم استعير لذلك، والقرينة هي: وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى، وقوله: (فانهار به في نار جهنم) ترشيح الاستعارة»[٢].

(١) الجدول في الإعراب: ٣٧/١١، وانظر التحرير والتنوير : ٣٤/١١.

(٢) الجدول في الإعراب : ٣٧/١١.

وذكر في وصف المنافقين المشبه به دون المشبه؛ لأنه ذكر قبل ذلك مقاصدهم الخبيثة من بناء مسجد الضرار، وهذا من إيجاز القرآن الكريم؛ لأن السياق في فضح المنافقين وأساليبهم الملتوية.

يقول الزمخشري : «فإن قلت: فما معنى قوله: فانهار به في نار جهنم قلت: لما جعل الجرف الهائر مجازًا عن الباطل قيل: فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم إلا أنه رشح المجاز، فجيء بلفظ الانهيار الذي هو حرف للجر، وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانه[١] على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهو في قعرها... ولا ترى أبلغ من هذا الكلام، ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره»[٢].

وروعة وجمال الاستعارة تظهر في كل من نوعيها في أن كل لفظة تصور المعنى أدق تصوير، وتعمل على تجسيد المعاني بوضوح ، فالإيمان والتقوى أمران معنويان جسدهما القرآن عندما شبههما بالبنيان، وكذلك الضلال جسده في صورة مرئية محسوسة كالبناء الذي يكون على جرف ركية لا حابس لماء السيول عنه فتهدمه وتنثره.

❖ ❖ ❖

هذا غيض من فيض من الاستعارات في آيات الهدى، وقد لاحظنا أن الاستعارة في هذه الآيات جاءت في أروع صورة وأجمل موضع حيث عملت على تجسيم الأمور المعنوية، وبث الحياة والنطق في الجمادات، والمبالغة في إبراز المعنى فهي أصدق أداة تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس، وتصور المنظر للعين كأنه صورة مشاهدة.

❖ ❖ ❖

---

(١) « البنيان : مصدر كالغفران، والمراد ههنا المبني، وإطلاق المصدر على المفعول مجاز مشهور.

الشفا: طرف وحرف. جرف: جانب البئر التي لم تطو، وقيل: الهوة وما يجرفه السيل من الأودية، وقيل: هو المكان الذي يأكله الماء فيجرفه أي يذهب به. هار: متداع وساقط». تفسير الرازي : ١٥٣/٨.

(٢) الكشاف : ٢٤٤/٢.

الفصل الثالث

المبحث الثالث : الكنايـــة والتعريض في آيات الهدى

الفصل الثالث

المبحث الثالث : الكناية في آيات الهدى

الكناية « فن خلاب ورائع من فنون البيان العربي، وتعد ركيزة قوية من ركائزه»[(١)]، وهي كما قال عبدالقاهر الجرجاني من « الأقطاب التي تدور البلاغة عليها، والأعضاد التي تستند الفصاحة إليها، والطَّلبة التي يتنازعها المحسنون، والرَّهان الذي تجرب فيه الجياد، والنضال الذي تعرف به الأيدي الشداد، وهي التي نوه بذكرها البلغاء، ورفع من أقدارها العلماء، وصنفوا فيها الكتب، ووكلوا بها الهمم، وصرفوا إليها الخواطر، حتى صار الكلام فيها نوعًا من العلم مفردًا»[(٢)].

والكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته.

وهي كما عرفها شيخ البلاغيين في كتابه دلائل الإعجاز «أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومىء به إليه، ويجعله دليلاً عليه مثال ذلك قولهم: (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة، و(كثير رماد القدر) يعنون كثير القرى، وفي المرأة (نؤوم الضحى) والمراد أنها مترفه مخدومة لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان ، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد، وإذا كثر القرى كثر رماد القدر؟ وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى»[(٣)].

---

(١) بلاغة الكناية في ديوان الخيل في الجاهلية : ٥، للدكتور عبدالله عبدالغني سرحان.

(٢) دلائل الإعجاز : ٥٢٠-٥٢١.

(٣) دلائل الإعجاز : ٦٦، وانظر نقد الشعر : ١٥٧، لقدامة بن جعفر ، والصناعتين: ٣٦٠، للعسكري، ومفتاح العلوم: ٥١٢، والإيضاح : ٣٦٥.

وقد تناول البيانيون القدامى الكناية دون أن يصنفوها، ويقسموها إلى أقسام، وكان بحثهم لها مقصورًا على الغرض والهدف من وجودها.

أما البلاغيون المتأخرون فقسموا الكناية إلى ثلاثة أقسام (كناية عن صـــفة – كنايـــة عـــن موصوف– كناية عن نسبة).

وبعد استقرائي للكنايات في آيات الهدى وجدت الكناية عن صفة، وعن موصوف في هذه الآيات، أما الكناية عن نسبة، فلم أعثر لها على شاهد، والله أعلم.

وسأبدأ بالحديث عن الكناية عن صفة، ثم عن موصوف.

أولاً: الكناية عن صفة في آيات الهدى :

ضابط الكناية عن صفة : «هو أن يُذْكر الموصوف ثم ينسب لهذا الموصوف صفة ما، ولكنَّ هذه الصفة المذكورة غير مرادة، وإنما المراد هو لازم تلك الصفة فمثلاً حين نقول: (فلانة نؤوم الضحى)، فقد ذكرنا الموصوف وهو فلانة، ثم نسبنا له صفة وهي نؤوم الضحى، وهذه الصفة غير مرادة هنا بل يراد لازمها، وهي أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها، فالمعنى الظاهر، أو الملفوظ يلزم منه هذا المعنى المختفي أو الملحوظ»(١).

وهذا النوع من الكناية ينقسم قسمين : كناية عن صفة قريبة، وكناية عن صفة بعيدة. وما ورد في آيات الهدى من كنايات عن صفة كان من القسم الأول وهي الكناية عن صفة قريبة، وضابطها كما يقول القزويني : «ما ينتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة»(٢).

وإليك هذه الكنايات عن صفة قريبة.

١-الكناية عن صفة الخسران :

وذلك في قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾(البقرة: ١٦).

وردت الكناية في قوله ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾، وهي: كناية عن الخسران، وإضاعة كل شيء.

يقول الألوسي : «كنى في مقام الذم بنفي الربح عن الخسران؛ لأن فوت الربح يسلتزمه في الجملة، ولا أقل من قدر ما يصرف من القوة، وفائدة الكناية التصريح بانتفاء مقصد مع حصول

(١) بلاغة الكناية في ديوان الخيل في الجاهلية: ٧.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣١٤.

ضده بخلاف ما لو قيل خسرت تجارتهم، فلا يتوهم أن نفي أحد الضدين إنما يوجب إثبات الآخر إذا لم يكن بينهما واسطة، وهي موجودة هنا، فإن التاجر قد لا يربح ولا يخسر، وقيل إن ذلك إنما يكون إذا كان المحل قابلاً للكل كما في التجارة الحقيقية، أما إذا كان لا يقبل إلا اثنين منها فنفي أحدهما يكون إثباتاً للآخر، والربح والخسران في الدين لا واسطة بينهما على أنه قد قامت القرينة هنا على الخسران لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ ، وقد حمله غير واحد كناية عن إضاعة رأس المال، فإن من لم يهتد بطرق التجارة تكثر الآفات على أمواله، واختير طريق الكناية نكاية لهم بتجهيلهم وتسفيههم، ويحتمل أن يكون النفي هنا من باب قوله: على لا حب لا يهتدي بمناره، أي لا منار فيهتدي به فكأنه قال: لا تجارة ولا ربح، والظاهر أن ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ عطفت على ما ربحت للقرب مع التناسب، والتفرع باعتبار المعنى الكنائي، وبتقدير المتعلق لطرق الهداية يندفع توهم أن عدم الاقتداء قد فهم مما قبل فيكون تكرارًا لما مضَى»(١).

والسر البلاغي في الكناية هو المبالغة في الذم؛ لأن الله تعالى نفى عنهم الأمرين الربح، والاهتداء.

❖ ❖ ❖

٢- الكناية عن فقدان البصيرة:

وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يونس: ٤٣).

وقعت الكناية في قوله : ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ . والعمى جمع أعمى، والأعمى: هو الشخص الذي فقد حاسة الإبصار.

---

(١) روح المعاني: ١/١٧٣.

يقول ابن عاشور في قوله : ﴿تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ «كناية عن كونهم لا يعقلون، وكونهم لا بصائر لهم»(١).

ففي الكناية هنا تعجيب من حالهم إذ يستمعون إلى دعوة النبي، ولا يعقلونها، وينظرون إلى أعماله وسيرته، ولا يهتدون بها، والسر البلاغي في الكناية أنها قدمت المعنى مصحوبًا بدليله، فأراد أن يبين أن تعاميهم عن الحق بسبب أن لهم عيونًا، ولكنهم لم ينتفعوا بها، فكأنهم فقدوا حاسة الإبصار، والأعمى إذا كان عاقلاً قد يهتدي إلى الطريق بنور البصيرة القلب، ولكن إذا اجتمع عليه عمى البصر والبصيرة، فهذه هي الطامة الكبرى حيث يكون قد انسدت عليه أبواب الهداية والسعادة، وجمال الكناية أيضًا في أنها أظهرت المعنى المعقول في صورة مرئية، وهذا أبلغ من التصريح.

❖ ❖ ❖

٣- الكناية عن انتفاء الإيمان :

وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ (الكهف: ٥٥).

جاءت الكناية في قوله : ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾، والسنة: «العادة المألوفة في حال من الأحوال، وسنة الأولين : كناية عن انتفاء إيمان المشركين إلى أن يحل بهم أحد العذابين، وفي هذه الكناية تهديد وإنذار، وتحذير، وحث على المبادرة بالاستغفار من الكفر»(٢).

والمقصود بالناس في هذه الآية كفار مكة، ومن حذا حذوهم في الشرك والضلال.

---

(١) التحرير والتنوير : ١١/١٧٨.

(٢) التحرير والتنوير : ١٥/٣٥١-٣٥٢.

يقول ابن عاشور: «ما منعهم إلا سبب إتيان سنة الأولين لهم، أو إتيان العذاب، وسبب ذلك هو التكبر والمكابرة، والتمسك بالضلال أي أنه لا يوجد مانع يمنعهم الإيمان يخولهم المعذرة به، ولكنهم جروا على سنن من قبلهم من الضلال»(١).

❖ ❖ ❖

٤- الكناية عن التكبر والإعراض:

وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (الحج:٨-٩).

وردت الكناية في قوله : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ ﴾ . والعِطْف: بكسر العين، وسكون الطاء - عبارة عن الكبر والخيلاء، وعن الإعراض عن الذكر، فهو «كناية عن تكبره وإعراضه عن الحق»(٢).

يقول الزمخشري: « ثني فلان عطفه إذا أعرض وتكبر، وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء، كتصعير الخدّ ، وليّ الجيد، وقيل: الإعراض عن الذكر»(٣).

وبلاغة الكناية في قوله : (ثاني عطفه) أنها قدمت لنا المعنى مصحوبًا بدليله، وهذا من روعة الكناية كما يذكر البلاغيون، حيث صورت المجادل في الله تعالى بالباطل وبغير علم لديه، وهو يلوي عنقه عن قول الحق استكبارًا وكفرًا، فقدمت المعنى بدليله، وهذا أوقع في النفس، كما أظهرت هذا المعنى المعقول في صورة حسية مشاهدة.

❖ ❖ ❖

(١) المرجع نفسه: ٣٥٢/١٥.
(٢) تفسير أبي السعود : ٩٧/٦.
(٣) الكشاف: ٧٧/٢.

٥- الكناية عن الارتداد:

وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ (محمد : ٢٥).

وردت الكناية في قوله : ﴿ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾ .

والارتداد والردة: « الرجوع في الطريق الذي جاء منه لكن الردة تختص بالكفر، والارتداد يستعمل فيه، وفي غيره، والأدبار جمع دبر، ودبر الشيء خلاف القبل، وكنى بهما عن العضوين المخصوصين، والمعنى أن الذين رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر ، وهم المنافقون الموصوفون بمرض القلوب، وغيره من قبائح الأفعال والأحوال، فإنهم قد كفروا به ﷺ»(١).

فقوله: ﴿ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾ كناية عن الكفر بعد الإيمان، ونزلت هذه الآية في المنافقين الذين أسلموا ثم نافقت قلوبهم فارتدوا، أي : رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر.

والسر في بلاغة الكناية ذم المنافقين على هذا الارتداد؛ لأنهم لم يعودوا إلى الكفر عن جهالة، وإنما عادوا إليه بعد مشاهدة الهدى والدلائل الظاهرة، فكان أسلوب الكناية أبلغ من التصريح، وهي أيضًا صورت لنا المعنى المعقول بصورة محسوسة فجعلته قويًا ومؤثرًا في نفوس المخاطبين به.

٦- الكناية عن المخالفة:

وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـًٔا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ (محمد: ٣٢).

---

(١) تفسير حقي : ١٣/٤٤٦.

حيث وردت الكنـــاية في قوله : ﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾. يقول ابن عاشور في قوله تعـالى: ﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ «كناية عن المشاقة والمخالفة وفعل شاقوا مشتق من كلمة شِق بكسـر الشـين وهو الجانب، والمشاقة المخالفة كني بالمشاقة عن المخالفة، لأن المستقر بشق مخالف للمستقر بشـق آخر فكلاهما مخالف، فلذلك صيغت منه صيغة المفاعلة»(١).

والسر في بلاغة الكناية تفظيع مخالفة الرسول ﷺ بعدما علموا أنـه نـبي مـن عنـد الله، وشاهدوا الهدى من نعته عليه الصلاة والسلام في التوراة، أو بما ظهر على يديه من المعجزات، ونزل عليه من الآيات، وقد أكد ذلك بحرف الاستقبال في قوله: (سيحبط) لتحقيق حصول الإحبـاط في المستقبل للمنافقين والمشركين . فالآية تحتمل «المنافقون واليهود، وقال ابن عباس: هم المطعمون يوم بدر»(٢)، والراجح أنهم أهل الكتاب يهود بني قريظة وبني النظير.

❖ ❖ ❖

٧- الكناية عن صفة الإعلاء :

وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (الفتح: ٢٨).

الكناية هنا في قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ وهي كناية عن الارتفاع الحقيقي.

و«الإظهار أصله مشتق من ظَهَر بمعنى بدا، فاستعمل كناية عن الارتفاع الحقيقي، ثم أطـق مجازاً عن الشرف، فصار أظهر بمعنى أعلاه، أي يشرفه على الأديان كلها»(٣).

---

(١) التحرير والتنوير : ١٢٥/٢٦.

(٢) تفسير القرطبي : ٢٥٤/١٦، وانظر فتح القدير : ٤٨٦/٦.

(٣) التحرير والتنوير : ٢٠٢/٢٦، وانظر تفسير القرطبي : ٢٩١/١٦.

وزاد الألوسي فقال: «وأصل الإظهار جعل الشيء على الظهر، فلذا كني به عن الإعلاء، وعن جعله باديًا للرائي ثم شاع في ذلك حتى صار حقيقة عرفية، وإظهاره على الحق بنسخ بعض أحكامه»[١].

والسر في بلاغة الكناية تعظيم أمر الرسول ﷺ، وإعلامه بأن الله يظهر دينه على جميع الأديان، وتأكيد لما وعده به تعالى من الفتح، وتوطين نفوس المؤمنين على أنه سيفتح لهم البلاد المعادية لهم، ويَنالون خيراتها.

❖ ❖ ❖

٨- الكناية عن صفتي الخوف، والسرور:

وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣).

الكناية الأولى عن الخوف في قوله : ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ﴾ وهي «كناية عن الخوف الشديد»[٢]؛ لأن الإنسان إذا خاف اقشعر جلده وتقبض وتجمعت نفسه من الخوف. يقول الزمخشري: «اقشعر الجلد: إذا انقبض تقبضًا شديدًا، وتركيبه من حروف القشع، وهو الأديم اليابس، مضمومًا إليها حرف رابع وهو الراء؛ ليكون رباعيًا ودالاً على معنى زائد»[٣]، وهذه الكناية تهز النفوس، وتثير الرهبة، وتبعث على امتثال الأوامر.

(١) روح المعاني: ٢٣٣/١٩.
(٢) التفسير الوسيط : ٣٦٥١/١.
(٣) الكشاف : ٥٨/٦.

وظهرت روعة الكناية في «بيان إفراط خشيتهم بطريق التمثيل، والتصوير أو بيان حصـــول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق»[١]. وخص «القشعريرة بالذين يخشون ربهم باعتبار مـــا سيردف به من قوله: ثم تلين جلودهم»[٢].

وجاءت الكناية الثانية عن الفرح والسرور في قوله: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾.

فالمؤمنون إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلودهم من الخوف مما فيها مـــن الوعيـــد ثم تسكن وتطمئن الجلود والقلوب عند سماع آيات الرحمة.

يقول ابن عاشور : و«أمَّا لين الجلود عقب تلك القشعريرة، فهو رجوع الجلود إلى حالتـــها السابقة قبل اقشعرارها، وذلك قد يحصل عن تناسٍ أو تشاغل بعد تلك الروعة، فعطف عليه لـــين القلوب ليعلم أنه لين خاص ناشىء عن اطمئنان القلوب بالذكر كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)، وليس مجرد رجوع الجلود إلى حالتها التي كانت قبل القشعريرة، ولم يكتف بذكر لين القلوب عن لين الجلود؛ لأنه قصد أن لين القلوب أفعمها حتى ظهر أثره علـــى ظاهر الجلود»[٣] ولكن لِمَ ذكر في جانب الخوف قشعريرة الجلد، وفي جانب الرجاء لـــين الجلـــود والقلوب؟ «لأن ذكر الخشية التي محلها القلوب مستلزم لذكر القلوب فكأنه قيل تقشعر جلـــودهم وتخشى قلوبهم في أول لأمر، فإذا ذكروا الله وذكروا رحمته وسعتها استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينًا في جلودهم»[٤]، وتظهر روعة الكناية في التجسيد الحي لهذه الصورة، وأيضًـــا في

---

(١) الكشاف: ٥٨/٦، وانظر تفسير أبي السعود: ٦/٦.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٨٨/٢٣.

(٣) التحربر والتنوير : ٣٩٠/٢٣.

(٤) إعراب القرآن وبيانه: ٤١١/٨.

الجمع بين التأثيرين المتضادين مرة بالرهبة، ومرة بالرغبة وهذا من عظمة الإعجاز القرآني الذي بلغ الغاية في الجزالة والبلاغة.

❖ ❖ ❖

ثانيًا: الكناية عن موصوف في آيات الهدى:

وهي «التي تكون لفظها (المكني به) دالاً على صفة لها اختصاص ظاهر بموصوف معين، ويكون المقصود من ذكرها الدلالة عليه كقولهم في (الكناية عن الخمر أم المصائب) لشهرة الخمر عند العقلاء بجلب المصائب، وتوليد الكوارث في العقل والمال والبدن، وقولهم في (الكناية عن السفينة ابنةُ اليم) لملازمتها ماء البحر في جميع الأوقات، وفي (الكناية عن النساء ذوات الخلاخيل) لملازمتهم لبسها.. ففي جميع الأمثلة أطلقت الصفة، وأريد موصوفها لوجود تلازم بينهما يجعل الذهن ينتقل بسهولة من الصفة إلى الموصوف»(١).

وهي تتمثل في كل تعبير يراد فيه الحديث عن موصوف ما، فلا يصرح بذكره فيه ولكن يذكر من الصفات ما يدل عليه ويكتفى بها عنه لاختصاصها به.

ومن شواهد الكناية عن موصوف في آيات الهدى:

١-الكناية عن موصوف وهو القرآن :

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٩٧).

وقعت الكناية في قوله : (نزله على قلبك). وهي كناية عن القرآن الكريم.

---

(١) الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان: ٢٢١-٢٢٢، لأحمد محمد النجار، وانظر بلاغة الكناية في ديوان الخيل: ٨٥، للدكتور عبدالله سرحان.

يقول البغوي :«هو كناية عن غير مذكور، وعلى قلبك يا محمد إنما خص القلب بالذكر لأنه محل الحفظ»[(١)]؛ لأن الضمير في (نزله) يعود على القرآن الكريم.

وفي التعبير بالكناية «فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته»[(٢)].

علاوة على أن الكناية هنا أنها أبلغ من التعبير بالمعنى الصريح ، فالقرآن الكريم مستعلٍ على القلب، وما استعلى على الشيء يضمن الانتهاء إليه، وفي هذا تأكيد المعنى وتثبيته.

❖ ❖ ❖

٢- الكناية عن موصوف وهي الأرض :

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ (البقرة: ١٤٢).

جاءت الكناية في قوله : ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ ، أي : «الأرض كلها لله»[(٣)].

وهي كناية عن موصوف وهي الأرض، فيشمل بلاد المشرق والمغرب، وقيل: «الجهات كلها لله تعالى لا فضل لجهة منها بذاتها على جهة، وإن لله أنْ يخصص منها ما شاء فيجعله قبلة لمن يشاء»[(٤)].

---

(١) تفسير البغوي : ١/١٢٥، وانظر تفسير الخازن: ١/٨٥.
(٢) الكشاف : ١/١٩٥، وانظر السراج المنير: ١/٧٤.
(٣) الكشاف : ١/٢٢٤.
(٤) تفسير المنار : ٢/٤.

يقول ابن عاشور : «وذكر المشرق والمغرب مراد به تعميم الجهات، فهو كناية عن الأرض كلها؛ لأن اصطلاح الناس أنهم يقسمون الأرض إلى جهتين شرقية وغربية بحسب مطلع الشمس ومغربها»(١).

والسر في هذه الكناية التنبيه على معنى لا يؤديه اللفظ الصريح، فالله عز وجل أخبر بأمر قبل وقوعه، وهو أن الأرض كلها لله عز وجل وليست مقصورة على جهتين كما يقسمها الناس، وهذا أبلغ من التصريح.

❖ ❖ ❖

٣- الكناية عن الكتب السماوية :

وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ (آل عمران : ٣-٤).

وقعت الكناية في قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، وهي كناية عن موصوف.

أي : لما قبله من كتب، و«إنما قيل لما قبله (بين يديه)، لأنه ظاهر له كظهور ما بين يديه»(٢).

فقوله: (بين يديه) كناية عما تقدم القرآن من الكتب السماوية لكن هناك من قال من المفسرين أن قوله : (بين يديه) مجاز، وليس كناية، ومنهم الشيخ سيد طنطاوي يقول: «إن فيه نوع مجاز لأن ما بين يديه هو ما أمامه فسمى ما مضى بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره»(٣).

---

(١) التحرير والتنوير : ١٢/٢.

(٢) تفسير الماوردي : ٢١٥/١.

(٣) تفسير سيد طنطاوي: ٥٣٩/١.

لكني أرجح أنها كناية عما تقدمه من الكتب السماوية، «وعبر بذلك لصلته الوثيقة بها، ولظهوره واشتهاره، وعبر بالمعنى الكنائي؛ لأن وفد نجران والمكون من ستين راكبًا وفدوا على رسول الله ﷺ يحاجون في أمر المسيح عليه السلام ، ويريدون أن يثبتوا ألوهيته، فأنزل عليه القرآن مقترنا بأمرين أولهما الحق، وثانيهما مصدقًا لما بين يديه، وجعل هذا الكتاب موافقًا، ومؤيدًا لما اشتملت عليه الكتب السابقة من الدعوة إلى وحدانية الله»(١).

والسر البلاغي في الكناية أنها زادت المعنى ثباتًا وقوة، فالقرآن الكريم جاء ليهدي الناس إلى ما اختلفوا فيه، كما كان مشتملاً على ما في جميع الكتب السماوية من الدعوة إلى الله وحده. كما دلت الكناية على تعظيم القرآن الكريم ، وأنه منزل من عند الله عز وجل، وليس بكلام البشر كما يدعي بعضهم.

❖ ❖ ❖

وهكذا رأينا أن الكناية في هذه الآيات كانت إحدى الروائع الأسلوبية التي تجلت في آيات الهدى، فشرفت بشرف وجودها في الذكر الحكيم، وكانت الكناية عن صفة هي الأكثر ورودًا، ثم الكناية عن موصوف، أما بالنسبة للكناية عن نسبة فلم أعثر لها على شاهد كما ذكرت في مقدمة هذا المبحث.

❖ ❖ ❖

(١) تفسير المنير : ١٤٤/٣، للزحيلي ، بتصرف يسير.

التعريض في آيات الهدى:

كان الزمخشري أولَ دارس يحدد فرقًا دقيقًا بين الكناية والتعريض، وهـو بهـذا يخـالف عبدالقاهر الذي جعل التعريض رديف للكناية.

يقول الزمخشري في الفرق بين الكناية والتعريض :

«الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، كقولك طويل النجاد، والحمائل لطويـل القامة. وكثير الرماد للمضياف، والتعريض أن تذكر شيئًا تدل به على شيء لم تذكره، كما يقـال للمحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك، ولأنظر وجهك الكريم، ولذلك قالوا: وحسبك بالتعريض مني تقاضيًا، وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض، ويسمى التلويح، لأنـه يلـوح منـه مـا يريد»(١).

فالتعريض لغةً: ضد التصريح، يقال: «عرَّضت لفلان وبفلان إذا قلت قولاً وأنـت تعنيـه ومنه المعاريض في الكلام، وفي الحديث: «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب». أي : فيهـا سـعة يتخلص بها المتحدث من الكذب إذا لم يرد التصريح»(٢).

واصطلاحًا : هو «اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجـازي، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إني له محتاج وليس في يدي شـيء، وأنـا عريان والبرد قد آذاني فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب، وليس هذا اللفظ موضـوعاً في مقابلـة الطلب لا حقيقة ولا مجازاً، إنما دل عليه من طريق المفهوم»(٣).

---

(١) الكشاف : ٢١٥/١.

(٢) البيان في ضوء أساليب القرآن : ٢٧٧.

(٣) المثل السائر: ٥١/٣.

وعرفه العلوي بأنه : «المعنى الحاصل عند اللفظ لا به». فقولنا: «المعنى الحاصل عند اللفظ شامل للحقيقة والمجاز والكناية، وقولنا: لا به مخرج لهذه جميعًا، لأن الحقيقة والمجاز والكناية يدل عليها بالألفاظ فهي عند ذكر الألفاظ وبها، أما التعريض فهو داخل بهذا القيد، فإنه حاصل بغير اللفظ. وهو السياق وقرائن الأحوال»(١).

فظهر أن التعريضَ «يجامع كلاً من الحقيقة والمجاز والكناية، بأن يقصدُ باللفظ واحد منها، ويشارُ بدلالة السياق إلى المعنى المعرض به فلا يوصف اللفظ بالنسبة للمعنى التعريضي لا بحقيقة، ولا بمجاز ولا بكناية»(٢).

والفرق بين الكناية والتعريض «أن الكناية واقعة في المجاز مُعَدَّة منه – وهذا رأي بعض البلاغيين ومنهم العلوي – بخلاف التعريض فلا يعد منه، وذلك لأن التعريض مفهومه من جهة القرينة، فلا تعلق له باللفظ لا من جهة حقيقته، ولا من جهة مجازه، والكناية تقع في الكلام المفرد والمركب بخلاف التعريض، فإنه لا يقع في اللفظ المفرد»(٣).

وقد تتبعت آيات الهدى، فوفقني الله عز وجل للعثور على عدة مواضع للتعريض.

❖ ❖ ❖

من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا

(١) الطراز : ١/٣٨٠-٣٨٣.

(٢) معجم البلاغة العربية: ٤١٢، لبدوي طبانة، وانظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ٥٦٩، للدكتور محمد أبو موسى.

(٣) البيان في ضوء أساليب القرآن: ٢٨٢، بتصرف يسير.

جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: ٢١٣).

حيث وقع أسلوب التعريض في قولـه : ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ .

وهذا «تعريض بأهل الكتاب، وهم أشهر أهل الشرائع يومئذ فيما صنعوا بكتبهم من الاختلاف فيها، وهذا من بديع استطراد القرآن في توبيخ أهل الكتاب وخاصة اليهود»[١]، فأخبر تعالى عن سنته في الناس، وهي أن الذين يختلفون في الكتاب هم الذين سبق أن أوتوه، وجاءهم البينات، وداعي الاختلاف هو التحاسد، وقصد كل فريق تغليط الآخر، وحب الرئاسة واليهود هم المثل لهذه السنة. فقد أوتوا التوراة فيها حكم الله تعالى، وجاءهم البينات على أيدي رسلهم لكنهم اختلفوا في الأحكام والشرائع، ولكن هدى الله أمة محمد ﷺ لما اختلف فيه أهل الكتابين اليهود والنصارى.

وبلاغة التعريض في الآية تتجلى في التعجب من حال البشر في تسرعهم إلى الضلال، وهي حقيقة تاريخية من تاريخ الشرائع، وتحذير المؤمنين، والمسلمين من الوقوع في مثل ذلك، وفي التعريض زيادة تشنيع لحال اليهود؛ لأنهم قد اختلفوا بعد ظهور الحجج الناصعة الدالة على الحق.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنعام: ٩١).

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٠٩/٢.

ورد أسلوب التعريض في قوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى﴾ .

وهذا تعريض باليهود؛ لأنهم أنكروا أن تنـــزل رسالته على أحد من البشر، فأمر الله رسوله أن يقول لهم: ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا﴾ يضيء ويهدي ويرشد، وجعلتم التـــوراة أجزاء متفرقة تظهرون منه ما يتفق مع أهوائكم، وتخفون كثيراً منها، والذي لم ينسوه كتموا بعضه، والذي لم يكتموه حرفوه.

وقد اختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على قولين:

أحدهما : «أنها نزلت في كفار قريش، وهذا على قول من يقول إن جميع الســـورة مكيـــة، ويروي ذلك مجاهد، وصححه الطبري قال : لأن من أول السورة إلى هذا الموضع هو خـــبر عـــن المشركين من عبدة الأصنام، وكان قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ موصولاً بذلك غير مفصـــول عنه، فلا يكون قوله إذ قال: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ خبرًا عن غيرهم.

والثاني : قول جمهور المفسرين قالوا إن هذه الآية نزلت في اليهود، وهذا على قـــول مـــن يقول إنها نزلت بالمدينة، وأنها من الآيات المدنيات في السور المكية»(١).

والسر في بلاغة التعريض ذم اليهود المحرفين لكتب الله، وتوبيخهم على هذا الفعل الشـــنيع الذي قصدوا من ورائه الطعن في نبوة النبي محمد ﷺ كما أنه لا يبعد أن تكون الآية خطابًا لكفـــار قريش، وخطاباً لليهود؛ لأن كفار قريش واليهود كانوا مشتركين في إنكار نبوة محمـــد ﷺ وبهـــذا يشمل التعريض اليهود وكفار قريش، وهو الأولى.

❖ ❖ ❖

(١) تفسير الخازن : ٢/٤٢٠.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (التوبة: ٣٧).

حيث جاء التعريض في قوله : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

وهو تعريض وتهكم بالمشركين وذلك لتلاعبهم بالشهر الحرم تقديمًا، وتأخيرًا. كما ذكرت في المبحث السابع القصر[١].

والسر في بلاغة التعريض : إبطال النسيء وتشنيعه؛ وذلك لأن السياق في الحديث عن المشركين، وقد اختير المضارع لهذه الأفعال في قوله : (يضل – يحلونه – يحرمونه– ليواطئوا– فيحلوا– لا يهدي) لدلالته على التجدد والاستمرار، أي : هم في ضلال متجدد مستمر بتجدد سببه، وهو تحليل النسيء تارة وتحريمه تارة ليؤاطئوا عدة ما حرم الله، فالله لا يهدي ولا يوفق، ولا يلطف بالكافرين بسبب بتزيين الشيطان لهم سوء أعمالهم.

❖ ❖ ❖

وأيضًا ورد التعريض في قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (طه: ٤٧).

حيث ورد التعريض في قوله : ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾.

---

(١) انظر ص (٢٩٧).

وهذا تعريض بفرعون وبقومه، فقد أرسل الله إليه موسى ﷺ وأخيه، وأمرهما أن يقولا له: إننا رسولا ربك جئنا ندعوك إلى الإيمان بالله، وأن تطلق بني إسرائيل من الأسر والعذاب، وقد أتيناك بمعجزة من الله تشهد على صدق ما دعوناك إليه، وبالأمان من الله لمن اتبع هداه .

والسلام يراد به «سلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين، وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين»(١).

يقول القرطبي : «من اتبع الهدى سلم من سخط الله عز وجل وعذابه، وليس بتحية، والدليل على ذلك أنه ليس بابتداء لقاء ولا خطاب»(٢).

فالسلام : «السلامة والإكرام، وليس المراد هنا التحية، ولا يراد تحية فرعون؛ لأنها إنما تكون في البداية لا في أثناء الكلام، وهذا تعريض بأن يطلب فرعون الهدى الذي جاء به موسى ﷺ»(٣).

والسر في بلاغة التعريض التصريح بالوعيد لفرعون ومن اتبعه، وتهديده وتوبيخه على أفعاله.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (الصف:٥).

حيث ورد التعريض في قوله : ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾.

---

(١) الكشاف : ٤/٢٤٥.

(٢) تفسير القرطبي : ١١/٢٠٣، وانظر فتح القدير : ٥/٣.

(٣) التحرير والتنوير : ١٦/٢٣٠.

وهذا تعريض بقوم موسى ؛ لأنهم يؤذونه، «وهم عالمون قطعيًا أنه رسول الله إليهم، والرسول يعظم ويوقر، ويحترم ولا يؤذي، فلما عدلوا ومالوا عن الحق أمال قلوبهم عن الحق، والله لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق خارج عن طاعته وهدايته، وهذا تنبيه على عظم إيذاء الرسل حتى إن أذاهم يؤدي إلى الكفر، وزيغ القلوب عن الهدى»(١). وجيء بالمضارع بعد (قد) للدلالة على أن علمهم بصدق موسى مستمر، ومتجدد بما يأتيهم به من آيات ومعجزات.

يقول ابن عاشور : «وابتداء كلام موسى بـ «يا قوم» تعريض بأن شأن قوم الرسول أن يطعيوه بل أن لا يؤذوه، ففي النداء بوصف قوم تمهيد للإنكار في قوله: (لم تؤذونني»)(٢).

والسر في بلاغة التعريض بقوم موسى هو تسلية للنبي ﷺ، فقد كانت الأمم السالفة تؤذي أنبياءها.

❖ ❖ ❖

وبهذا يتضح أن بلاغة التعريض بوجه عام تكمن في كونه«وسيلة ناجحة في تقويم من تأخذهم العزة بالإثم إذا أمرو بمعروف أو نهوا عن منكر، وذلك بأن يوجه إلى غيرهم الخطاب بإنكار أمر يفعلونه ذاكرًا ما ورد فيه من الزجر والوعيد في الكتاب والسنة، وسيرة السلف وهم يسمعون، أو يعلمون ما يقول، وهذا من الوضوح بمكان»(٣).

وإدراك المعنى المعرض به في آيات الهدى لا يستطيعه إلا من أوتي مقدرة على الفهم والتذوق، فعسى أن أكون قد وفقت في فهم هذا المعنى المعرض به، والناس مختلفون في هذا الفهم.

---

(١) تفسير الخازن : ٩٢/٦، وانظر اللباب : ٢٥٧/١٥.

(٢) التحرير والتنوير : ١٧٨/٢٨.

(٣) البلاغة التطبيقية: ٢٥٩-٢٦٠، للدكتور أحمد إبراهيم موسى.

كما يلاحظ أن التعريض ورد معظمه في الحديث عن موسى ﷺ؛ وذلك لقرب عهده مـــن الرسول محمد ﷺ ، وحتى يكون في ذكر قصص موسى ﷺ تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام، والله أعلم.

❖ ❖ ❖

الفصل الرابع

الخصائص البلاغية للصور البديعية في آيات الهدى

ويتضمن مبحثين :

المبحث الأول : الصور البديعية المعنوية في آيات الهدى.

١- الطباق.

٢- المقابلة.

٣- التناسب (تشابه الأطراف).

٤- التقسيم.

٥- تجاهل العارف (سوق الكلام ساق غيره).

المبحث الثاني: الصور البديعية اللفظية في آيات الهدى:

١-الجناس.

٢-الفواصل.

الفصل الرابع

المبحث الأول : الصور البديعية المعنوية في آيات الهدى.

١- الطباق.

٢- المقابلة.

٣- التناسب (تشابه الأطراف).

٤- التقسيم.

٥- تجاهل العارف (سوق الكلام ساق غيره).

الفصل الرابع

المبحث الأول : الصور البديعية المعنوية في آيات الهدى

لقد طالعت آيات الهدى في الذكر الحكيم، فوجدتها اشتملت على محسنات معنوية عديدة مما ذكرها البلاغيون في كتبهم نحو الطباق، والمقابلة، وتناسب الأطراف، والتقسيم، وتجاهل العارف.

وسأشرع في الحديث عن هذه الألوان البديعية الخمسة على حسب الترتيب السابق.

❖ ❖ ❖

أولاً : الطباق في آيات الهدى :

الطباق لغَة : «مأخوذ من طابق البعير في مشيه إذا وضع رجله موضع خف يده.

واصطلاحاً : هو الجمع بين الشيء وضده»(١).

فالطباق هو الجمع بين متضادين أي : معنيين متقابلين في الجملة، فاجتماع الضدين يعد من الحلى البديعية التي سماها البلاغيون الطباق، وهو نوعان :

١- طباق الإيجاب : وهو ما اتفق فيه الضدان إيجابًا وسلبًا، كقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ .(النجم: ٤٣-٤٤).

٢- طباق السلب: هو ما اختلف فيه الضدان إيجابًا وسلبًا، كأن يؤتى بفعلين أحدهما مثبت، والآخر منفي، أو أحدهما أمر، والآخر نفي مثال الأول قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ

---

(١) شروح التلخيص : ٢١٤/٤ ، وانظر البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم : ٢٥، والبلاغة وعلومها وفنونها: ٣٧٧/٢، وبغية الإيضاح : ٤/٤.

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٩). والثاني قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ (المائدة: ٤٤).

وقد استقصيت أمثلة الطباق في آيات الهدى فوجدتها كثيرة جدًا، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

❖ ❖ ❖

أولاً: طباق الإيجاب في آيات الهدى :

وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (التوبة: ٣٧).

وقع الطباق بين قوله : (يحلونه) وقوله : (ويحرمونه)، فالحلال والحرام ضدان وهو من طباق الإيجاب.

يقول الزمخشري : «والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء، أي إذا أحلّوا شهرًا من الأشهر الحرم عامًا رجعوا فحرموه في العام القابل»[١].

ويلاحظ أن الطباق ورد بين فعلين مضارعين، وهو من النوع الأول من الطباق عند البلاغيين الذي يرد فيه الطباق بلفظين من نوع واحد، وسر التعبير بالطباق بهذين الفعلين يتمثل في التجدد والاستمرار على هذين الحالين كل عام، فالتحليل والتحريم هنا حدث وتجدد من المشركين عامًا بعد عام ليوافقوا عدة ما حرم الله، وبذلك دل الطباق على تشنيع النسيء، والتنفير منه، ولذا

---

(١) الكشاف : ٢/٤٢٠.

وقع الطباق في موقعه الدقيق الأليق به، وترك تأثيرًا واضحًا في المعنى يتمثل في إبرازه جليًا عن طريق هذين المتناقضين مما يؤدي إلى استقراره في النفس، وتثبيته في الوجدان.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (الرعد: ٣٣).

وقد وقع الطباق هنا بين الفعل المضارع في قوله : (يضلل)، وبين اسم الفاعل في قوله: (هاد)، فالضلال والهداية ضدان، وهو من طباق الإيجاب من نوعين مختلفين الأول: فعل والثاني: اسم، فمن أضله الله بسوء اختياره فلن يوفقه أحد للهدى مطلقًا، وذلك لأن المشركين ضلوا في جحودهم وجعلوا لله شركاء في العبادة، وجعلوا الأوثان تماثل الله سبحانه عز وجل.

يقول الطبري : «ومن أضله الله عن الحق والهدى بخذلانه إياه، فما له أحد يهديه لإصابتهما، لأن ذلك لا يُنال إلا بتوفيق الله ومعونته، وذلك بيد الله وإليه دون كل أحد سواه»[(١)].

وفي هذا الطباق توبيخ وتعجيب من عقول المشركين، وفيه أيضًا تسفيه للمخلوقات العاجزة.

وآثر التعبير بالمضارع في الضلال ليفيد تجدد واستمرار الضلال للمشركين وباسم الفاعل هادٍ ليفيد الثبوت، وذلك لأن الهداية بيد الله تعالى.

❖ ❖ ❖

(١) تفسير الطبري : ٤٨٦/١٦.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم: ٤).

حيث وقع الطباق بين المضارع في قوله : (يضل) والمضارع في قوله : (يهدي) فالضلال والهداية ضدان، والإضلال والهدى من الله بما أعد في نفوس الناس من اختلاف الاستعداد، ولا يهدي الله ولا يضل إلا لحكمة يعلمها سبحانه، وهو من طباق الإيجاب من نوعين متفقين.

يقول الشوكاني : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم تلك الشرائع باللغة التي ألفوها وفهموها، ومع ذلك فإن المضل والهادي هو الله عز وجل»[١].

وفائدة الطباق هنا تتمثل في توضيح الحكمة من إرسال الرسل، فعليهم البيان والبلاغ، والهداية بيد ربهم.

وإيثار التعبير بالمضارع للدلالة على تجدد واستمرار الهداية والضلال.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(الإسراء: ١٥).

وقع الطباق بين الفعل الماضي : (اهتدى) وبين الماضي (ضل) ، فالهداية والضلال ضدان، وهو من طباق الإيجاب بين نوعين متفقين.

فالله سبحانه وتعالى ساق قاعدة كلية تبين تحمل كل إنسان نتيجة عمله إن خيراً فخير، وإن شرًا فشر، وهذا من مظاهر نعمة الله على البشر .

---

(١) فتح القدير : ١٢٨/٤.

فالطباق كشف المعنى، وزاد توكيده. وتثبيته في الوجدان، وقرر مبدأ المسؤولية الشخصية، فلا يحمل أحدٌ ذنب أحد.

كما أن الآية فيها مقابلة بين قوله ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ﴾ وقوله : ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ .

أي : فمن اهتدى واتبع طريق الحق فقد اهتدى لنفسه، ومن ضل عن الطريق فقد ضر نفسه.

فجاءت المقابلة دالة على المعنى والغرض المراد مؤكدة على تحمل كل إنسان نتيجة عمله، وسعيه.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الحج: ٤).

حيث وقع الطباق بين الفعلين المضارعين في قوله: (يضله) وقوله (يهديه)، فالضلال والهداية ضدان، وهو من طباق الإيجاب بين فعلين من نوع واحد، والضمير في قوله (يضله) يعود على الشيطان.

والمعنى المراد : يضل الشيطان من اتبعه عن طريق الحق والخير، ويهديه أي: للشر، لأن معنى الهداية: الدلالة مطلقًا فإن دلت على خير فهي هداية، وإن دلت على شر فهي أيضًا هداية للشر.

وفي الطباق زجر عن اتباع كل شيطان مريد؛ لأنه قضى على ذاك الشيطان أنه يضل من يتبعه، ويقوده إلى العذاب المهلك، وإن كان في الإتيان بالهداية استهزاء وسخرية حيث أنها إلى عذاب السعير .

ومن يتأمل في الطباق هنا يلحظ أنه أسند إلى واحد وهو الشيطان، وأثر الطباق يبدو واضحًا في إبراز المعنى جليًا، وإدخال المهابة في النفس حتى تتبعد عن هذا الشيطان.

❖ ❖ ❖

ومن يتأمل قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٥).

يلاحظ أن الطباق وقع بين قوله : (لا شرقية) وقوله : (لا غربية)، فالشرق والغرب ضدان، وهو من طباق الإيجاب في نوع واحد حيث ورد بين اسمين.

وقد تكلم العلماء كثيرا عن هذا الطباق والمقصود منه، يقول الزمخشري: «وقيل لا في مضحى، ولا في مقنأة (وهو المكان الذي لا تطلع عليه الشمس)، ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها، وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها، قال رسول الله ﷺ : لا خير في شجرة في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى، وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو

غروبها بل تصيبها بالغداة والعشي جميعًا فهي شرقية وغربية»*[١].

أي أن هذه الشجرة ليست شرقية فقط، ولا غربية فقط، بل هي شرقية غربية تصيبها الشمس بالغداة والعشي، فهذا أنضر لشجرة الزيتون وأجود لزيتونها.

فاجتماع الضدين في هذه الآية الكريمة أفاد المبالغة في وصف شجرة الزيتون المستمد منها هذا الزيت الذي توقد به الزجاجة، فالطباق صور لنا قدرة الله عز وجل في جعل الشجرة معرضة للشمس طول النهار، وهذا يدل على امتداد حياتها، وحسن ثمرها. وفيه أيضاً تقريب للمعنى وتأكيد له، فهو يدعمها بعكسها، وهذا يزيد الأسلوب جمالاً.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴾(سبأ: ٣٢).

وقع الطباق بين قوله : (استكبروا) وقوله : (استضعفوا)، والمراد بالذين استضعفوا: الأتباع والعامة من الناس، والمراد بالذين استكبروا: الزعماء والقادة والرؤساء فهما ضدان، وهو من طباق الإيجاب بين فعلين ماضيين أي : من نوع واحد؛ لأن المستكبرين قالوا للمستضعفين منكرين قولهم: أنحن صددناكم عن الهدى بعد مجيئه لكم، بل كنتم مؤثرين الضلالة على الهدى «كأنه قيل: فماذا

---

(١) الكشاف: ٤٠٧/٤، وانظر إعراب القرآن وبيانه: ٦١٠/٦، والجدول في الإعراب: ٢٦٥/١٨.

*أخرجه جمال الدين عبدالله بن يوسف الزيلعي في كتابه تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، الحديث الرابع والثلاثون، وقال: هو غريب جدا: (٤٤٦/٢).

قال الذين استكبروا في الجواب، فقيل قالوا: منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الإيمان مثبتين أنهم هم الصادون بأنفسهم كونهم راسخين في الإجرام»[١].

وأثر الطباق يبدو جليًا في توبيخ وتقريع المستضعفين حيث اتبعوا الضلال باختيـــارهم دون تفكر أو تدبر.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قولـــه تعـــالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ (النجم: ٣٠).

حيث وقع الطباق بين قوله : (ضل) وقوله: (اهتدى)، فالضلال والهداية ضدان، وهو مـــن طباق الإيجاب بين فعلين ماضيين أي من نوع واحد.

والطباق في قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ فيـــه تســـلية للرسول ﷺ؛ وذلك لإعراض المشركين عن القرآن الكريم.

❖ ❖ ❖

وبهذا يتضح لنا أن هذا النوع من طباق الإيجاب ورد كثيراً ، وجاء بين المضارع والمضارع؛ والماضي والماضي، والاسم والاسم أي بين نوع واحد كما يقول البلاغيون ، وهو الأكثر. كما جاء بين نوعين مختلفين وهو الأقل، وقد رأينا كيف كان للطباق في هذا النوع أثر واضـــح في المعـــنى ، وإبرازه في صورة مشوقة عن طريق الجمع بين الضدين.

❖ ❖ ❖

(١) تفسير أبي السعود: ٣٧٥/٥، وانظر روح المعاني : ٣١٣/١٦.

ثانيًا: طباق السلب في آيات الهدى :

وورد ذلك في قولــه تعــالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص: ٥٦).

حيث وقع الطباق بين قوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي ﴾ وقوله : ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي ﴾ بين المضارع المنفي لا تهدي، والمثبت يهدي.

ويتجلى أثر الطباق هنا في تبين الهداية المنفية عن الرسول ﷺ وهي هداية المعونة والتوفيــق للإيمان؛ لأنه ﷺ هدى الجميع هداية الدلالة والإرشاد.

يقول الزمخشري : «لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت لأنك لا تعلــم المطبــوع على قلبه من غيره، ولكن الله يدخل في الإسلام من يشاء وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه، وأن الألطاف تنفع فيه، فتقرب به ألطافه حتى يدعوه إلى القبول»(١).

❖ ❖ ❖

ومن طباق السلب كذلك قوله تعــالى: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (المنافقون: ٦).

وقع الطباق بين المضارع المثبت في قوله : ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ﴾ والمضارع المنفي في قوله: ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾، وعلى هذا فهو من طباق السلب.

(١) الكشاف : ١٥٩/٥، وانظر البحر المحيط : ٣٨/٩.

والغرض من مجيء الطباق هنا هو تيئيس الرسول ﷺ من إيمان المنافقين ومن قبولهم للحق؛ لأن المنافقين الراسخين في الكفر والنفاق قد استوى عندهم استغفارك، وعدم استغفارك، فهم لجحودهم صاروا لا يفرقون بين الحق والباطل؛ ولذلك لن يغفر الله لهم مهما حرصت على هدايتهم.

وفي الآية «إشارة إلى عدم استعدادهم لقبول الاستغفار لكثافة طباعهم المظلمة، وغلظة حيلتهم الكدرة، ولو كان لهم استعداد لقبوله لخرجوا عن محبة الدنيا ومتابعة النفس والهوى إلى موافقة الشرع، ومتابعة الرسول ﷺ، والهدى ولما بقوا في ظلمة الشهوات الحيوانية، والأخلاق البهيمية والسبعية»[(١)].

❖ ❖ ❖

وهكذا نرى أمثلة الطباق كثيرة، ولم يكن القصد من هذا اللون البديعي تحسين الكلام فقط، بل رأينا له عملاً رئيسًا في أداء المعنى واستقامته، لا يؤدي غيره ما أداه من المعاني العظيمة التي يتجلى فيها إعجاز القرآن الكريم بالإضافة إلى ما يضفي على اللفظ من جمال ورشاقة.

❖ ❖ ❖

---

(١) تفسير حقي: ١٥/٣٤١.

٢- المقابلة في آيات الهدى:

المقابلة كما عرفها البلاغيون هي أن «يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب»(١).

فالطباق لا يكون إلا بالجمع بين ضدين مفردين فقط، أما المقابلة فتكون بين أكثر من ضدين أوصلها بعض العلماء لستة كما في قول الشاعر شرف الدين الأربلي :

على رأس عبد تاج عز يزينه وفي رجل حر قيد ذل يشينه

حيث وقعت المقابلة هنا بين ست معاني متضادة وهو أكبر عدد للمقابلة ذكره البلاغيون.

و«العنصر الجمالي في الطباق هو ما فيه من التلاؤم بينه وبين تداعي الأفكار في الأذهان باعتبار أن المتقابلات أقرب تخاطرًا إلى الأذهان من المتشابهات والمتخالفات»(٢).

هذا وقد استقرأت آيات الهدى فوجدت أن المقابلة وردت بين اثنين واثنين.

❖ ❖ ❖

وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٦).

قابل المولى عز وجل بين قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وبين قوله : ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وبين قوله : ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ وبين قوله : ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ﴾ وهي مقابلة اثنين باثنين.

---

(١) بغية الإيضاح : ١٢/٤.

(٢) البلاغة العربية: ٣٧٨/٢.

فالناس عندما ضرب الله الأمثال انقسموا إلى مؤمنين، وكافرين فالمقابلة أبـــرزت المعـــنى، وقوته، وأثارت الانتباه عن طريق ذكر حال المؤمنين والكافرين حيال تلقي الأمثال.

لكن السيوطي يقـــول إنها مقابلة خمسة بخمسة عندما وصل هذه الآية بما بعدها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (البقرة: ٢٧).

«فقابل بين (بعوضة) و(ما فوقها)، وبين (فأما الذين آمنوا) و (أما الـــذين كفـــروا) وبـــين (يضل) و(يهدي)، وبين (ينقضون) وَ (ميثاقه)، وبين (يقطعون) و(أن يوصل)»[١].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تـــعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ١٨٥).

قابل سبحانه وتعالى بين قولـــه : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ وقولـــه : ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، وهي مقابلة اثنين باثنين.

وهذه المقابلة جاءت لتدل على إباحة الفطر في شهر رمضان لأصحاب الأعذار المـــذكورين في الآية، وهذا من رحمة الله بعباده فقد فرض عليهم الصوم كما أباح لهم الفطر تيسيرًا على الناس،

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٦٩٨/٣.

وتجنبًا للتعسير على العباد، وعبر عن هذا المعنى بطريقة المقابلة التي لها تأثيرها الواضح في النفس، وما فيها من شد الانتباه وإصاخة السمع.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة: ١٠٩).

قابل سبحانه وتعالى هنا بين البنيان الذي أسس على التقوى والرضوان والخير، والمقصود به مسجد الرسول ﷺ، وبين البنيان الذي أسس على شفا جرف هار، والمقصود به مسجد الضرار، فقابل اثنين باثنين.

فتأسيس البناء الأول كان على التقوى، والثاني كان على الرياء والتفريق بين المؤمنين.

ومن يتأمل في دلالة هذه المقابلة الدقيقة الرائعة يلحظ فيها تجسيدًا واضحًا للمعنيين المتقابلين كما أن فيها ترغيبًا في الأول، وتنفيرًا من الثاني، وهذا من إعجاز القرآن الكريم في هذه المقابلة البديعية، فهي تؤكد المعنى، وتعطي الأسلوب عذوبة، ووقعًا طيبًا.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما ورد في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ (سبأ: ٥٠).

حيث وردت المقابلة هنا بين قوله: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ﴾ وقوله: ﴿ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ﴾، وهي مقابلة اثنين باثنين.

ويقول الزمخشري فإن قلت: «أين التقابل بين قوله: ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِي﴾ وقوله: ﴿يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ﴾، وإنما كان يستقيم أن يقال: فإنما أضل على نفسي، وإن اهتديت فإنما اهتدى لها، كقوله تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَا﴾ (فصلت:٤٦)، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها، أو يقال: فإنما أضل بنفسي. قلت : هما متقابلان من جهة المعنى؛ لأن النفس كل ما عليها فهو بها، أعني: أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها؛ لأن الأمارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه، وهذا حكم عام لكل مكلف، وإنما أمر رسول الله ﷺ أن يسنده إلى نفسه؛ لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به يدرك قول كل ضال ومهتد، وفعله لا يخفى عليه منهما شيء»[1].

ويقول الألوسي: «وكان الظاهر وإن اهتديت فلها، أو إن ضللت فإنما أضل بنفسي ليظهر التقابل لكنه عدل عن ذلك اكتفاء بالتقابل بحسب المعنى؛ لأن الكلام عليه أجمع، فإن كل ضرر فهو من النفس وبسببها وعليها وباله، وقد دل لفظ (على) في القرينة الأولى على معنى (اللام) في الثانية، والباء في الثانية على معنى السببية في الأولى فكأنه قيل: قل إن ضللت فإنما أضل بسبب نفسي على نفسي، وإن اهتديت فإنما اهتدي لنفسي بهداية الله وتوفيقه سبحانه، وعبر عن هذا (بما يوحي إلي ربي)؛ لأنه لازمه، وجعل (على) للتعليل، وإن ظهر عليه التقابل ارتكاب لخلاف الظاهر من غير نكتة»[2].

(١) الكشاف : ٣٩٤/٥، وانظر تفسير ابن عجيبه: ١٥٥/٥.
(٢) روح المعاني : ٣٣٤/١٦.

وهكذا أدت المقابلة هنا المعنى أحسن أداء؛ لأنها جاءت ركنًا أساسيًا مقصودة لذاتها، وليست حلية بديعية خالية من الرواء والمعنى الدقيق .

❖ ❖ ❖

وهكذا لاحظنا هنا أن المقابلة من المحسنات المعنوية التي لها طابعها الخاص، وثقلها الفني، وهي تعد ركنًا أساسيًا في أداء المعنى، بالإضافة إلى وقعها في الأسماع، وتأثيرها في النفس، وتمكينها للمعاني المتقابلة في الوجدان.

❖ ❖ ❖

٣- التناسب (تشابه الأطراف) في آيات الهدى:

تمتاز خواتيم آي القرآن الكريم بعامة أنها تقرر الغرض العام والخاص من الآية الكريمة، أو تؤكده، أو تحققه، أو تجعله منضمًا مع ما قبلها أو ما بعدها في تناسق عجيب، وقد أطلق البلاغيون على نهاية الآية الكريمة إذا ناسبت صدر الآية في المعنى: تشابه الأطراف، وجعلوه قسمًا من مراعاة النظير الذي هو نوع من أنواع البديع المعنوي، وعرفوا تشابه الأطراف بقولهم: «أن يُختم الكلام بما يناسبُ ما قبله في المعنى إما لكون ما خُتم به كالعلة لما بديء به أو العكس، أو كالدليل عليه، ونحو ذلك»[١].

وقد طالعت آيات الهدى مرارًا فلاحظت أن هذا النوع من البديع قد ورد كثيرًا وقد اكتفيت هنا بذكر خمسة مواطن على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر والاستقصاء.

❖ ❖ ❖

من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ **فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ**﴾ (الحج: ٤).

بعد أن ذكر المولى عز وجل «أن المجادل يتبع في جداله وفي جل أموره كل شيطان مريد وصف ذاك الشيطان بصفة أخرى»[٢]، وهي أن من تولى ذاك الشيطان، «فأنه يضله عن طريق

---

(١) شروح التلخيص: ٤/٤٤٦، وانظر بغية الإيضاح: ٤/١٦.

(٢) تفسير أبي السعود: ٦/٩٣، وانظر فتح القدير: ٣/٤٣٦.

الحق، ويبغض إليه الطاعات، ويعميه عن سبيل الخير، ولما كان الشيطان مضلاً، والضلال بطبيعته مكروهاً إلى كل شخص بين تعالى أن هذا الضلال لا هدى معه أصلاً»[١].

فقال : ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾، فإن كان هناك هداية فما هي إلا إلى العذاب، ولا يخفى ما في النص الكريم من السخرية والاستهزاء بهذا المجادل المتبع للشيطان حيث أنه يضله، ويقوده إلى الهلاك، فإذا ما سمع هذا المجادل قوله: (ويهديه) استعد للخير؛ ولكنه يفاجأ بعد هذا إلى (عذاب السعير)، فتزول تلك البهجة، ويحل محلها الحسرة والخيبة وسوء المصير، فهناك تناسق وتوافق رائع بين التعبير بالهداية، والتعبير بالعذاب حيث إنهما لا يتفقان ولكن النظم وضعهما معًا ليكون في هذا إمعان في السخرية والاستهزاء، وإيضاح عظم قيادة ذاك الشيطان لمتبعيه إلى الهلاك والعذاب، وفي هذا التشابه تأكيد على أن الشيطان يهدي إلى عذاب السعير.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٥).

«وقع تشابه الأطراف في هذه الجمل المتلاحقة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾، ويسمى مثل هذه الإعادة

---

(١) نظم الدرر : ٨/١٣.

تشابه الأطراف»[١].

وفي هذا التشابه تأكيد وتحقيق بأن الله نور السماوات والأرض. فالله مصدر النور في السماوات والأرض، فهو منورهما بكل نور حسي نراه، وبكل نور معنوي كنور الحق والعدل والهدى، وبكل ما يدل على وجود الله، ويدعو إلى الإيمان به سبحانه، ومثل نور الله العظيم كمثل نور مصباح شديد التوهج، ووجه تخصيص المشكاة أنها أجمع للضوء الذي يكون فيه من مصباح أو غيره، فلذلك لما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ناسب قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾).

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما ورد في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر: ١٨).

فإنه تعالى لما ذكر استماع المؤمنين القول الحسن ناسب أن يختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ لأن هذا ثناء من الله على هؤلاء المؤمنين الذين اجتنبوا الطاغوت، وأخلصوا لله العبادة؛ لأنهم أصحاب العقول السليمة.

يقول الزمخشري في وصف أولي الألباب: «هم الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم، وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة، وأراد أن يكونوا نقادًا في الدين يميزون بين

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٣٦/١٨، وانظر إعراب القرآن وبيانه: ٦١١/٦٠، والجدول في الإعراب: ٢٦٥/١٨.

الحسن والأحسن، والفاضل والأفضل، فإذا اعترضهم أمران: واجب وندب، اختاروا الواجب، فهم حريصون على فعل ما هو أكثر ثواباً عند الله..»[١].

وفي هذا التشابه تمجيد من الله للمؤمنين المستمعين أحسن القول.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: ٢٨).

فإنه لما ذكر الله عز وجل قصة مؤمن آل فرعون الذي دافع عن موسى عليه السلام بقوله لفرعون وقومه كيف تقتلون رجلاً يقول ربي الله وحده، والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة ناسب هذا المعنى أن يختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ ؛ لأنه «لو كان مسرفًا كذابًا لما هدى الله عز وجل موسى للنبوة ولما عضده بالبينات»[٢]، وفي هذا الختام تناسب تام للأطراف يدل على أن موسى عليه السلام نبي الله، وقد جاء بالبينات فلما لا تصدقونه، وفي هذا التشابه تأكيد لقول مؤمن آل فرعون.

❖ ❖ ❖

(١) الكشاف : ٥٣/٦.

(٢) الكشاف : ١٠٨/٦.

ومن تشابه الأطـراف كذلك ما جاء في قوله تعـالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (الشورى : ٥٢).

فإنه تعالى لما قال : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا﴾ ناسب ذلك أن يختم الآية بقولـه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾؛ لأن الله عز وجل أوحى إلى الرسول ﷺ القرآن الكريم مثل ما أوحـى إلى الرسل من قبله الكتب السماوية؛ لأن القرآن حياة القلوب، وهو نور عظيم يرشد من اتبعـه إلى الهدى لهذا ختم الله بقوله: وإنك أيها الرسول تدعوا بهذا القرآن إلى صراط مستقيم.

وفي هذا الختام تشابه لما بدئت به هذه السورة بالإيحاء إلى الرسول والأنبياء من قبله، وأيضًا في هذا الختام سرٌّ يتمثل في ذكر بعض أفضال الله عز وجل على نبيه محمـد ﷺ، واحتجـاج علـى نبوته.

❖ ❖ ❖

وهكذا تأتي خواتيم الآيات ملائمة ومناسبة لما قبلها لتؤكد الغرض أو تسوق العلة أو توضح المراد.

٤-التقسيم في آيات الهدى :

التقسيم هو «ذكر متعدد، ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين»[(١)].

والتقسيم المراد هنا يختلف عن اللف والنشر؛ لأن اللف والنشر هو «ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ما لكل واحد من غير تعيين؛ ثقة بأن السامع يرده إليه»[(٢)].

ويقول السكاكي : «هو أن نذكر شيئًا ذا جزأين أو أكثر، ثم نضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك»[(٣)].

وقد تتبعت هذا اللون البديعي المعنوي فوجدته قد ورد في آيات الهدى في أكثر من موضع.

❖ ❖ ❖

من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٣٨-٣٩).

الآيتان الكريمتان ذكرت أمر الله تعالى لآدم وزوجه وإبليس بالهبوط من الجنة إلى الأرض وإنذارهما وذرياتهما بأنه سيبعث الرسل، ويُنزل الكتب ويفرض التكاليف، فمن آمن بما أنزل الله من الكتاب، وبمن بعث من الرسل واهتدى، فلا خوف عليه، وأما الذين كفروا بما أنزل الله تعالى من الكتب، وبمن بعث من الرسل فهؤلاء سيكونون من أهل النار يخلدون فيها أبدا.

---

(١) بغية الإيضاح : ٣٣/٤.

(٢) المرجع نفسه: ٣٠/٤.

(٣) مفتاح العلوم: ٢٢٥-٢٢٦.

وقد دلت الفاء في قوله : (فإما) «إفادة ترتيب انقسام المخاطبين إلى مهتدين وكافرين على الهبوط المفهوم من قوله: (اهبطوا)»[١].

ويقول الدكتور سعد الدبل في قوله : « فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي) مع ما بعده من قوله تعالى (والذين كفروا بآياتنا) حسن تقسيم»[٢].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر:٢٨).

فالآية الكريمة ذكرت متعددا الأول : (مؤمن آل فرعون) ، والثاني : (الرجل الذي يقول ربي الله) والمقصود به موسى عليه السلام، ثم جاء التقسيم في قوله : ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾؛ وذلك لأن مؤمن آل فرعون كان يدافع عن موسى عليه السلام حيث طلب من قومه الإيمان به؛ لأنه قد جاءهم بالبينات والمعجزات الظاهرات الدالة على وحدانية الله، والدالة على صدقه، ونسب الرب إليهم في قوله: (من ربكم) استدراجًا لهم إلى الاعتراف به، ثم احتج بقوله: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ﴾، فلا حاجة إلى قتله، وإن يك صادقًا، يصبكم بعض الذي يعدكم.

---

(١) التفسير الوسيط : ٦٣/١.

(٢) دليل البلاغة القرآنية: ٦٢.

يقول الزمخشري : إن مؤمن آل فرعون: «أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال: لا يخلو من أن يكون كاذبًا أو صادقًا (فإن يك كاذبا فعليه كذبه) أي : يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره، (وإن يك صادقًا يصبكم بعض ما يعدكم إن تعرضتم له، فإن قلت: لم قال (بعض الذي يعدكم) وهو نبي صادق، لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه قلت: لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه إلى أن يلاوصهم ويدارهم فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله، وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه..»[١].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (الحديد: ٢٦).

عندما ذكرت الآية الكريمة (نوحا) و(إبراهيم) عليهما السلام قسمت الذرية أو المرسل إليهم لكل منهما إلى فريقين (فمنهم مهتد) و (كثير منهم فاسقون)، والغلبة للفساق؛ لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم، وقد بين الله تعالى شرف نوحٍ وإبراهيم عليهما السلام بالرسالة ثم جعل في ذريتهما النبوة والكتاب فما جاء بعدهما أحد بالنبوة إلا وكان من أولادهما، وقدم النبوة على الكتاب؛ لأن كمال حال النبي أن يصير صاحب الكتاب والشرع.

و«خص – سبحانه – نوحاً وإبراهيم– عليهما السلام بالذكر لشهرتهما ولأن جميع الأنبياء من نسلهما»[٢].

❖ ❖ ❖

(١) الكشاف : ٦/١٠٧.

(٢) التفسير الوسيط : ١/٤١٠٤.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ (المدثر: ٣١).

الآية الكريمة ذكرت المنافقين والكافرين واستغرابهم من عدد خزنة جهنم، فجاء التقسيم بين الضلال والهداية في قوله: (يضل الله من يشاء) و (يهدي من يشاء) والذي دل على التقسيم تقديم «وصف المفعول المطلق (كذلك) ، فهو يدل على الاهتمام بهذا التشبيه، وحصل من تقديمه محسن الجمع ثم التقسيم إذْ جاء تقسيمه بقوله: يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء»[(١)].

❖ ❖ ❖

وهكذا اتضح لنا براعة الأسلوب القرآني في حسن التقسيم الذي أوضح أحوال هؤلاء المخاطبين على أحسن صورة، بالإضافة إلى أنه حلية بديعية معنوية تحسن المعنى وتقويه.

❖ ❖ ❖

(١) التحرير والتنوير: ٣١٩/٢٩.

٥- تجاهل العارف (سوق الكلام مساق غيره) في آيات الهدى:

وهو «سوق المعلوم مساق المجهول لنكتة تقصد»[(١)].

وقد سماه السكاكي بذلك تأدبًا[(٢)] – والحق ما صنع السكاكي لوروده كثيراً في القرآن الكريم في مواطن شتى . كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (طه: ١٧).

هذا ومن الأسرار والنكات البلاغية الباعثة على سوق المعلوم مساق غيره:

١- التوبيخ .

٢- المبالغة في المدح أو في الذم.

٣- التقرير.

٤- التعريض.

٥- التدله في الحب.

٦- التحقير.

وقد أمعنت النظر في آيات الهدى فوجدت هذا اللون البديعي المعنوي ورد في آية واحدة فحسب.

في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: ٢٤).

حيث وقع تجاهل العارف في قوله : ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

---

(١) بغية الإيضاح : ٤/٥٩.

(٢) المفتاح : ٢٠٢.

فالله عز وجل ورسوله ﷺ على علم تام بمن هو على الهدى، ومن هو على الضلال ولكن جاء الكلام على هذا النحو للتعريض بالمشركين.

وهناك فائدة أخرى ، «وهي أنه جيء بهذا الكلام على هذا الوجه من الإبهام ليكون سببا في بعث المشركين على التدبر، والتأمل في حال أنفسهم وحال النبي والمؤمنين حتى إذا أمعنوا النظر علموا أنهم على ضلالة، فيبعثهم ذلك على الاهتداء بالإسلام»[١].

❖ ❖ ❖

وفي ختام هذا المبحث أقول إن المحسنات البديعية المعنوية وردت في موطنها السديد، وهذه المحسنات يتطلبها المعنى، ولا يغني غيرها عنها. كما أن هذه المحسنات كما رأينا كانت من الوسائل التي يستعان بها في إظهار المشاعر والعواطف وإبراز المعنى بوضوح.

❖ ❖ ❖

(١) البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم : ٨٣.

الفصل الرابع

المبحث الثاني : الصور البديعية اللفظية في آيات الهدى

١ – الجناس.

٢ – الفواصل.

الفصل الرابع

المبحث الثاني : الصور البديعية اللفظية في آيات الهدى

١- الجناس في آيات الهدى :

الجناس لغة : « المشاكلة ، والاتحاد في الجنس، يقال لغة: جانسه إذا شاكله، وإذا اشترك معه في جنسه، وجنس الشيء أصله الذي اشتق منه، وتفرع عنه، واتحد معه في صفاته العظمى التي تُقوم ذاته»[١].

واصطلاحا : هو تشابه الكلمتين في اللفظ ، واختلافهما في المعنى، ويسميه بعض العلماء التجنيس أو الأجناس، يقول أبو عبيد القاسم: « الأجناس من كلام العرب ما اشتبه فيه اللفظ، واختلف في المعنى»[٢]، وعرفه العلوي فقال: هو «أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناهما»[٣].

وهو نوعان :

١- جناس تام : وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة وهي: نوع الحروف، وعددها، وترتيبها، وشكلها (تشكيلها بحركات وسكنات).

كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم:٥٥).

فالمراد بالساعة الأولى : يوم القيامة، وبالساعة الثانية: جزء من الزمان.

٢-جناس غير تام : وهو ما اختلف اللفظان في أحد الأمور الأربعة المذكورة (النوع والعدد، والهيئة، والترتيب).

---

(١) المعجم الوسيط : ١/١٤٠، والبلاغة العربية: ٢/٤٨٥.

(٢) الصناعتين : ٣٢١.

(٣) الطراز : ٢/٣٥٦.

وقد وقع الجناس في آيات القرآن في أحسن موضع، فلا تكلف ولا إخلال بل براعة، وغاية بيان طلبتها المعاني، فتحدرت في روعة وجمال وانسياب تام.

وذكر السبكي من فوائد الجناس : «الميل إلى الإصغاء إليه، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاء إليها؛ ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء المراد به معنى آخر كان للنفس تشوق إليه»[١].

والذي ورد في آيات الهدى من أنواع الجناس هو الجناس غير التام، وأيضًا جناس الاشتقاق، وهو ما يلحق بالجناس.

❖ ❖ ❖

(١) عروس الأفراح : ٤/٤١٢-٤١٣، بتصرف يسير.

أوَّلا : الجناس غير التام في آيات الهدى وورد فيه نوعان:

١- الجناس الناقص وهو ما اختلف فيه اللفظان في عدد الحروف.

وقد ورد في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة: ١٠٩).

وقع الجناس في قوله : (هارٍ ، انهار) ، وهو جناس ناقص لاختلاف الكلمتين في عدد الحروف، فالأول (هار) ثلاث حروف، والثاني (انهار) خمسة حروف بزيادة (الألف، والنون).

فمعنى هار : مشرف على السقوط، وانهار: سقط مع بانيه إلى نار جهنم، وهذا تمثيل للبناء الذي أسس على النفاق والباطل، والمراد مسجد الضرار .

وفي هذا الجناس بيان ضعف الباطل واضمحلاله وقرب زواله، ولا نرى أبلغ من هذا الكلام في الدلالة على حقيقة الباطل.

علاوة على أن الجناس أضاف جرسًا موسيقيًّا للآية، مما جعل النفس متشوقة للإصغاء إليه.

❖ ❖ ❖

٢- الجناس المضارع وهو : «اختلاف اللفظين في أنواع الحروف، واشترط ألا يقع الاختلاف بأكثر من حرف»(١).

من ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ (فاطر: ٤٢).

(١) بغية الإيضاح : ٧٤/٤، بتصرف يسير.

حيث وقع الجناس هنا في قوله : (أهدى – إحدى).

وقد اختلف اللفظان في نوع الحروف، وهما (الهاء – والحاء) مع فتح الهمزة الأولى، وكسرها في الثانية، وهذا يدخل في الجناس المضارع؛ لأن الحرفين متقاربان في مخرجيهما.

وفي هذا الجناس إثارة للانتباه عن طريق الاختلاف في المعنى، وفيه أيضًا تشوق إلى الاستماع والإنصات لما يرد عقبه، وذلك لأن كفار مكة أقسموا بالله قسمًا مؤكدًا موثقًا إن جاءهم نبي ينذرهم بأن الكفر باطل، وأن الإيمان بالله حق؛ ليكونن أصوب وأهدى من اليهود والنصارى، لكن ما زادهم مجيء محمدﷺ إلا بعدًا عن الحق والهدى.

❖ ❖ ❖

ثانيًا: ما يلحق بالجناس :

١- جناس الاشتقاق : بمعنى أن يجمعهما أصل واحد في اللغة.

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم: ٤).

حيث وقع الجناس في قوله : (أرسلنا – رسول).

وهو جناس اشتقاق لأن اللفظين يجمعهما أصل واحد وهو مادة (رسل).

وسر جمال الجناس أنه يحدث نغمًا موسيقيًا يثير النفس، وتطرب إليه الأذن، كما أن الجناس فيه تأكيد على المعنى، وهو إرسال الرسل بلغة أقوامهم.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (إبراهيم: ١٢).

حيث وقع الجناس في قوله : (فليتوكل – المتوكلون)، وهو جناس اشتقاق.

ولكن هل هناك فرق بين التوكلين ؟

نعم ، أجاب عن ذلك الخازن بقوله: « التوكل الأول فيه إشارة إلى استحداث التوكل، والتوكل الثاني فيه إشارة إلى السعي في التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وإبقائه وإدامته، فحصل الفرق بين التوكلين»[١].

(١) تفسير الخازن : ٤/١٠٧.

وفي هذا الجناس إشارة إلى تصميم الرسل في الثبات على التوكل، وفي التعبير بالمتوكلين دلالة على أن التوكل حاصل ، والمطلوب الدوام عليه.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ (الإسراء: ١٥).

حيث وقع الجناس في قوله : (تزر – وازرة)، وهو جناس اشتقاق، والوزر : الثقل والحمل، ويراد بها الذنوب، ومعنى تزر : تحمل وزر أخرى.

وفي هذا الجناس رد واضح على الذين يحرضون غيرهم على ارتكاب المعاصي والذنوب بحجة أنهم يتحملون عاقبة ذلك، فلا أحد يحمل ذنب أحد .

كما أن في الجناس فائدة أخرى تتمثل في تقوية المعنى، وتأكيده ونقل هذا الإحساس بقوة إلى المخاطب.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأحقاف: ١٠).

حيث وقع الجناس في قوله : (شهد – شاهد) ، وهو جناس اشتقاق. فالشاهد هو عبدالله بن سلام.

وفي هذا الجناس جرس موسيقي يطرب الأذن، بالإضافة إلى تقوية المعنى وتأكيده، وهذا المعنى هو تأكيد ظلم المشركين؛ لأنهم أنكروا أن يكون القرآن الكريم من عند الله تعالى، مع أن

شاهدًا من بني إسرائيل الذين تثقون بشهادتهم قد شهد على مثل القرآن بالصدق لاتفـاق التـوراة والقرآن على وحدانية الله – تعالى – فآمن هذا الشاهد بالقرآن، وبما جاء به الرسول ﷺ، وأكـد ذلك الإيمان (بالفاء) في قوله : (فآمن)؛ لأنها تدل على مسارعته إلى الإيمان، أما المشركون استكبروا عن الإيمان ، والله لا يهدي القوم الذين استحبوا الظلم على العدل ، والعمى على الهدى.

❖ ❖ ❖

وهكذا رأينا كيف ورد هذا اللون البلاغي في آيات الهدى على أتم ما يكون، كمـا رأينـا تلك الظلال المميزة التي أضافها الجناس على هذه الآيات الكريمة فهو «من ألطف مجاري الكـلام، ومن محاسن مداخله، وهو من الكلام كالغرة في وجه الفرس»(١).

فليس المقصود من إيراد الجناس تحسين اللفظ فقط، وإنما مراعاة المعاني، وما تتطلبـه مـن ألفاظ في المقام الأول، وقد ذكر السيوطي مقولة الإمام فخر الدين: « بأن فصاحة القرآن ليسـت لرعاية هذه التكلفات؛ بل لأجل قوة المعاني، وجزالة «الألفاظ»(٢).

وسر جماله أنه يحدث نغمًا موسيقيًا يثير النفس، وتطرب إليه الأذن كما يؤدي إلى حركـة ذهنية تثير الانتباه عن طريق الاختلاف في المعنى، ويزداد الجناس جمالاً إذا كان غير متكلـف، وإلا كان زينة شكلية لا قيمة لها، وحاشا أن يكون هذا في كلام الله عز وجل.

٢- الفواصل في آيات الهدى :

قبل أن أُظهر نسق الفواصل في آيات الهدى، وأوضح الحروف التي بنيت عليها وما لها من خصائص أذكر المراد بالفاصلة القرآنية، وقيمتها اللفظية والمعنوية.

---

(١) الطراز : ٣٥٥/٢.

(٢) الإتقان: ١١٧/٢.

فقد وقف العلماء أمام أجراس الحروف التي تنتهي بها الكلمات وأصواتها التي تصغي لها الآذان، فسموا تلك الظاهرة بالسجع، وقد تصدى لها بعضهم ورفض وقوعها في القرآن لكونها مما يقع في كلام الكهان.

قال الرماني : « الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني. والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها»(١).

ومن الذين تحمسوا قديمًا لقضية نفي السجع عن القرآن أبو بكر الباقلاني فيقول: «لو كان القرآن سجعًا لكان غير خارج من أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال : هو سجع معجز، لجاز لهم أن يقولوا: شعر معجز، وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حُجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تنافي النبوات، وليس كذلك الشعر»(٢)، فهذان رفضا أن يطلق على فواصل القرآن سجعا، وعلى ذلك، فالفاصلة هي «الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن، ولعلها مأخوذة من قوله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ وربما سميت بذلك؛ لأن بها يتم بيان المعنى، ويزداد جلاء وقوة؛ لأن التفصيل فيه توضيح وجلاء وبيان، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ (فصلت : ٤٤). فمكانة الفاصلة من الآية مكانة القافية من البيت، إذ تصبح الآية لبنة متميزة في بناء هيكل السورة . وتنزل الفاصلة من آيتها، تكمل من معناها، ويتم بها النغم الموسيقي للآية، فنراها أكثر ما تنتهي بالنون وحروف المد، وتلك هي الحروف الطبيعية في الموسيقى

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ٩٧ للرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي.
(٢) إعجاز القرآن : ٨٦، لأبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني.

نفسها، قال سيبويه: «إن العرب إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون، لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا»[١].

وإذا تتبعنا حروف الروي في فواصل آيات الهدى سنجدها تنوعت تنوعا واضحا، وأكثر هذه الحروف هو حرف النون الذي خُتِم به مائة وأربعون آية تنتهي بالكلمات الآتية على حسب ورودها في المصحف الشريف : سورة البقرة : (للمتقين – المفلحون – مهتدين – الفاسقين – يحزنون – تهتدون – لمهتدون – للمؤمنين – المشركين – تهتدون – المهتدون – اللاعنون – يهتدون – تشكرون – الضالين – الظالمين – الكافرين – تظلمون)[٢].

سورة آل عمران : (الظالمين – للعالمين – تهتدون)[٣].

سورة المائدة : (الكافرون – للمتقين – الظالمين – الكافرين – يهتدون– تعلمون– الفاسقين)[٤].

سورة الأنعام : (الجاهلين – المهتدين – العالمين – الضالين – تتذكرون– مهتدون – المحسنين – يعملون – للعالمين – يلعبون – يعلمون – بالمهتدين – الظالمين – أجمعين – يؤمنون – يصدفون – المشركون)[٥].

---

(١) من بلاغة القرآن : ٦٤، لأحمد بدوي ، وانظر الإتقان : ٧٠١/٣.

(٢) سورة البقرة الآيات حسب ترتيبها : ٢ ، ٥، ١٦، ٢٦، ٣٨، ٥٣، ٧٠، ٩٧، ١٣٢، ١٥٠، ١٥٧، ١٥٩، ١٧٠، ١٨٥ ، ١٩٨، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٧٢.

(٣) سورة آل عمران : ٨٦، ٩٦ ، ١٠٣.

(٤) سورة المائدة : ٤٤، ٤٦، ٥١ ، ٦٧، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨.

(٥) سورة الأنعام : ٣٥، ٥٦ ، ٧١ ، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ٨٨، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٧، ١١٧، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٧، ١٦١.

سورة الأعراف : (تعلمون – يؤمنون – يسمعون – يرهبون – ظالمين – الغافرين – تهتدون– يعدلون – الخاسرون – يعدلون – يعمهون – صامتون – يبصرون – يؤمنون)[١].

سورة التوبة: (المهتدين – الظالمين – الفاسقين – المشركون – الكافرين – الفاسقين– الظالمين)[٢].

سورة يونس : (تحكمون – يبصرون – مهتدين – للمؤمنين)[٣].

سورة يوسف : (الخائنين – يؤمنون)[٤].

سورة إبراهيم (المتوكلون)[٥].

سورة النحل : (أجمعين – تهتدون– ناصرين – يؤمنون – للمسلمين – تعملون – للمسلمين – الكافرين– بالمهتدين)[٦].

سورة الأنبياء : (يهتدون – عابدين)[٧].

سورة الحج : (المحسنين)[٨].

سورة المؤمنون : (يهتدون)[٩].

---

(١) الآيات حسب ترتيبها في سورة الأعراف : ٣٠، ٤٣ ، ٥٢ ، ١٠٠، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٨، ١٨١، ١٨٦، ١٩٣، ٢٠٣.

(٢) سورة التوبة : ١٨، ١٩ ، ٢٤ ، ٣٣، ٣٧، ٨٠، ١٠٩.

(٣) سورة يونس : ٣٥، ٤٣، ٤٥، ٥٧.

(٤) سورة يوسف : ٥٢، ١١١.

(٥) سورة إبراهيم : ١٢.

(٦) سورة النحل : ٩، ١٥ ، ٣٧، ٦٤، ٨٩ ، ٩٣، ١٠٢، ١٠٧، ١٢٥.

(٧) سورة الأنبياء : ٣١، ٧٣.

(٨) سورة الحج : ٣٧.

(٩) سورة المؤمنون : ٤٩.

سورة النور : (المبين)[١].

سورة الشعراء : (سيهدين – يهدين)[٢].

سورة النمل : (للمؤمنين – يهتدون – المرسلون – تفرحون – يهتدون – يشركون– للمؤمنين – مسلمون – المنذرين)[٣].

سورة القصص : (الظالمون – يتذكرون – صادقين – ظالمين – بالمهتدين – يعلمون – يهتدون – مبين)[٤].

سورة العنكبوت : (المحسنين)[٥].

سورة الروم : (ناصرين – مسلمون)[٦].

سورة لقمان : (للمحسنين – المفلحون)[٧].

سورة السجدة : (يهتدون – أجمعين – يسمعون)[٨].

سورة سبأ : (مبين – مجرمين)[٩].

سورة فاطر : (يصنعون)[١٠].

---

(١) سورة النور : ٥٤.
(٢) سورة الشعراء : ٦٢، ٧٨.
(٣) سورة النمل : ٢، ٢٤، ٣٥، ٣٦، ٤١، ٦٣، ٤١، ٦٣، ٧٧ ، ٨١ ، ٩٢.
(٤) سورة القصص : ٣٧، ٤٣ ، ٤٩، ٥٠، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٨٥.
(٥) سورة العنكبوت : ٦٩.
(٦) سورة الروم : ٢٩، ٥٣.
(٧) سورة لقمان : ٣، ٥.
(٨) سورة السجدة : ٣، ١٣ ، ٢٦.
(٩) سورة سبأ : ٢٤، ٣٢.
(١٠) سورة فاطر : ٨.

سورة يس : (مهتدون)[١].

سورة الصافات: (سيهدين)[٢].

سورة الزمر : (المتقين)[٣].

سورة فصلت : (يكسبون)[٤].

سورة الزخرف : (تهتدون – مهتدون – كافرون – مهتدون – مبين – لمهتدون)[٥].

سورة الجاثية : (يوقنون – تذكرون)[٦].

سورة الأحقاف : (الظالمين)[٧].

سورة الحجرات : (صادقين)[٨].

سورة الحديد : (فاسقون)[٩].

سورة الصف : (الفاسقين – الظالمين – المشركون)[١٠].

سورة الجمعة : (الظالمين)[١١].

---

(١) سورة يس : ٢١.

(٢) سورة الصافات : ٩٩.

(٣) سورة الزمر : ٥٧.

(٤) سورة فصلت : ١٧.

(٥) سورة الزخرف : ١٠، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٧، ٤٠، ٤٩.

(٦) سورة الجاثية : ٢٠، ٢٣.

(٧) سورة الأحقاف: ١٠.

(٨) سورة الحجرات: ١٧.

(٩) سورة الحديد : ٢٦.

(١٠) سورة الصف : ٥، ٧ ، ٩.

(١١) سورة الجمعة : ٥.

سورة المنافقون : (الفاسقين)[١].

سورة القلم : (بالمهتدين)[٢].

سورة البلد: (النجدين)[٣].

يتلوه حرف الميم الذي خُتم به في ثمانية وثلاثين آية تنتهي بالكلمات الآتية حسب ورودها في المصحف الشريف .

سورة الفاتحة : (المستقيم)[٤].

سورة البقرة : (العليم – مستقيم – رحيم – مستقيم)[٥].

سورة آل عمران : (انتقام – عليم – مستقيم)[٦].

سورة النساء : (حكيم – مستقيما – مستقيما)[٧].

سورة المائدة : (مستقيم)[٨].

سورة الأنعام : (مستقيم)[٩].

سورة التوبة : (عليم)[١٠].

---

(١) سورة المنافقون : ٦.

(٢) سورة القلم : ٧.

(٣) سورة البلد : ١٠.

(٤) سورة الفاتحة : ٦.

(٥) سورة البقرة : ١٣٧، ١٤٢، ١٤٣، ٢١٣.

(٦) سورة آل عمران : ٤، ٧٣، ١٠١.

(٧) سورة النساء : ٣، ٦٨ ، ١٧٥.

(٨) سورة المائدة : ١٦.

(٩) سورة الأنعام : ٨٧.

(١٠) سورة التوبة : ١١٥.

سورة يونس: (النعيم – مستقيم)[١].

سورة إبراهيم : (الحكيم)[٢].

سورة النحل : (أليم – مستقيم)[٣].

سورة الحج : (مستقيم – مستقيم)[٤].

سورة النور : (عليم – مستقيم)[٥].

سورة الصافات : (الجحيم – المستقيم)[٦].

سورة الزمر : (انتقام)[٧].

سورة الشورى : (مستقيم)[٨].

سورة الجاثية : (أليم)[٩].

سورة الأحقاف : (قديم – مستقيم)[١٠].

سورة محمد : (بالهم – تقواهم – بهم – أعمالهم)[١١].

---

(١) سورة يونس : ٩، ٢٥.

(٢) سورة إبراهيم : ٤.

(٣) سورة النحل : ١٠٤، ١٢١.

(٤) سورة الحج : ٥٤، ٦٧.

(٥) سورة النور : ٣٥، ٤٦.

(٦) سورة الصافات : ٢٣، ١١٨.

(٧) سورة الزمر : ٣٧.

(٨) سورة الشورى : ٥٢.

(٩) سورة الجاثية : ١٠.

(١٠) سورة الأحقاف : ١١، ٣٠.

(١١) سورة محمد : ٥، ١٧، ٢٢، ٣٢.

سورة الفتح : (مستقيما – مستقيما)[١].

سورة التغابن : (عليم)[٢].

سورة الملك : (مستقيم)[٣].

ثم يلي ذلك حرف الدال الذي جاء فاصلة في عشرين آية تنتهي بالكلمات التالية على حسب ورودها في المصحف الشريف .

سورة آل عمران : (بالعباد)[٤].

سورة الرعد : (هاد– الميعاد – هاد).[٥]

سورة الكهف : (مرشدا – رشدا – أبدا)[٦].

سورة مريم : (مردا)[٧].

سورة الحج : (يريد – الحميد)[٨].

سورة سبأ : (الحميد)[٩].

سورة الزمر : (هاد – هاد)[١٠].

---

(١) سورة الفتح : ٢، ٢٠.

(٢) سورة التغابن : ١١.

(٣) سورة الملك : ٢٢.

(٤) سورة آل عمران : ٢٠.

(٥) سورة الرعد : ٧، ٣١، ٣٣.

(٦) سورة الكهف : ١٧، ٢٤ ، ٥٧.

(٧) سورة مريم : ٧٦.

(٨) سورة الحج : ١٦، ٢٤.

(٩) سورة سبأ : ٦.

(١٠) سورة الزمر : ٢٣، ٣٦.

سورة غافر : (الرشاد – هاد – الرشاد)[١].

سورة فصلت : (بعيد)[٢].

سورة الفتح : (شهيدًا)[٣].

سورة التغابن : (حميد)[٤].

سورة الجن : (أحدا)[٥].

❖ ❖ ❖

أما حرف الألف المقصورة فقد جاء فاصلة في سبع عشرة آية تنتهي بالكلمات الآتية: على حسب ورودها في المصحف الشريف .

سورة الكهف : (هدى)[٦].

سورة طه : (هدى – الهدى – هدى – هدى – اهتدى – وهدى – يشقى– النهى– اهتدى)[٧].

سورة النجم : (الهدى – اهتدى)[٨].

---

(١) سورة غافر : ٢٩، ٣٣ ، ٣٨.

(٢) سورة فصلت : ٤٤.

(٣) سورة الفتح : ٢٨.

(٤) سورة التغابن : ٦.

(٥) سورة الجن : ٢.

(٦) سورة الكهف : ١٣.

(٧) سورة طه : ١٠، ٤٧ ، ٥٠ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٣٥.

(٨) سورة النجم : ٢٣، ٣٠.

سورة النازعات : (فنخشى)[١].

سورة الأعلى : (فهدى)[٢].

سورة الليل : (للهدى)[٣].

سورة الضحى : (فهدى)[٤].

سورة العلق : (الهدى)[٥].

❖ ❖ ❖

أما حرف الراء فذكر فاصلة في ثلاث عشرة آية تنتهي بالكلمات الآتية على حسب ترتيبها:

سورة البقرة : (نصير – النار)[٦].

سورة النساء: (مصيرا)[٧].

سورة الإسراء : (كبيرًا – سعيرًا)[٨].

سورة الحج : (السعير – منير)[٩].

---

(١) سورة النازعات : ١٩.

(٢) سورة الأعلى : ٣.

(٣) سورة الليل : ١٢.

(٤) سورة الضحى : ٧.

(٥) سورة العلق : ١١.

(٦) سورة البقرة : ١٢٠، ١٧٥.

(٧) سورة النساء : ١١٥.

(٨) سورة الإسراء : ٩، ٩٧.

(٩) سورة الحج : ٤ ، ٨.

سورة الفرقان : (نصيرًا)[١].

سورة لقمان : (منيرًا)[٢].

سورة فاطر : (نفورًا)[٣].

سورة الزمر : (كفار)[٤].

سورة المدير : (للبشر)[٥].

سورة الإنسان : (كفورا)[٦].

❖ ❖ ❖

أما حرف اللام فقد ورد في ختام ثلاث عشرة آية أيضًا تنتهي بالكلمات الآتية:

سورة النساء : (سبيلاً – سبيلاً – سبيلاً – سبيلاً)[٧].

سورة يونس : (بوكيل)[٨].

سورة الإسراء : (وكيلاً – رسولاً – رسولاً – سبيلاً)[٩].

سورة الكهف : (قبلاً)[١٠].

---

(١) سورة الفرقان : ٣١.

(٢) سورة لقمان : ٢٠.

(٣) سورة فاطر : ٤٢.

(٤) سورة الزمر : ٣.

(٥) سورة المدثر : ٣١.

(٦) سورة الإنسان : ٣.

(٧) سورة النساء : ٥١، ٨٨ ، ٩٨ ، ١٣٧.

(٨) سورة يونس : ١٠٨.

(٩) سورة الإسراء : ٢ ، ١٥، ٩٤ ، ٨٤.

(١٠) سورة الكهف : ٥٥.

سورة السجدة : (إسرائيل)[١].

سورة الأحزاب : (السبيل)[٢].

سورة الزمر : (بوكيل)[٣].

❖ ❖ ❖

أما حرف الباء فجاء مختوما به في ثماني آيات تنتهي بالكلمات الآتية:

سورة آل عمران : (الوهاب)[٤].

سورة الرعد: (أناب)[٥].

سورة سبأ: (قريب)[٦].

سورة الزمر : (الألباب)[٧].

سورة غافر : (كذاب – الكتاب – الألباب)[٨].

سورة الشورى : (ينيب)[٩].

❖ ❖ ❖

---

(١) سورة السجدة : ٢٣.

(٢) سورة الأحزاب : ٤.

(٣) سورة الزمر : ٤١.

(٤) سورة آل عمران : ٨.

(٥) سورة الرعد : ٢٧.

(٦) سورة سبأ : ٥٠.

(٧) سورة الزمر : ١٨.

(٨) سورة غافر : ٢٨، ٥٣ ، ٥٤.

(٩) سورة الشورى : ١٣.

أما حرف القاف فقد ورد في ختام آيتين فحسب تنتهي بالكلمتين الآتيتين :

سورة النساء : ﴿طريقًا﴾(١).

سورة الجن: ﴿رهقًا﴾(٢).

❖ ❖ ❖

كذلك حرف الياء فقد ختم به في آيتين تنتهي بالكلمتين الآتيتين :

سورة مريم: ﴿ سويًّا – بكيًّا﴾(٣).

❖ ❖ ❖

أما حرف الصاد فقد خُتمت به آية واحدة في سورة إبراهيم : ﴿محيص﴾(٤).

❖ ❖ ❖

وكذلك حرف الطاء فقد ختمت به آية واحدة أيضًا وهي في سورة ص: ﴿الصراط﴾(٥).

❖ ❖ ❖

وعليه فقد كانت حروف الفواصل في آيات الهدى أحد عشر حرفا هي : (النون) و (الميم) و(الدال) و (الألف) و (الراء) و(اللام) و(الباء) و(القاف) و(الياء) و(الصاد) و(الطاء).

وحروف الفاصلة في آيات الهدى لها مخارج مختلفة، فورد من الحروف الشفوية (الباء والميم) وهي من الحروف التي يسهل نطقها كثيرًا ولا يشق الإتيان بها، ومن الحروف اللسانية (النون، والصاد، واللام، والراء، والطاء، والدال). وهذه الحروف متوسطة من حيث سهولة المخرج على

---

(١) سورة النساء : ١٦٨.
(٢) سورة الجن : ١٣.
(٣) سورة مريم : ٤٣، ٥٨.
(٤) سورة إبراهيم : ٢١.
(٥) سورة ص : ٢٢.

لسان المتكلم، «فحرف اللام : من أدنى حافتي اللسان إلى منتهى طرفه). والنون: (من طرف اللسان مع ما فوقه من أصول الثنيتين العليين). والراء : (من طرف اللسان مما يلي ظهره مع ما فوقه من أصول الثنيتين العليين) والطاء والدال : (من طرف اللسان من جهة ظهره مع ما يليه من أصول الثنايا العليا. والصاد : (من طرف اللسان وفوق الثنايا السفلى)»[١]، والقاف : (من أقصى اللسان). وحرف (الياء والألف) من الجوف، وأما الحروف الحلقية فلم ترد في فواصل آيات الهدى؛ لأنها من أصعبها على اللسان.

وأما ختم الكلمات بتلك الحروف في الفاصلة فمما عجزتُ عن تفسيره أو إدراك سره، لكن الفاصلة في القرآن مستقرة في قرارها، غير نافرة ولا قلقة، يتعلق معناها بمعنى الآية تعلقًا تامًا بحيث لو استبدلت لاختل المعنى واضطراب الفهم، «ولا تخرج فواصل القرآن عن أربعة أشياء: التمكين ، والتصدير، والتوشيح، والإيغال، وهذا ما قاله ابن أبي الأصبع»[٢]. أما الإيغال فقد سبق الحديث عنه في الفصل الثاني، وسأعرض للأنواع الباقية على النحو الآتي:

❖ ❖ ❖

أولا: التمكين :

التمكين – «ويسمى ائتلاف القافية– أي يمهد الناثر للقرينة، أو الشاعر للقافية، تمهيدا تأتي به القافية أو القرينة متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة،

(١) دراسة المخارج والصفات : ٣٨، وما بعدها، أبو عبدالرحمن جمال إبراهيم القرش.

(٢) تحرير التحبير : ١/٣٧.

متعلقًا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم، وبحيث لو سُكت عنها كمله السامع بطبعه»[١].

من أمثلة ذلك في آيات الهدى : ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٩).

فإن اللعن المذكور في نهاية الآية ناسب اليهود الذين يكتمون ما أنزل الله، فقد كتم بعض من أهل الكتاب البينات التي أنزلها الله في الكتاب الذي معهم، وهذه البينات تثبت صدق محمد ﷺ في نبوته، وهذا الكتمان سيورث شرورًا ، ولهذا ناسبه اللعن والطرد والإبعاد من رحمة الله، فمن يقف على لفظة الكتاب يجد أن ما بعده في أشد الحاجة إلى ما قبله، وقد ثبت في مكانه واستقر.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥).

ختمت هذه الآية بقوله : (وساءت مصيرا) وهذا مناسب لـ (يشاقق) لأن من خالف الرسول ﷺ بعد ما ظهر له الحق والمعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين، فهو في جهنم وساءت مكانًا لمن صار إليها، وحل فيها.

❖ ❖ ❖

---

(١) الإتقان في علوم القرآن : ٧٠٩/٣.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٧).

حيث ختمت هذه الآية بقوله : (لقوم يعلمون) «وذلك لأن حساب النجوم والاهتداء بها يختص بالعلماء فناسب ختمه بـ(يعلمون)»[١]، والمعنى جعل سبحانه وتعالى النجوم النيرة لتهتدوا بها إلى الطرق والمسالك في ظلمات البر والبحر، وقد جعلها الله لقوم يعلمون وجه الاستدلال بها، فيعملون بموجب علمهم.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام: ١٤٠).

حيث ختمت هذه الآية بقوله : (وما كانوا مهتدين) وهذا مناسب للقتل والتحريم.

يقول الإمام ابن كثير : «قد خسر الذين فعلوا هذه الأفاعيل في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فقد خسروا أولادهم بقتلهم، وضيقوا على أنفسهم في أموالهم، فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم. وأما في الآخرة فيصيرون إلى أسوأ المنازل بكذبهم على الله وافترائهم»[٢].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (يونس : ٩).

---

(١) الإتقان في علوم القرآن : ٧١١/٣.

(٢) تفسير ابن كثير : ٣٤٧/٣.

حيث ختمت هذه الآية بقوله : (جنات النعيم) وهذا مناسب للذين آمنوا وعملوا في دنياهم الأعمال الصالحة فيرشدهم ربهم، ويوصلهم بسبب إيمانهم وعملهم الصالح إلى الجنة.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يونس: ٤٢-٤٣).

فقد ناسب العقلُ السمعَ، والبصرُ العمى؛ لأن الصمم مرتبط بالعقل، والعمى مرتبط بالبصر أي: «أنت أيها الرسول: لن تقدر أن تهدي من عمي عن الآيات، وصمّ عن الكلم البينات، بمعنى أنه صرف قلبه عنها فلم ينتفع بسماعها، ورؤيتها، فالآية الكريمة تسلية للرسول ﷺ عما أصابه من قومه، وإعلام له بأن وظيفته البلاغ، وأنه لا يقدر على هدايتهم إلا الله بالقسر والإلجاء ومن معجزات القرآن الكريم أنه فضل السمع على البصر»[١]؛ لأنه جعل مع الصمم فقدان العقل، ومع العمى فقدان النظر فقط، «وذلك لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع في صماخه دوي الصوت، فإذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعاً فقد تم الأمر»[٢].

❖ ❖ ❖

ومن ذلك كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ (طه: ١٢٨).

---

(١) التفسير الوسيط : ٢١١٨/١.

(٢) الكشاف : ٢١/٣.

حيث ختمت هذه الآية بقوله: (لأولي النهي) وهذا مناسب لقوله (أفلم يهد)؛ لأن مشركي مكة كانوا مشاهدين لآثار هلاك الأمم السابقة في ترحالهم، وفي ذلك عبر كثيرة لأصحاب العقول السليمة التي تنهي أصحابها عن الشرك والضلال ، فالآية توبيخ وتقريع لكفار مكة الذين لم يعتبروا بما أصاب القرون السابقة.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (السجدة: ٢٦).

ختمت هذه الآية بقوله : (يسمعون) «وذلك أن الموعظة فيها مسموعة، وهي أخبار القرون الماضية»[١].

وذلك أن المشركين وعلى رأسهم كفار مكة قد غفلوا عما أصاب الظالمين من قبلهم، مع أنهم يمشون في مساكن هؤلاء السابقين، وفي ختم الآية بقوله: (يسمعون) حض لهم على الاستماع إلى الآيات الدالة على سوء العاقبة.

❖ ❖ ❖

ثانيًا: التصدير :

و«هو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية، قال ابن المعتز: هو ثلاثة أقسام:

الأول : أن يوافق آخر الفاصلة، آخر كلمة في الصدر.

الثاني: أن يوافق أول كلمة منه.

(١) الإتقان : ٣/٧٠٩.

الثالث: أن يوافق بعض كلماته»[١].

وبمراجعة آيات الهدى وجدت أن ما سُمي بالتصدير على نحو ما مضى قد ورد في بضع آيات.

من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران: ٨).

فقد «وافقت كلمة (وهَبْ) آخر الفاصلة (الوهاب)،»[٢] وفيه دلالة على أن الهدى والضلالة من قبله تعالى، وأنه متفضل بما ينعم به على عباده من غير أن يجب عليه شيء، فالراسخون في العلم يسألون ربهم ألا يميل قلوبهم عن الهدى بعد ثباتهم، وأن يمنحهم رحمة من عنده لأنه مالك الملك.

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٠).

فقد وافقت لفظة (هَدَى) التي وقعت في أول الصدر آخر الفاصلة (مهتدون).

والمقصود هنا من الهداية هداية المعونة، وذلك لأن المولى عز وجل جعل عباده فريقين : فريقًا وفقهم للهداية إلى الصراط المستقيم، وفريقاً وجبت عليهم الضلالة عن الطريق المستقيم؛ لأنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، فأطاعوهم جهلاً ، وظنوا أنهم قد سلكوا سبيل الهداية.

❖ ❖ ❖

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٣/٧١٤.

(٢) المرجع نفسه : ٣/٧١٤.

ثالثًا: التوشيح :

وهو « أن يكون في أول الكلام ما يسلتزم القافية، والفرق بينه وبين التصدير أن هذه دلالته معنوية، وذاك لفظية»[(١)].

ومن يتأمل في آيات الهدى يجد أن هذا اللون كذلك ورد فيها.

من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٣٧).

فالفاصلة (السميع العليم) لم يسبق لها لفظة توافقها كما مر، بل هذا مفهوم من معنى الصدر، ومن ثم استلزم الصدر هذه الفاصلة دون سواها؛ لأن العليم يعلم السر وأخفى؛ وذلك لأن اليهود قالوا كونوا يهودًا تهتدوا، وقالت النصارى كونوا نصارى تصلوا إلى الحق، فوجه الله الخطاب للمسلمين فقال إن آمن أهل الكتاب وغيرهم بمثل ما آمنتم به من جميع كتب الله ورسله، ولم يفرقوا بين أحد منهم ، فقد اهتدوا، وإن تمادوا في عنادهم، ومعارضتهم فسيكفي الله النبي ﷺ، فهو السميع لما يقولون العليم بما في صدورهم من حقد وحسد وبغضاء، وبكل فعل.

فلفظ (آمنوا) لا يدل على أن الفاصلة (العليم) ؛ لأن لفظ (العليم) غير لفظ (آمنوا) ولكن الدلالة هنا بالمعنى؛ لأن الله يعلم ما في صدورهم.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١١٥).

(١) الإتقان في علوم القرآن : ٧١٥/٣.

فلا يوجد في تصدير الآية لفظ يدل على الفاصلة، فإن لفظ (ليضل) لا يدل صراحة على أن الفاصلة (عليم)، لأن لفظ (عليم) غير لفظ (ليضل)، ولكن الدلالة هنا بالمعنى. أي أن الله عليم بكل شيء ولا يخفى عليه شيء من أقوال الناس وأفعالهم، ومن هو مستحق الإضلال والهداية.

والمعنى ما كان من سنة الله في خلقه أن يصف قومًا بالضلال، أو يؤاخذهم مؤاخذة الضالين بعد إذْ هداهم للإسلام حتى يبين لهم ما يجب عليهم من الأقوال والأفعال، فالله عليم بكل شيء، وهذا دليل على أنه لا عقوبة إلا بعد إنذار ، ولا مؤاخذة إلا بعد بيان.

❖ ❖ ❖

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم : ٥٨).

فإن قوله تعالى في صدر الآية : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ لا يدل على أن الفاصلة (بكيا)؛ لأن لفظ (أنعم) غير لفظ (بكيا).

ولكن الدلالة هنا بالمعنى؛ لأن هؤلاء المنعم عليهم من النبيين من صفاهم عظم خشيتهم من الله، فإذا تليت عليهم آيات الله سقطوا خاضعين ساجدين خوفًا ورجاء، وهذا لشدة تأثرهم عند سماع آيات الله، «وجمع سبحانه بين السجود والبكاء لهم؛ للإشعار بأنهم مع تعظيمهم لله، فهم أصحاب قلوب رقيقة وعواطف جياشة بالخوف من الله تعالى»[١].

❖ ❖ ❖

(١) التفسير الوسيط : ٢٧٨٨/١.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (القصص: ٥٧).

فإن قوله : (نتبع) في صدر الآية لا يدل على أن الفاصلة (لا يعلمون) باللفظ، ولكن يفهم هذا من المعنى العام لصدر الآية؛ لأن أكثر مشركي مكة قالوا للرسول ﷺ معتذرين عن بقائهم على دينهم إن اتبعناك على دينك أخرجنا العرب من بلدنا وغلبونا على سلطاننا، وهم كاذبون، فقد ثبت الله عز وجل أقدامهم ببلدهم، وجعله حرمًا آمنا، وتحمل إليه الثمرات والخيرات المتنوعة الكثيرة رزقًا يسوقه الله إليهم من كل جهة، فكيف يستقيم أن يسلبهم الأمن، ويعرضهم للتخطف لكن أكثرهم لا يعلمون الحق، ويجهلون أن اتباعهم للدين الحق يؤدي إلى سعادتهم في حياتهم وبعد مماتهم.

❖ ❖ ❖

وبعد فقد اتضح لنا اتضاحًا بينًا أن القرآن الكريم يختار الفاصلة الملائمة للمعنى أتم ملائمة، وهي تنسجم تمام الانسجام مع خواتم الآي، وجو السورة بل مراعى فيها عموم التعبير القرآني بل جميع فواصل القرآن تدرك منها أنه اختار هذه الفاصلة في هذه السورة لسبب وخصائص، واختار غيرها في سورة أخرى لسبب آخر وخصائص وسمات لا توجد في غيرها، وهذا لون من ألوان الإعجاز القرآني الذي يحتاج لجهد صبور في استخراج روائعه.

❖ ❖ ❖

خاتمة البحث

خاتمة البحث

نحمد الله سبحانه وتعالى – ونشكره على ما وفق وأعان، والصلاة والسلام على النبي العدنان أفضل الخلق ، وهادي البشر إلى الدين القويم.

وبعد...

فهذا جهدي المتواضع الذي بذلته في هذا البحث، والذي واجهتني فيه كثير من الصعاب والمشاق؛ لكنها هانت أمام روعة هذا الإعجاز القرآني.

ولقد ظهر لي من خلال هذا البحث –الذي أرجو أن ينتفع به الدارسون – النتائج التالية:

١- عظمة الأسلوب القرآني، واحتواؤه على جميع فنون البلاغة مما توصل العقل البشري إلى استنباطه منها، واحتواؤه على فنون أخرى تعجز النفس الإنسانية عن اكتشافها.

٢- علو فصاحة الأسلوب القرآني وبلاغته، وعجز البلغاء والخطباء عن الوصول إليه.

٣- أبان التمهيد لهذا الموضوع عن عدد آيات الهدى، ومواضع وُرودها في القرآن الكريم، وصيغها المختلفة، كما حملت هذه الآيات الكثير من المعاني العظيمة التي تدل على وحدانية الله تعالى، وعظمة الإعجاز القرآني البلاغي.

٤- مادة (هدى) في القرآن الكريم المتقاربة في المعنى ليست مترادفة، فكل لفظة لها دقائق تميزها عن غيرها، وتجعلها خاصة بمعنى دون الآخر.

٥- صيغة الكلمة ووزنها وجرسها له علاقة وثيقة بالمعنى الخاص بها، وكذلك المعنى العام ، فكأنما اختص ذاك المعنى بتلك البنية ، فإذا تغيرت الصيغة تغير المعنى تبعًا لذلك.

٦- النظم القرآني لا يختار الألفاظ جزافًا ، وإنما وفقا لمقتضى الحال، وما يستوجبه مقصد الآية.

٧- توصلت الدراسة إلى أن الهداية تنسب لله عز وجل، وهي قسمين : هداية الدلالة والإرشاد، وهداية المعونة والتوفيق،كما تنسب للرسول ﷺ، هداية الدلالة والإرشاد فحسب ، أما

الهداية المنفية عنه، فهي هداية المعونة والتوفيق، كما تنسب الهداية للملائكة، وتنسب للشياطين ورؤساء الكفر، وتنسب للقرآن الكريم، وللتوراة، والإنجيل، على معان مختلفة بينتها في موطنها.

٨- الفنون البلاغية التي يستخدمها النظم القرآني من توكيد، ومن ذكر وحذف، وتعريف وتنكير، وتقديم وتأخير لها أثر كبير في المعنى، فلا نقف على كلمة أو جملة حدث فيها توكيد، أو حذف، أو ذكر أو تقديم، أو تأخير أو تعريف أو تنكير إلا أخذتنا الدهشة من عظمة ذاك الإعجاز، ودقة ذاك البيان، فكل كلمة فيها لها موقعها الخاص بها، بل إن هذا يتعدى للحرف أيضًا.

٩- كشف البحث عن عناية النظم القرآني في أساليبه، ودقته المتناهية إذْ نراه يخاطب تارة، ويتحول للغائب ثم يتحول الأسلوب للمتكلم. وتارة يعبر بالمضارع عن الماضي والعكس، وتارة أخرى يأتي بالاسم الظاهر موضع الضمير، أو بالضمير موضع الظاهر، وأحيانًا يأتي بالجملة الإنشائية ، وهذا – أمر له شأن عظيم – فإذا فتشنا عن سر هذا وقفنا حيارى أمام الروعة والإعجاز والفخامة في الأسلوب.

١٠- أبان البحث أن القصر جاء على أكمل وجه، فيختار الطريق الذي يلائم كل سياق، ويؤديه على الصورة الرائعة الشديدة الدقة والإتقان.

١١- كشف البحث عن أهمية الوصل بالواو وغيرها، فالمعاني والعبارات ترتبط في القرآن ببعضها ارتباطًا وثيقًا، فتتصل الكلمة بما قبلها، وترتبط الآيات ببعضها برباط وثيق، وكذلك وقع الفصل.

١٢- كشف البحث عن أهمية الإيجاز والإطناب، حيث وردا في أروع نظم، وأفصح بيان، وكل في موقعه الأخص به.

١٣– بينت الدراسة أن النظم القرآني يلجأ إلى تصوير المعاني عن طريق التشبيه، والمجاز والاستعارة، والكناية كي يوضح بها الصورة ويبرزها جلية فيقرب البعيد، ويبرزه مصورًا أمام السامع كما يحقق أهدافًا وأغراضًا جليلة، لا تظهر إلا من خلال هذا الأسلوب الذي نهجه القرآن الكريم.

١٤– أوضحت الدراسة أن النظم القرآني يلجأ إلى تأكيد المعنى وتقويته عن طريق استخدام المحسنات البديعية المعنوية، واللفظية، فهي ليست لمجرد تحلية اللفظ فقط، وإنما تطرب الأذن لسماعها، وتثير الذهن، وتشوقه للمراد. وتشد الانتباه إلى الغرض المقصود.

١٥– كما أبان البحث أن النظم القرآني يختار الفاصلة بدقة متناهية بحيث يراعى فيها المعنى والسياق، وجمال الجرس الموسيقي الخلاب.

هذا .. وقبل أن أثني عنان قلمي عن التجوال بين آيات الهدى أوصي ببعض التوصيات لمن يعقبني من الباحثين في هذا المجال .. فأقول :

١– ينبغي على الباحث في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم أن يعرف عقائد المفسرين والعلماء والباحثين في هذا المجال، حتى لا ينغمس في المعتقدات المخالفة لأهل السنة والجماعة، وهو يجهل معنى كلمة.

٢– كما ينبغي أن نسعى في هذا المجال إلى الربط بين علم التفسير، وعلم البلاغة عند إيضاح مكامن الإعجاز البلاغي؛ لأن إعجاز القرآن لا يفهم بمنأى عن التفسير.

٣– كما أوصي الباحثين في هذا المجال بإعمال الفكر، واستنباط موضوعات جديدة تبرز نواحي الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم للبشر جميعًا.

وفي الختام .. أرجو من المولى القدير أن لا يجعل هذا آخر العهد بدراسة كتابه الكـــريم، وأن يجعل هذه الدراسة نقطة تجديد ، وصقل لإيماننا به وبملائكته ، وبكتبه وبرســـله وبـــاليوم الآخـــر، وهدايتنا إلى الطريق المستقيم.

كما أرجو أن أكون قد وفقت إلى إضافة الجديد، والجدير في مجـــال الدراســـات القرآنيـــة والبلاغية التطبيقية – والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل ...

❖ ❖ ❖

(٢) فهرس أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الإبداع البياني في القرآن العظيم، للشيخ محمد علي الصابوني ، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع.

٣- الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي، عالم الكتب، بيروت ، (بلا تاريخ).

٤- أسرار الإلتفات في البلاغة القرآنية، للدكتور حسن طبل، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، دار الفكر العربي.

٥- أسرار الإلتفات في ضوء الذكر الحكيم، للدكتور إبراهيم داود ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، مطبعة الأمانة ، مصر.

٦- أسرار البلاغة في علم البيان، لعبدالقاهر الجرجاني، تحقيق : محمد رشيد رضا، ١٣٩٨هـ، دار المعرفة، بيروت.

٧- أسرار التكرار في القرآن ، لتاج القراء محمود بن نصر الكرماني، دراسة وتحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الاعتصام.(بلا تاريخ).

٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ، عالم الكتب، بيروت، (بلا تاريخ).

٩- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. (بلا تاريخ).

١٠- الإعجاز البلاغي في قصة نوح عليه السلام ، للدكتور يحي عطيف، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، إصدارات نادي أبها الأدبي.

١١- إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، للدكتور حنفي محمد شرف، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، اللجنة العامة للقرآن والسنة.

١٢- الإعجاز القرآني في حذف حروف المباني والمعاني، للدكتور عبدالله عبدالغني سرحان، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٣- إعراب القرآن وبيانه، لمحي الدين بن أحمد مصطفى درويش، ط٤، ١٤١٥هـ، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، دار اليمامة، دمشق.

١٤- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، تحقيق : د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت.

١٥- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الحديث، القاهرة. (بلا تاريخ).

١٦- الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان، لأحمد محمد النجار، دار الاتحاد. (بلا تاريخ).

١٧- الأقصى القريب، للتنوخي، طبعة السعادة. (بلا تاريخ).

١٨- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبدالله القزويني ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، تحقيق محمد عبدالقادر ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده.

١٩- بحر العلوم ، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، دار الفكر، بيروت. (بلا تاريخ).

٢٠- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأحمد بن محمد المهدي بن عجيبة، تحقيق: أحمدعبدالله قريشي، ١٤١٩هـ، نشر د. حسن عباس زكي، القاهرة.

٢١- بدائع الفوائد، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي، المعروف بـ (ابن القيم)، دار الكتاب العربي، بيروت، (بلا تاريخ).

٢٢- البديع في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبدالفتاح لاشين، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٣- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار الفكر للطباعة والنشر.

٢٤- البرهان في وجوه البيان، لإسحاق بن إبراهيم بن وهب، تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، ١٩٦٩م، القاهرة.

٢٥- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبد المتعال الصعيدي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، مكتبة الآداب.

٢٦- البلاغة التطبيقية ، للدكتور أحمد موسى، طبعة المعرفة، (بلا تاريخ).

٢٧- البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد، تاليف وتأمل عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار القلم، دمشق.

٢٨- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، للدكتور محمد أبو موسى، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار التضامن.

٢٩- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، للدكتور فاضل السامرائي، ط٥، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، دار إعمار، عمان.

٣٠- بلاغة الكناية في ديوان الخيل في الجاهلية، للدكتور عبدالله عبدالغني سرحان، بحث محكم منشور في حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد (٢٦).

٣١- بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني. تحقيق : محمد خلف الله، ودكتور محمد زغلول سلاَّم، ط٤، ١٩٦٨م، دار المعارف.

٣٢- البيان في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبدالفتاح لاشين، ط٣، ١٩٩٢م، دار المعارف، القاهرة.

٣٣- البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ١٣٦٨م، دار الفكر للجميع.

٣٤- تأويل مشكل القرآن، لعبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٢، ١٣٩٣هـ.

٣٥- تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حنفي شرف، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة. (بلا تاريخ).

٣٦- التحرير والتنوير ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس. (بلا تاريخ).

٣٧- التسهيل لعلوم التنـــزيل، لمحمد بن أحمد الغرناطي، الكلبي، ط٤، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الكتاب العربي، لبنان.

٣٨- التصوير البياني، للدكتور محمد أبو موسى، ط٢، ١٩٨٠م، مكتبة وهبه.

٣٩- التعبير الفني في القرآن ، للدكتور بكري شيخ أمين، ط٤، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار الشروق، بيروت.

٤٠- التعبير القرآني ، للدكتور فاضل السامرائي ، ط٤، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، دار إعمار.

٤١- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي.(بلا تاريخ).

٤٢- تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، دار الفكر العربي، بيروت.

٤٣- تفسير البغوي ، معالم التنـــزيل في تفسير القرآن، لمحي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، تحقيق : عبدالرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.(بلا تاريخ).

٤٤- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنـــزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٥- تفسير تيسير التفسير ، لإبراهيم القطان، مراجعة وضبط : عمران أحمد أبو حجلة، ط ١٩٨٢م، مطابع الجمعية العلمية الملكية.

٤٦- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنـــزيل، لعلاء الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن، المكتبة التجارية، مصر، (بلا تاريخ).

٤٧- تفسير روح البيان، للشيخ إسماعيل حقي البروسوي، ط٧، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٨- تفسير الشيخ الشعراوي، مطابع دار أخبار اليوم، القاهرة. (بلا تاريخ).

٤٩- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥٠- التفسير الكبير أو مفاتح الغيب، لأبي عبدالله محمد بن عمر بن حسين فخر الدين الرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (بلا تاريخ).

٥١- تفسير اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق : عادل أحمد عبدالمقصود ، والشيخ محمد معوض، ط١: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٥٢- تفسير المنار ، للسيد محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب. (بلا تاريخ).

٥٣- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة مصطفى الزحيلي، ط٢، ١٤١٨هـ، دار الفكر المعاصر، دمشق.

٥٤- تفسير النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت . (بلا تاريخ).

٥٥- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي، شيخ الأزهر، ط١، ١٩٩٧م، نهضة مصر للطباعة والنشر.

٥٦- جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار المعرفة، بيروت ، لبنان.

٥٧- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، ١٣٨٧هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٥٨- الجدول في إعراب القرآن، لمحمود بن عبدالرحيم صافي، ط٤، ١٤١٨هـ، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، دمشق.

٥٩- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت . (بلا تاريخ).

٦٠- حاشية الدسوقي على شرح السعد ضمن شروح التلخيص، لمحمد بن أحمد الدسوقي، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٣٧م، القاهرة.

٦١- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار التضامن.

٦٢- الدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق : دكتور أحمد محمد ، دار القلم، دمشق. (بلا تاريخ).

٦٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين السيوطي، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان.

٦٤- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، لعبدالقاهر الجرجاني، تحقيق : دكتور ياسين الأيوبي، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع.

٦٥- دليل البلاغة القرآنية، للدكتور محمد سعد الدبل، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، مكتبة العبيكان.

٦٦- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي، قرأه وصححه محمد حسين العرب، بإشراف هيئة البحوث والدراسات في الفكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . (بلا تاريخ).

٦٧- سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي، المطبعة الرحمانية. (بلا تاريخ).

٦٨- صفوة التفاسير ، محمد بن علي الصابوني، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر ، صيدا، بيروت.

٦٩- كتاب الصناعتين . الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٧٠- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنـــزيل، ليحيى بن حمزة العلوي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧١- العامي الفصيح من إصدارات مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد (٩١).

٧٢- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للشيخ شهاب أحمد يوسف المعروف بالحلبي، تحقيق: محمود محمد السيد الدغيم، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار السيد للنشر.

٧٣- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن ، لأبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، عالم الكتب ، بيروت.

٧٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار الفكر.

٧٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٧٦- كشف المعاني في المتشابه المثاني، تأليف شيخ الإسلام بدر الدين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: مرزوق على إبراهيم، ط١، ١٤٢٠هـ، دار الشريف للنشر والتوزيع.

٧٧- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة . (بلا تاريخ).

٧٨- مدارك التنـــزيل وحقائق التأويل ، لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت.

٧٩- المطول في شرح تلخيص المفتاح، لسعد الدين مسعود التفتازاني الهروي، ١٣٣٠هـ، المكتبة الأزهرية للتراث.

٨٠- معتَرك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق : محمد علي البجاوي، دار الثقافة، العربية للطباعة، (بلا تاريخ).

٨١- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، دار الفكر.

٨٢- المعاني في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبدالفتاح لاشين، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، دار الفكر العربي، القاهرة.

٨٣- معاني النحو : للدكتور فاضل السامرائي، ط١، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل. (بلا تاريخ).

٨٤- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ط: الأخيرة: ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

٨٥- مفتاح العلوم، لمحمد محي الدين عبدالحميد الإمام أبي يعقوب السكاكي ، ضبطه وشرحه: الأستاذ نعيم زرزور ، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٦- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، لأحمد بن إبراهيم الغرناطي، تحقيق: الدكتور محمود كامل أحمد، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

٨٧- من أسرار البلاغة في القرآن، للدكتور محمود السيد شيخون، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

٨٨- من الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية، للدكتور عبدالله عبدالغني سرحان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، مطبعة التركي، طنطا.

٨٩- من بلاغة القرآن، لأحمد أحمد بدوي، مطبعة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. (بلا تاريخ).

٩٠- من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، للدكتور عبدالعزيز عرفه، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، عالم الكتب، بيروت.

٩١- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، للدكتور حكمت بشير ياسين، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة النبوية.

٩٢- نتائج الفكر في النحو ، لأبي القاسم عبدالرحمن السهيلي، تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البنا، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض .(بلا تاريخ).

٩٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، ط١، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٩٤- نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، تحقيق : الدكتور خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٠م.

٩٥- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان، ط١، ١٤١٥هـ ، دار القلم، الدار الشامية، دمشق.